

الوردة العنبرية
في سيرة حضرة خير البرية
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
وسلم
منظومة مع شرحها
ألفها خادم العلم والدين
عبد الكريم محمد المدرس
غفر الله له ولوالديه ولسائر
المسلمين

تنبیه

- تم إعادة تنضيد الكتب وتدقيقها لمرة واحدة على الأقل، الرجاء التماس العذر في حال وجود بعض الأخطاء والمساعدة في تصحيحها إذا أمكن وذلك عن طريق التواصل عبر الايميل (muhmaz@gmail.com) او عن طريق الواتس اب (0097336610249).
- للحصول على آخر تحديث على الكتب يرجى تحميلها من قسم "الوصلات الخارجة" في صفحة المؤلف على موسوعة ويكيبيديا حيث ستتوفر الروابط لأحدث النسخ (<https://tinyurl.com/yvt2s8pm>).

بسم الله الرحمن الرحيم

<2>

منظومتي الفية عرفية
يجلب حب المصطفى حرية
واسمها الوردة العنبرية
وشرحها سعادة البرية
يا رب وفق كل من يحفظها
لنصر دين سيد البرية
يشرح اخلاق الرسول المصطفى
اخلاقه العظيمة الزكية
وأهله واله وصحبه
والباقي من امته النجيه
صلى عليه وعليهم ربنا
في بكرة الأيام والعشية
واغفر لنا يا ربنا
وكل من يبقى على آدابه المرضية

<3>

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله هادي العقل
ثم الصلاة على المختار في
محمد سيد الأشراف منقبة
والآل والصحب والاتباع
ما هبت الريح في الدنيا على
وبعد: فالخير كل الخير في
ونشر أقواله، وذكر أعماله
وهذه نبذة منها مهذبة
نظمناها لهذي الأجيال مقتديا
قلادة من جياذ الدر منتظما
فالدر يزداد حسنا وهو
أهديتها للوفا بخدمة
وقلت يا شافعي بالكرم
أنت الذي اختاره الله
قد كنت أنت نبيا عاليا شرفا
قد كنت بالروح أصل الأنبياء
وكنْتَ انت نبيا مصطفى
<4>

وباعث الرسل بالارشاد
بالعقل، بالعلم، بالأخلاق
الشافع العام يوم الحشر
أهل الهدى والتقى والقدر
وجاء روح الى قلب أولي
والحب للمصطفى المختار
وبحث أحواله بالقدر والقيم
تفيد طلاب علم من أولي
بصاحب البردة المعروف
على الصدور شعار الحب
وليس ينقص قدرا غير
رجاء نيل الصفا من سيد
من ربنا الرافع الوهاب
بعثكم رحمة لكافة الأمم
ونوع الانسان تحت سائر
قد جاء من جابر عن سيد
أذ كان آدم طينا غير

فصرت في عالم الأجساد
فأنت أصل ونسل والد ولد
متمم لرسالات الهدى
الصبر والصدق في القول
نظافة القلب عن حقد وعن
حضور قلب مع الله العليم
ومعجزاتك في الايام باهرة
اخرجت الإنسان من ظلمات
بنور الإيمان قد نورت أهل
أتم نورك في الاكوان قاطبة
هيّا لك الامة العليا مرتبة
من اولياء اولى روح ومنقبة
صلى عليك إله العالمين
<5>

ابنا شريفا رفيع القدر
وأنت جامع وصف البدء
وللمكارم من أخلاق كلهم
والاستقامة في السراء
شرافة الطبع في جود وفي
والبعد عن غفلة للسقم
آيات ربي لك البرهان
بنور علم وبالتحرير بالقلم
ارشدتهم للهدى بالعلم
قد عم فيضك في العرب
وصافها عن ضلال كان
وعالمين علّوا علما على
وقد امرنا في كلام طيب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين واتباعه باحسان الى يوم الدين.

وبعد: فهذا كتاب جليل القدر، جميل الأثر، أوضحت فيه مافي منظومتي (الوردة العنبرية في مديحة خير البرية) وسميته ب (سعادة البرية في شرح الوردة العنبرية) وأرجو من الله تعالى النفع بهما لي ولهم في الدارين إنه هو السميع القريب المجيب، وهو ارحم الراحمين.

قولي: (أنت الذي اختاره الله برحمته) أقول: والدليل عليه ما رواه الشيخ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي رحمه الله تعالى في كتابه الجامع الصغير أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال: ((إن الله تعالى خَلَقَ الخَلْقَ وَخَيَّرَ الفرقتين فجعلني في خير فرقهم⁽¹⁾، ثم تخير القبائل، فجعلني في خير قبيلة، ثم تخير البيوت فجعلني في خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفساً، وخيرهم بيتاً))، رواه الترمذي عن العباس بن عبدالمطلب والحديث صحيح.

قولي: (بعثكم رحمة لكافة الأمم) والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم: ((أنا الرحمة المهداة)) وأهل العلم قالوا: العالمون شبه جمع وليس جمعاً، إذ لو كان جمعاً لزم أن يكون المفرد أكثر من الجمع فإن العالم جميع ما سوى الله تعالى من العقلاء وغيرهم، والعالمون بمعنى جميع العقلاء. ويظهر منه أن الله تعالى بعثه رحمة للعقلاء، أي ليستفيدوا منه بالإيمان والأعمال الصالحة، فمن أطاعه فقد فاز بالرحمة وربح، ومن عصاه صار محروماً وخسر. والعياذ بالله تعالى.

<6>

⁽¹⁾ في المخطوط في خير فرقهم، وخير الفرقتين

قولي: (قد كنت انت نبيا عاليا شرفا) بيانه أنه روي عن أبي نجيح عرباض ابن سارية السلمي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إني عند الله لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينه⁽²⁾. أي طريق ملقى قبل نفخ الروح فيه. انتهى.

ومعنى هذا أنه صلى الله عليه وسلم كان موصوفاً بصفة كونه نبيا خاتما للأنبياء قبل نفخ الروح في جسد سيدنا آدم عليه السلام وظاهر انه ابو البشر وأبو الأنبياء الكرام عليهم السلام.

وعن ميسرة الضبي قال: قلت: يا رسول الله متى كنت نبيا؟ قال: ((وآدم بين الروح والجسد))

تدل هذه الأحاديث الشريفة وأمثالها الكثيرة على ان الحقيقة المحمدية اشرف الحقائق واكرم الخلائق عنده، وكان موصوفا روحا بصفة النبوة والرسالة، وانه خاتم الأنبياء والمرسلين قبل ظهورهم في عالم الأعيان.

قولي: (وكننت بالروح أصل الأنبياء) والدليل عليه ما رواه سهيل بن صالح الهمداني، قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي رضي الله عنهما كيف صار محمد صلى الله عليه وسلم يتقدم الأنبياء، وهو آخر من بعث؟ قال: إن الله تعالى أخذ من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم: ألست بربكم؟ كان محمد صلى الله عليه وسلم أول من قال (بلى) ولذلك صار يتقدم الأنبياء، وهو آخر من بعث.

وعن الشعبي: قال رجل: يا رسول الله متى استنبتت؟ قال: ((وآدم بين الروح والجسد حين أخذ مني الميثاق، فهو أول النبيين خلقاً وآخرهم بعثاً)).

وقولي: (قد جاء من جابر) بيانه انه روى عبدالرحمن بسنده عن جابر بن عبدالله قال: قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي اخبرني عن اول

<7>

شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء. قال: يا جابر إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى، ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم، ولا جنة ولا نار، ولا ملك ولا سماء، ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جَنِّي ولا انسي، فلما اراد الله تعالى أن يخلق الخلق قسم ذلك النور اربعة اجزاء، فخلق من الجزء الاول القلم، ومن الثاني اللوح، ومن الثالث العرش. ثم قسم الجزء الرابع اربعة اجزاء؛ فخلق من الجزء الاول حملة العرش ومن الثاني الكرسي ومن الثالث باقي الملائكة ثم قسم الجزء الرابع اربعة اجزاء فخلق من الاول السماوات، ومن الثاني الارضين، ومن الثالث الجنة والنار، ثم قسم القسم الرابع اربعة اجزاء، فخلق من الأول نور ابصار المؤمنين، ومن الثاني نور قلوبهم، وهي المعرفة بالله تعالى، ومن الثالث نور انسهم وهو التوحيد (لا إله الا الله محمد رسول الله).

قولي: (فصرت في عالم الأجسام ابناً له) بيان المقام انه لما ثبت من ظواهر الروايات العديدة ان الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد وثبت أن روح حضرة الرسول الخاتم أول من وصف بالنبوة قبل خلق العالم وخلق الإنسان، وثبت على رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه خلق من نور محمد صلى الله عليه وسلم العوالم وعالم الانسان.. ثبت أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم اصل ووالد للإنسان والأنبياء والمرسلين، وإن كان في عالم ظهور الأجسام البشرية ابناً وفرعاً وفصلاً منفصلاً من الأصل، فلذلك هو صلى الله عليه وسلم أصل وفصل ووالد وولد.

ولدت من والدين ماجدين	من سلف سابق في الفضل
عدنان قي دار اسماعيل والده	أبو النبيين ابراهيم ذو الهمم

مولده كان (كوفي) عند
أكرم بهم من رجال بارزين
ليلة الاثنين قرب الصبح ثاني
من عام فيل أتى في جيش
فأرسل الله جيشاً من جنود
وكان في الأمر إعزاز
ليلة عشرين من نيسان روم
عام ثلاث وخمسين

(شرقات) او (شوش) عند
أهل الهدى من اولى الاقدار
ربيع الأول في مكة بالكرم
مكدر الوجه بالعُبس وبالتقم
طيراً أبابيل ردتهم الى
بشارة بظهور النور والكرم
وقت ربيع أتى بالورد
تأريخ ميلاد عيسى صاحب

قولى: (ولدت من والدين الى آخره) بيانه: أنك ولدت من آباء
كرام ووالدين عظام، فإنك ابن عبدالله بن عبدالمطلب بن
هاشم بن عبد المناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن
لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة
بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وتوقف الرسول
صلى الله عليه وسلم على عدنان، وقال: كذب النسابون.
والمشهور أن عدنان من سلالة قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم
الخليل عليهم السلام.

كما أن المعروف هو أن سيدنا إبراهيم بن آزر (وقيل: إن آزر كان عمه) وذكر باسم الأب على المعتاد عند الناس إذ ذاك. والمشهور أن إبراهيم ولد في (كوفي) محل قرب محافظة بابل المعروف اليوم باسم (جِلَّة) بكسر الحاء وفتح اللام المشددة وتاء التأنيث، أو ولد في (شرقات) أو في قرية (شوش) قرية قرب قضاء (عقرة) التابعة لمحافظة الموصل. وسيدنا إبراهيم كان في زمن الملك نمرود وكانت عاصمته (بلدة أور) غربي البصرة، ولما أمر بإلقائه في النار ونجى سالماً خاف من بقاءه في العراق، وبغّده إلى (كنعان) من بلاد الشام، فاتصل إبراهيم بملك الأقباط وأكرمه بجارية (هاجر) فولدت له إسماعيل، ثم أسكنهما في مكة المكرمة. وحكايته مشهورة وتزوج سيدنا اسماعيل امرأة من قبيلة (جرهم) العربية القحطانية فولدت له زوجته اثني عشر ولداً أكبرهم (قيدار) جد عدنان والله أعلم.

كما أن الثابت نقلاً متواتراً أن عبد الله أحد الأولاد العشرة لعبدالمطلب تزوج من (أمنة) بنت وهب بن زهرة القرشي، وانتقل من مكة إلى المدينة، وبقوا مع الأوس والخزرج هناك.

ولما تزوج بها وحملت بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم توفي قبل ولادة سيدنا محمد، ولما ولد بقي مع أمه في بيت جده عبد المطلب، ولما قربت وفاته وصى ابنه أبا طالب أن ينقل سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم إلى بيته ويربيه ويخدمه إلى بلوغه وقد حقق ما وصاه به.

وكانت ولادته صلى الله عليه وسلم في مكة المكرمة ليلة الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول المصادف لليلة العشرين من شهر نيسان الرومي الشرقي، الموافق لموسم الربيع وقت الأوراد والأزهار، وكان التاريخ الميلادي خمسمائة وثلاث وسبعين، والعام عام الفيل، أي العام الذي جاء فيه أبرهة الحبشي ملك يمن بالجنود معهم فيل لتخريب بيت الكعبة الشريفة. ولما وصلوا الوادي المُحَسَّر المجاور لأرض (منى)، أرسل الله تعالى عليهم فوجاً من

طير أبابيل فرموهم بحجارة صغار فصارت على أجسادهم
كمواد نارية، وأهلك الله الجيش، وماتوا خائبين خاسرين. ومن
هنا نقول: إن الاحتفال بذكرى مولد الرسول صلى الله عليه
وسلم ليس من البدع المستحدثة كما زعم بعض من لانظر له
في الأدلة الشرعية وإنما هو مستحب ومطلوب في الدين. أما
إنه ليس من البدع فلأن البدعة في الشريعة عبارة عن أمر
مستحدث خارج عن دلالة الكتاب والسنة والإجماع واجتهاد
المجتهدين، وذلك الاحتفال تؤيده الأدلة الأربعة، أما الكتاب
فلأن في القرآن الكريم آيات تدل على الاهتمام بذكره: قدره،
ومقداره، ونصرة دينه.

منها قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وعزروه ونصروه﴾
والتعزير بمعنى التعظيم. والنصر عبارة عن تأييده في رسالته
ونشر محاسنه وسيرته الشريفة وأخلاقه العظيمة.

ومنها قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا
وَنَذِيرًا (45) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِآذِنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ والسراج
المنير لمجالس الأنس ولمحافل القدس وجالب الإنسان الى
حظيرة الحق، هو ذكره وذكر أنسابه وأحسابه، ومعرفة مقامه
من الله تعالى.

ومنها قوله تعالى: (ورفعنا لك ذكرك) والذكر المرفوع، وإن
كان هو ذكره في كلمتي الشهادة وذكره في الصلوات الخمس،
لكنه يصدق بذكره في المجتمع الإسلامي حتى يعرفه الجيل
لاسما الصبيان والغلمان الذين يبعدون عن المجالس
والمحافل. وأما السنة فمنها قوله صلى الله عليه وسلم:
((والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من
نفسه وولده ووالديه والناس أجمعين)) أو كما قال. وذكره
ومدحه ونشر أخلاقه جالب لهذه المحبة المعتبرة في كمال
الإيمان، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: ((نحن أولى بموسى
منكم)) في مقابل اليهود الذين يحتفلون بصوم عاشوراء
لذكرى انتصار سيدنا موسى ونجاة بني إسرائيل من ظلم
فرعون. ويستفاد

منه جواز الاحتفال والاهتمام بذكرى المبشرات، لاسيما ممن لهم مقدار عند الله تعالى، فإنه قال صلى الله تعالى عليه وسلم: ((نحن أحق وأولى بموسى منكم)) أي أنسب بالاحتفال بمقامه وبذكرى خلاصه، لأنه كان من الرسل أولي العزم وأنا منهم، والرسل أبناء مبدأ مقدس واحد، ولما كان ذلك جائزا ومناسبا للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فيكون مناسبا لنا أيضا لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.

ومنها قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: ((من سنَّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة)) والسنة الحسنة مالم يخرج عن دلالة الادلة الأربعة الدينية.

وأما الإجماع فلأن الأئمة الكبار الإسلامية اتفقوا على استحباب ما أتى به الملك الصالح مظفر الدين الأربلي رحمه الله من الاحتفال بالمولد الشريف وصرف الأموال فيه، وأولئك الأئمة كان لهم مقام الاجتهاد في هذه القضية الخاصة، لأنهم كانوا من أجلة العلماء وفي درجة الاجتهاد المقيّد، وإن لم يكونوا في درجة الاجتهاد المطلق، ويجوز تجزي الاجتهاد كما صرح به الإمام أبو حامد الغزالي في بحث القياس في كتابه (المستصفى) ولم ينكر ذلك العمل عالم جليل يعتمد عليه وعلى نقده وقبوله ورده. وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم: ((ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن)) لاسيما وقد مضى على إجماعهم القرون فنقد الأجزاء لا يضر إجماعهم.

وأما الدليل من المجتهدين فبعد ثبوت درجة الاجتهاد والعمل بأرائهم ندري ونعلم أن أفراد العلماء الأجلة كانوا راضين بهذا الاحتفال. وأما الذين يقولون إن هذا الاحتفال لم يكن في عصر الرسول فتكون إقامته غير مشروعة فقولهم مردود عليهم، لأنه بعد ما ثبت استحبابه فلا يقدح فيه ترك السلف له، حيث أنهم كانوا مشغولين بأمور هي أهم من الاحتفالات، وذلك هو الإرشاد والجهاد، ألا يعلمون أن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم

في مدة تسع سنين بعد الهجرة حارب المشركين في ثلاث وستين حرباً، وحضر بنفسه الشريفة في ست وعشرين، فمع هذه المهمات كيف يبقى المجال للأمور الأخرى؟ علاوة على ذلك أن آداب الدين منها فروض العين وفروض الكفاية ومنها السنن المؤكدة، ومنها المستحبات، فالمسلمون لم يتركوا ما هو من فروض العين أو الكفاية أو المؤكدات، ولا يجب عليهم تطبيق التطوعات فكونوا على شعور بدينكم.

ثم لو كان عدم الوجود في عهده صلى الله عليه وسلم دليلاً على الفساد والبدعة الشرعية لزم أن يكون وجود المحاربين في المساجد والجوامع، وبناء المنائر عندها، وبناء دار الإفتاء ودار القضاء والمدارس الدينية وبيوت المسافرين، وتربية اليتامى... من البدع المذمومة، لأنها لم تكن في عهده صلى الله عليه وسلم وكذلك تأليف الكتب العلمية، وكل ذلك من المهمات الإسلامية واجبة أو مستحبة. فظهر مما ذكرنا أن كل ما لم يكن في عهده صلى الله عليه وسلم فهو من البدع بالمعنى اللغوي، أي لم يكن سابقاً وحدث بعده فإن كان من مقتضيات دين الإسلام فهو إما واجب أو مندوب، وإن كان من مخالفاته فهو حرام أو مكروه، وإلا بقي على الإباحة. وأما البدعة بالمعنى الشرعي أعني ما خالف الأدلة الأربعة السابقة فهو ضلالة وفساد فاعلموا ذلك وانتبهوا له.

واعلموا أن دين الإسلام دين خالد إلى الأبد ولا دين بعده، فيحتاج إلى أمور كثيرة من المخترعات والأشياء الحادثة، ولا يجوز للمسلم العاقل أن ينسب كل ما لم يكن سابقاً إلى البدعة الشرعية والضلال. وعلى ما ذكرنا فكل احتفال مربوط بذكرى أحوال وأعمال الرسول صلى الله عليه وسلم كبحت أسرائه ومعرجه، وهجرته إلى المدينة المنورة، وحروبه المهمة، كحرب بدر وأحد وخيبر وحنين وما شاكل ذلك... مادام ينور الأمة الإسلامية فمستحب بشرط رعاية أدب الشرع فيها والله أعلم.

ومن المهم أن تعلموا أن آباء الرسول صلى الله عليه وسلم الأقربين كانوا في الزمن الأخير من زمان ما بين إبراهيم وإسماعيل والرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وذلك لأن ذلك الزمان كان زائداً على مقدار ألفي سنة وذلك الزمان مقسوم بثلاثة أقسام:

القسم الأول: كان منوراً بنور الرسالة والناس عالمون بأحكام الدين ومكلفون بالأحكام.

والقسم الثاني: كان مما اختلط فيه العلم بالجهل.

وأما القسم الثالث الذي يقع بعد الإتيان بالصنم إلى الكعبة الشريفة بيد عمرو بن لحي الخزاعي الذي قال في حقه الرسول صلى الله عليه وسلم: ((رأيت عمرو بن لحي يجر أمعاءه في نار جهنم)) فهم كانوا في ضلال من العلم وانقطاع من الوحي وفترة وانقطاع كامل عن الرسل⁽³⁾ وأحكام الدين وصاروا غافلين جداً.

وأما أن أهل الفترة غير مكلفين فلقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا﴾، وقوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ فعلى ذلك يجب أن نعتقد أن الآباء الأقربين، وبالخاصة أبويه الماجدين، كانوا في عهد الفترة وغير مكلفين وغير معذبين في الآخرة قطعاً.

وكل ما يروى على خلاف ذلك مما لا يعتمد ولا يجوز الاعتماد عليه لمخالفته لظاهر النصوص، أو يحمل على نوع من العذاب على المعاصي لا على الكفر، لأن أهل الدين والإيمان السليم قد يعذبون على الذنوب وقد يعفو الله تعالى عنهم بفضلهم ورحمته.

علاوة على ذلك قد ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم دعا الله تعالى أن يحيي والديه فأحياهما وآمنا به، وهذا الإيمان يعتبر إيمان التشريف لا إيمان التكليف؛ لأنهما كانا في عهد الفترة وما كانا مكلفين.

<14>

⁽³⁾ في المخطوط الوحي

وأما ما قاله بعض الناس من أن الإيمان بعد الموت على الكفر لا ينفع. فمردود هنا من جهتين الأولى: أنهما لم يكونا مكلفين، فلم يكونا في عرف الشرع كافرين.

الثانية: أن هذه القضية كانت خارقة للعادة وكرامة لحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم ولا مانع من أن يختصه الله تعالى بفضيلة أو فضائل من هذا القبيل أو فوقه، أو دونه، فاعلموا ذلك واعتقدوه تنتفعوا.

وعندها ظَهَرَتْ بشارَة للورى	على الظهور لنور الحق
وازْدَهَرَتْ مكة من يُمن	فَكَادَ أن ينطق البكم مع
تحولت سنة الجَدب الى	وَزَادَ فيها كثير المال والنعم
غاصت بحيرة ساوة عند	حُكَمَا على انتكاس الروم
واهملت نار دين الفرس اذ	مَعَ وُجُود جماعاتٍ من
وَشُقَّ أيوان كسرى للدليل	كَسَرَ لشوكته في أمة
وقد رأى نفسه الركبان من	قد عبرت دجلة لجانب
وكم رأت أمُّه، أمَّ الهدى،	وكم بدت عندها الأنوار في
<15>	

وابتسمت شفة الدنيا لمولده والعرش والفرش واللوح

وكان درّاً يتيما في المحيط ولد فردا يتيما في كسا

قولي: (وعندها ظهرت الى آخره) بيان لظهور أمور كثيرة شهدت بتبدل الدنيا وتحول العالم المظلم الى عالم منور بوجود حضرة صاحب الرسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من كل وجوه الخير والبركة.

أما من باب الخير فالمنقول أن العرب في مكة كانوا في جذب وقحط شديد، ولما اقبلت سنة ولادته صلى الله عليه وسلم تحولت الى مطر، وخصب، وورود خيرات كثيرة من الخارج الى مكة بحيث شعر الناس برفاه واسع. وأما من جهة دفع الشر فقد ثبت أنه أتى أبرهة الحبشي المستولى على اليمن بجيش الى مكة لهدم الكعبة، فلما وصلوا وادي (المحسر) قرب المني أرسل الله عليهم طيرا أبايل فرموهم بحجارة من سجيل بحيث ابتلوا بمرض شديد، ولم ينج منهم الا القليل. وأما من باب العلائم والإشارات فثبت أنه غاضت بحيرة طبرية المعروفة بساوة قرب ولادته صلى الله عليه وسلم إشارة الى انتكاس أعلام الروم في البلاد. وأتت زلزلة على أيوان كسرى ملك العجم فانشقت اربع عشرة غرفة منها. ونفسه رأى بالرؤيا أن قوما من العرب الركبان جاؤا وعبروا نهر دجلة ودخلوا في المدائن دخول القوة والمنعة. كما أنه خمدت نار فارس المعبودة لهم، وكان عليها مئات من الحراس لحفظ اشتعالها اشارة الى نهاية عبادة النار. وهذه الأمور تدل دلالة على أن الزمان دار من الخوف الى الأمان، ومن الجهل الى العلم والعرفان، ومن الشقاء الى السعادة والرحمة، ومن الكفر الى الإيمان. وهكذا شأن طوابع الرحمة قبل طلوعها تنور الأفق وبعده تنور الآفاق،، ولذلك قال الباري سبحانه وتعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (45) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا.

وَلِدَتْ بِالْعِزِّ عِنْدَ عَبْدِ مَطْلَبٍ
أَسْمَاكَ جَدُّكَ اسْمًا جَامِعًا
حَيْثُ رَأَى فِي الْمَنَامِ أَنَّهُ
فَقَدْ تَرَجَّى لَكُمْ حَمْدًا كَثِيرًا
فَحَقَّقَ اللَّهُ لِلْجَدِّ الرَّجَاءَ وَقَدْ
وَجَاءَكَ اللَّطْفُ وَالتَّوْفِيقُ
طَهَّرْتَ أُمَّ الْقُرَى وَعَالَمًا
فَصَارَتِ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ
نَصَرْتَ مَوْلُودَهُ الْمَحْمُودَ
قَوْلِي: (وَلِدْتَ بِالْعِزِّ إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ) بَيَانُهُ: أَنَّهُ تَوَفَّى أَبُوهُ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَلَمَّا جَاءَ أَوَانُ طُلُوعِ
شَمْسِ حَقِيقَتِهِ مِنْ أَفْقِ الْعَالَمِ وَلِدَتْهُ أُمُّهُ فِي رِعَايَةِ الْجَدِّ عَبْدِ
الْمَطْلَبِ، وَقَدْ سَمَاهُ مُحَمَّدًا، فَسَأَلُوهُ لِمَ سَمَيْتَ وَلَدَكَ مُحَمَّدًا
وَلَيْسَ هَذَا الْإِسْمُ فِي آبَائِكَ الْكَرَامِ؟ قَالَ: رَجَوْتُ أَنْ يُحْمَدَ فِي
أَهْلِ الْأَرْضِينَ لِأَنِّي رَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ أَنَّهُ نَبَتَتْ شَجَرَةٌ عَلَى
صَدْرِي فَنَمَتْ
<17>

مَطَالِبًا لِنِظَامِ الْحَقِّ لِلْأُمَمِ
مُحَمَّدًا فِي جَمَالِ اللَّفْظِ
فِي صَدْرِهِ شَجَرٌ عُلَّتْ عَلَى
وَجْهِهِ يَفُوقُ نِطَاقَ الْحَصْرِ
حَمْدُكَ النَّاسَ مِنْ عَرَبٍ
وَصَرْتَ مَبْدَأَ كُلِّ خَيْرٍ
مِنْ دَنَسِ الشَّرْكِ بِالنَّارِ
مِنْ أَهْلِ الْإِشْرَاقِ وَالْفَحْشَاءِ
مُحَمَّدًا أَحْمَدًا⁽⁴⁾ بِالْعِلْمِ

قَوْلِي: (وَلِدْتَ بِالْعِزِّ إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ) بَيَانُهُ: أَنَّهُ تَوَفَّى أَبُوهُ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَلَمَّا جَاءَ أَوَانُ طُلُوعِ
شَمْسِ حَقِيقَتِهِ مِنْ أَفْقِ الْعَالَمِ وَلِدَتْهُ أُمُّهُ فِي رِعَايَةِ الْجَدِّ عَبْدِ
الْمَطْلَبِ، وَقَدْ سَمَاهُ مُحَمَّدًا، فَسَأَلُوهُ لِمَ سَمَيْتَ وَلَدَكَ مُحَمَّدًا
وَلَيْسَ هَذَا الْإِسْمُ فِي آبَائِكَ الْكَرَامِ؟ قَالَ: رَجَوْتُ أَنْ يُحْمَدَ فِي
أَهْلِ الْأَرْضِينَ لِأَنِّي رَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ أَنَّهُ نَبَتَتْ شَجَرَةٌ عَلَى
صَدْرِي فَنَمَتْ

وترفعت *واسترفعت* وترقت الى عنان السماء، وعلت على الجبال، وتفرقت أغصانها الى الغرب والشرق والجنوب والشمال وقد حقق الله تعالى رجاءه فصار بحيث تربي احسن تربية ونشأ أحسن نشأة الى أن بلغ الأربعين، فأرسل الله إليه الملك وأنزل عليه الوحي، ودعا الأنام الى توحيد الملك العلام وترك السجود للحيوانات والنار والأصنام، ووقفه وفتح له الفتح المبين، وطهر أمّ القرى وما حولها من الجهات من الظلمات، ونورها بالآيات البينات؛ فهو الولد البار، المحمود في المناقب، ومحمد في المناصب وأحمد كثير الحمد لله تعالى.

شربُه للبن الأم وخَلبها وحليب غيرها

فصار فيك غذاء الأمن	لبان أمك قد وافاك مبتدأً
نصرت أهل الثواب من	ثوية أرضعتك من حليب وفا
سعدية النسب للسعد	رضعت من داية حليلة العلم
يبقى لك السعد دوماً في	ونسبة السعد فيها بشرتك
أي انت ايمئهم في الجود	وأُمّ أيمن قد دارتك حاضنة
وأفتك داياتك الآيات للنعم	أمن ثواب ويمن للحلم جاءك
	<18>

من السماء على الإحسان

تفاعل الناس بالأسماء إذ

وأهل سعد عيون الفضل

فقد توالى السعود في

قولِي: (لبان أمك الى آخر الابيات) يَعْنِي أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا وَلَدَ لَيْلَةَ الْاِثْنَيْنِ قَبْلَ الصُّبْحِ أَعْطَتْهُ أُمُّهُ أَمْنَةً بِنْتَ وَهَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الْحَلِيبُ الْبَدَائِي الْمَشْهُورُ بِاللَّبَانِ لِتَقْوِيمِ أَعْضَاءِ الْوَلَدِ، وَأَرْضَعَتْهُ بَعْدَهَا ثَوْبَةَ جَارِيَةِ أَبِي لَهَبٍ وَدَارَتَهُ كَمَرْضَعٍ، وَثَوْبَةُ هَذِهِ لَمَّا بَشَرَتْ أَبَا لَهَبٍ بِوَلادَتِهِ اعْتَقَهَا فَرَحًا بِقُدُومِهِ.

وقد رُئي أبو لهب بعد موته في المنام، ف قيل له: ما حالك؟ فقال: في النار، إلا أنه خفف عني في كل ليلة إثنين، وأمّص من بين أصبعيَّ هاتين ماءً، وأشار برأس أصبعيه، وإن ذلك بإعتاقي لثوبية عندما بشرتني بولادة النبي صلى الله عليه وسلم وإرضاعها له. وقال: ابن الجزري فإن كان هذا أبو لهب الكافر الذي نزل القرآن بذمه جوزي بفرحه ليلة مولد النبي صلى الله عليه وسلم فما حال المسلم الموحد الذي يسر بمولده ويبذل ما تصل اليه قدرته في محبته صلى الله عليه وسلم؟ ولعمري إنما يكون جزاؤه من الله الكريم أن يدخله بفضل العميمة جنات النعيم.

ولا يزال أهل الإسلام يحتفلون بشهر مولده عليه الصلاة والسلام ويعملون الولائم ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات، ويظهرون السرور، ويزيدون في المبرّات، ويعتنون بقراءة مولده الكريم، ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم.

ومما جرّب من خواصه انه أمان. قالت حليلة ما حاصله: أتينا مكة في نسوة من بني سعد بن بكر نلتمس الرضعاء. وقد رأين الرسول - صلى

الله عليه وسلم وما أخذته واحدة منهن بحجة أنه يتيم لا أب له، وكلهن أخذن الرضيع، وبقيت بلا رضيع، فأتيته، فإذا به مدرج في ثوب صوف أبيض من اللبن، تفوح منه رائحة المسك، فوضعت يدي على صدره فتبسم ينظر إليّ، فقبلته بين عينيه، وأعطيته ثديي الأيمن، فأقبل عليه بما شاء من لبن، ثم حولته إلى ثديي الأيسر فأبى، وكانت تلك حاله بعدُ. فأخذته، فها هو إلا أن جئت به إلى رحلي فأقبل عليه ثدياي بما شاء الله من لبن، فشرب حتي روي وشرب أخوه حتي روي. وزادت نعمتنا وحسنت معيشتنا، وقالت: لما وصل إلى منتهى الرضاعة رجعت إلى أمّه في مكة، وترجيت منها أن تخليه معي، لأننا وجدنا بركتنا من وجوده، وأذنت لي، فرجعت به إلينا كما كان. قالت حليلة: وَبَعَدَ مَقْدَمُنَا بِشَهْرَيْنِ أَوْ ثَلَاثَ كَانَ مَعَ أَخِيهِ مِنَ الرضاعة خلف مُتَسَعِ لِبِیوتِنَا جاء أخوه يشتدّ، فقال: ذاك أخي قد جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعا وشقا بطنه، قالت حليلة: فخرجت أنا وأبوه نشد نحوه فوجدناه قائما منتقعا لونه. فاعتنقه أبوه، فقال له: أي بُني ما شأنك؟ قال: جاءني رجلان عليهما ثياب بيض، فاضجعاني، فشقا بطني، ثم استخرجا منه شيئا، فطرحاه، ثم رداه كما كان. فرجعناه معنا فقال أبوه: يا حليلة قد خشيت أن يكون ابني قد أصيب فانطلقني بنا نرده إلى أهله قبل أن يظهر عليه ما نخاف. فاحتملناه حتى قدمنا به مكة على أمه، فقالت: ما ردكما به فقد كنتما حريصين عليه؟ قلنا: نخشى عليه الإتلاف والأحداث. فقالت: ماذا بكما فاصدقاني شأنكما فلم تدعنا حتى أخبرناها خبره، قالت: أخشيتما عليه الشيطان، كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل. إنه لكائن لابني هذا شأن فدَعَا عَنْكُمَا.

وفي الأنوار المحمدية: وقد وقع شق صدره الشريف مرة أخرى عند مجيء جبريل عليه السلام إليه بالوحي في غار حراء، ومرة أخرى عند الإسراء.. انتهى.

والحكمة تنظيف صدره الشريف وقلبه اللطيف عن حقوق
النفس وملؤه بالأنوار المقوية له ولجانبه الروحي صلى الله
عليه وسلم وقلت في شرح الأبيات: إن المشهور هو أن
الاسماء تنزل من السماء، وأن الأسماء المبشرة. يُتبرك بها
ويستفاد من أسماء أمه صلى الله عليه وسلم وداياته ثوبية
وحليمة السعدية، وخدمة أمِّ أيمنَ له صلى الله عليه وسلم أنه
أودع الله في قلبه الشريف صلى الله عليه وسلم الأمان
والثواب والحلم والسعادة واليمن والبركة الوافرة.

<21>

السعد الأول

لدى حليلة للتطهير عن
وملئه بهدى الأسرار والحكم
كما يليق بختم الرسل للأمم
فأرجعته الى الأم مع الألم
في سفرة الزّورة لصاحبي
إلى وفاته بالإعزاز من هرم
نزلت في بيته المعمور
كما قد ينشأ البان في
بُصرى تراجع خوف البؤس
بعادة لقريش بين ذي الأمم

وأول السعد شق الصدر في
من كل أدراّن نفس في
وملئه بالمزايا من مواهبه
خافت حليلة أن الجن قارنه
بقيت حتى توفت عند رجعتها
ثم انتقلت إلى الجد الجليل
وقبل موته وصّى العم فيك
فيه نشأت على وجه برام
ومعه سافرت للشام، واذ
ومع زبير كذا سافرت لليمن
<23>

بكسب عيش شريف يأتي
وكنّت مختارهم في كل
والحلم والصبر عن كره
صار الأمين كاسم لك من

ما افتتحت عين دنياكم
وعشت في عليّة القوم
في سبق عقل وصدق القول
ومن أمانتكم في القوم

وقولي: (وأول السعد الى آخر الآيات) بيانه: أنه وإن كان
التفؤل من أسماء داياته صلى الله عليه وسلم ببشارات
وإشارات الى سعده وسعوده صلى الله عليه وسلم وصعوده
في مدارج الكرامة، لكنه لما اختاره الله من خلقه شرفه قبل
النبوة بإرهاصات وأمور خارقة كانت تبشر بعلو مقامه صلى
الله عليه وسلم وأول السعد هو أنه عندما كان عند حليلة
السعدية، وتجاوز عن وقت الرضاعة أرسل الله تعالى إليه
الملك، فشق صدره الشريف، وطرح منه موجبات الأذى وملاه
من الحكمة كما ذكرنا. ويأتيه سعادات أخرى كما نذكرها إن
شاء الله تعالى.

ولما أرجعته حليلة الى أمه وجده خوفاً عليه صلى الله عليه
وسلم بقي عند أمه إلى السنة السادسة من عمره، فسافرت
أمه إلى زيارة إخوتها في المدينة المنورة، ومعها الرسول صلى
الله عليه وسلم ولما رجعت إلى مكة ووصلت (الأبواء)
تمرضت، وتوفيت الى رحمة الله، ورجعت به حاضنته أم أيمن
الى جده في مكة المكرمة، ولما تمرض مرض الوفاة وصى
ابنه أبا طالب بالتزامه صلى الله عليه وسلم فالتزمه وخدمه
وأكرمه، وكانت زوجته كخادمة له صلى الله عليه وسلم تخدمه
خدمة الأم الحنون لولدها، ولذلك دعا لها رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد وفاتها،

ودخل في قبرها، وتمدد في لحدّها ثم خرج وقال: (اللهم بحقي وحق النبيين قبلي إلا غفرت لفاطمة أُمي). يريد صلى الله عليه وسلم أُمّه في الإكرام والرعاية لا في الحضانة والرضاعة. ولما وصل عمره نحو اثنتي عشرة سنة أخذه عمه أبو طالب في سفر قريش إلى الشام، وكان أبو بكر رضي الله عنه في القافلة. ويذكر في الأنوار المحمدية: أنها لما وصلت مدينة بصري ذهب أبو طالب وأبو بكر وجماعة إلى محل رأوا فيه بحيرا الراهب؛ فسألهم عن أساميهم ومواطنهم ثم سألهم: هل معكم ولد كذا وكذا؟ قالوا: نعم. فقال: إني رأيت غمامة محاذي رأسه تظله، وهو المنعوت في كتابنا، والمبشر برسالاته في الوقت المحدد، وأخاف عليه من أضرار يهود به، فلها سمع أبو طالب ذلك قطع سفره⁽⁵⁾ ورجع به صلى الله تعالى عليه وسلم إلى مكة المكرمة، وفي عمر نحو ثماني عشرة سنة سافر مع عمه الزبير إلى اليمن لتجارة معتادة لقريش، ورأى البلاد، وفتح عينيه⁽⁶⁾ لأمور مكاسب المعتادة ورجعا إلى مكة بسلامة.

<24>

⁽⁵⁾ في المخطوط تندم عن إتمام سفره

⁽⁶⁾ في المخطوط العينين

السعد الثاني

وسعدك الثاني قد وافاك من
صاهرت على علو من
ألقى بها عمكم في عزة
فصرت في راحة من عين
فأنجبت لك نسلا جاها شرفا
قاسم، زينب، عبد الله،
ولما تبصر في أمور المعاش والمكاسب، ورأى خديجة بنت
خويلد الاسدي امرأة صالحة الأخلاق، حسنة السيرة، ولها ثروة
لا بأس بها، وهي ترغب في التجارة منها مقداراً من مالها يتاجر
به ويؤتيها حصتها من الأرباح، ومعه في أسفاره غلامها ميسرة،
وكان في معاملته صلى الله عليه وسلم أرباح مناسبة.. رغبت
في التزوج به، حيث أنه شاب شريف ومن سلالة شريفة، بل
أشرف من غيرها، وعرض الرسول صلى الله عليه وسلم الأمر
على⁽⁷⁾ عمه أبي طالب فرضي بذلك، وخطبها له وقد ألقى في
خطبتها خطبة ذكر

<25>

⁽⁷⁾ في المخطوط الى

فيها شرف قريش وشرف بني هاشم، وشرافة الحبيب⁽⁸⁾ صلى الله عليه وسلم وكرامته ونزاهته، وتم الأمر، فعقد عليها، فتحول الرسول صلى الله عليه وسلم من الانفراد والوحدة الى الاجتماع وإدارة العائلة المحترمة، وفي كل وقت يزداد له ما يزيد على قدره ومقداره الذاتي أصولاً وافعالاً حسنة⁽⁹⁾ تميز بها في المجتمع، فصار فرداً قريباً بينهم، أما نسباً فمن النسب العالي، وأما حسباً فمن اهل الحسب المتعالي، وأما حالاً ومالاً فكان إنساناً معتدلاً بارزاً ممتازاً، وكان يلقب بالأمين لأمانته ونزاهته ومنفعته للمجتمع كما يقال.

(ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد)، وقد أنجبت خديجة بنين وبنات اهل الكرم والمكرمات وحسن نبات الأرض من كرم البذر: زينب، وفاطمة، ورقية، وأم كلثوم، وعبد الله، وقاسم. وقد توفيا في مكة المكرمة، وبقيت البنات الى ما بعد الهجرة وتوفين في المدينة المنورة، زادهما الله شرفاً وزادهن رحمة ورضواناً.

والحاصل آن ايام عمره صلى الله عليه وسلم بعد ان تزوج بنت خويلد الاسدي مضت عليه براحة نفسية ورحمة قدسية، وذلك لعفتها وأمانتها وشعورها الجميل مع الرسول الجليل، لا تريد إلا ما يريده ولا تعارض إرادته وعنايته فعاشا معاً، وعاشت العائلة بدون غائلة عيشة مرضية هنيئة مباركة.

وكان صلى الله عليه وسلم يقوم بما يقوم به الرجال في كافة الأحوال، وهو مستمر في تخلقه بالأخلاق العالية بين الأمثال والأقران، ويتحمل ما يتحمله الإنسان الكامل من الصدق والصبر والامانة، فاشتهر بالأمانة، ولقب بالأمين عندهم، وعند الناس اجمعين.

<26>

⁽⁸⁾ في المخطوط الحبيب محمد
⁽⁹⁾ في المخطوط حسنة جميلة

السعد الثالث

لذلك العالم الآتي من العدم
قد زادك الله نور العلم
في البر والبحر والأنوار
في الشمس في القمر
على المحامد دون الوقف
على الدوام على المنهاج
أو عالم قادر ذو القدر
والذئب يأكلها في الحل
والنار قد تنطفيء برشقة
بلا شعور ولا علم ولا حكم

وسعدك الثالث التفكير في
وعندما اقتربت أيام موهبة
حتى تأملت في الدنيا
في خلق الأفلاك في علو بلا
ومن محرك تلك الكائنات
ويضبط السير فيها حسب
وهل يحركها مالا شعور له
والناس في سجدة العجلان
والبعض في سجدة النيران
والعرب في سجدة الأوثان
<27>

وكيف تعبد عَجَلاً أنت تذبحه؟
وكيف تعبد ناراً أنت تشعلها؟
وكيف نعبد أصناماً مجَمَّدة؟ أجزاؤها تخضع الإنسان بالقدم
ما ذلك البشر الحيران دون
ضلت طريق الهدى للخالق
وكَيْفُ يقبل عقل المرء ذا
أو للمواد التي تفنى بعارضة
وإنما الخلق والايجاد والأثر
وقد ترقيت في الافكار
والخلق لا يصلح إلا بالنظام
لا يصلح الناس إلا بالسلوك
بالعقل بالعلم بالأخلاق
<28>

وقد تخور من الجوع ومن
وتنطفئ بقوى الأمطار من
ودون فكرته في سيرة
الواحد الفرد ذو القدر وذو
أن ينسب الخلق للمعروض
مثل العجايل والأوثان
لواجبٍ موجدٍ للشيء من
ألى اليقين بذات الله ذي
وجه متين وفاق الرشد
تقوى من الله في سر وفي
من خالص القلب دون

فأشرق النور واستحليت غار

ودمت في فكرك المبروك

قولِي: (وعندما اقتربت أيام موهبة ألى آخر الأبيات) بيان هذا

المقام هو أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وجعله خليفة في الأرض بحكمته، وأودع في الإنسان القوة النطقية والقوة الشهوية للجذب والدفع، ولما كان الإنسان مدنياً لا يعيش وحده ويختلط بالاضطرار بأمثاله من بني الإنسان، وفي كل فرد القوة النطقية الإدراكية والقوة الشهوية، ويحصل بينهم التنافس والتعارض في الجذب والدفع.. زود بني الإنسان برجالٍ أخيارٍ أولي كرامة ورشد كامل وأوحى إليهم الكتاب كنظام جامع لسعادة الجميع في الدارين. وبما أن الإنسان في الأغلب يحتوي أخلاقاً فاسدة لا ينصاع إلى الحق، وقد وقع منذ فجر الخليقة تصادم وتعارض بين الشريعة والأهواء، أي بين الهدى والهوى، وبعبارة أخرى بين الحق والضلال، والمجتمع الإنساني وإن لم يخل عن رسل الله تعالى لقوله الكريم ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ وقوله ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَىٰ﴾ لكنه قد وقعت فترات في الزمان صارت الغلبة لأهل الأهواء، وأمحو شعار الرسل الكرام من توحيد رب العالمين وبدلوه بعبادة الحيوانات كالعجائيل والأوثان والأصنام. ألا ترى أن سيدنا إبراهيم عليه وعلى سيدنا الصلاة والسلام بعد قبول أنواع الأذى والأتعاب، والإلقاء في النار والتهجير إلى الديار، وفقه الله تعالى على نشر دين التوحيد في ربوع جزيرة العرب، وبنى كعبة الله تعالى، وأذن بأمر الله تعالى في الناس للحج، وجعله شعار المسلمين الموحدين وبقي دينه بسلامة في زمن ابنه إسماعيل وأولاده مدة ألف سنة. وبعد ذلك⁽¹⁰⁾ أخذ في الانحطاط والاختلاط بالأهواء والأباطيل.. ومرت أيام حتى أخذ عمرو بن لحي الخزاعي الفرصة وأتى بالصنم من الشام إلى بيت كعبة الشريفة، وأخذوا في دعايات فارغة حتى نشروا عبادة الأصنام في جزيرة العرب. ويقول في شأنه حضرة

<29>

الرسول محمد صلى الله عليه وسلم كما رواه صاحب صحيح البخاري ((رأيت عمرو بن لحي يجر أمتعاه في النار..)) وعلى اتباع الأهواء اتخذ الأقباط العجل إلها وعبدوه طيلة قرون، وجعلت أمة العجم ومن والاهما النار معبودة لهم وعبدوها.

وكما أن الله تعالى لما أراد نشر التوحيد في العالم حرك قلب عبده الجليل إبراهيم الخليل كما يفيد قوله الكريم ﴿وَكَذَلِكَ نُبْرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ كذلك حرك قلب عبده المختار الممجد سيدنا محمد للتفكير في الدنيا جميعها علويها وسفليها، وأخذ يتفكر ويتصور العالم واحتياجه الى نظام حق عادل معتدل في إدارة رب حي عليم قدير واجب الوجود متصف بالكمال ومنزه عن النقص. فجعل يترقى في مستويات أفكاره السائحة الصالحة، حتى أيقن أن جميع ما عليه العباد في عصره من الإشراك وعبادة غير الله الواحد الأحد الفرد الصمد، كله هواء باطل عاطل وأن الحق هو اللجوء الى الله تعالى وحده لا شريك له فقرر لتصفية أفكاره أن يختلي شهراً من كل سنة للابتعاد عن الناس ورعاية فراغ الروح والتفكير في الباري تعالى، حتى ان وصل الى أمنيته بنزول أمين الوحي الجليل جبرائيل عليه السلام عليه وهذا هو سعه الرابع في حياته.

وقد قسم العلماء الزمان الذي وقع بين وفاة سيدنا إسماعيل وبعث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الى أقسام ثلاثة: فالقسم الأول منها كانت احكام الدين فيه دائرة مشهورة معروفة بين الناس، ويعتبر الناس المنكرون للدين فيه كافرين بلا شبهة.

والقسم الثاني منها: كان الدين فيه في ضعف واندراس فمن بلغته الدعوة الدينية كان من المكلفين، والمخالف فيه أعتبر كافراً والموافق المعترف به كان مؤمناً.

وأما القسم الثالث: فكان زمان الفترة واندراس الوحي، لأنه لم يبق الناس على بصيرة في الدين، ولم يبق مبلغ قوى العلم والإرشاد، فلم يعتبر

المخالف للدين فيه كافراً، لأن الناس البسطاء الذين لم يكن لهم راع وداع وساع في تربيتهم يبقون غافلين جاهلين بالقواعد والأحكام، والغافل لا يكلف فأهل هذا القسم الثالث لا يعتبرون مكلفين بأحكام الدين. حتى يعتبر المخالف له كافراً، والدليل على ذلك آيات كثيرة من القرآن الكريم منها: قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا﴾

ومنها قوله تعالى: ﴿لَيْلًا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾، ومنها قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزَا فِي ذُلِّهِ عَلَىٰ جُلُودِكُم مَّا كُنْتُمْ غَافِلِينَ﴾، ومنها قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾، وعليه يعتبر الناس الواقعون قرب بعث الرسول محمد صلى الله عليه وسلم من أهل الفترة وانقطاع الوحي فلم يبقوا مكلفين ولا يحكم بكفرهم ولا بكونهم من أهل العذاب، فما قيل أو يقال في الحكم عليهم بالكفر غير صحيح. وما يروى من الأحاديث التي تدل على خلاف ذلك لا حجة فيها لرجحان النصوص القرآنية الدالة على خلاف ذلك فأبأؤه الأقربون من بعثه صلى الله عليه وسلم آمنون من العذاب مثل باقي أهل الفترة، ممن لم تبلغهم الدعوة، وبالأخص والداه صلى الله عليه وسلم علاوة على أنهما ماتا في الشباب ولم يسافرا إلى سائر الأماكن والبلاد حتى يتصلا بأهل العلم، ويسمعا دعوة دين سيدنا إسماعيل على تقدير بقاءه هناك.

وهناك حجة أخرى على أنهما من أهل الجنة والرحمة ما روي من أنه صلى الله عليه وسلم دعا الله تعالى لإحيائهما للإيمان به صلى الله عليه وسلم فأحياهما وآمنا به. وهذه القضية لتشريف الرسول بتشريف أبويه وفوزهما بالجنة الناشئ عن الإيمان، وليست قضية تكليفية لأنهما ماتا في عهد الفترة، وانقطاع الوحي ولم يكونا من المكلفين فخذوا هذه المسألة واطمأنوا بها قلباً.

وذلك شأن كل أمة لم تبلغه *تبلغ* الدعوة الدينية كأهل الجزر في البحار والوديان وقمم الجبال في الديار البعيدة عن المعمورة لا سيما في زمان لم تكن فيه المواصلات.

السعد الرابع له صلى الله عليه وسلم

تاج الرسالة فوق الرأس
ومنه شرح الصدر واسع
من مالك الملك منشئ
تنزيله دون تغيير على رقم
تعليم آدم للأسماء والكلم
للعقل والعلم والتعليم
ورحمة لعباد الله كلهم
قد عاد للبيت مع شيء من
فاستحمدت ربها بالفضل
له على ما جرى في اللوح

و الوحي رابع سعد طالع
منه أنبثاق لنور القلب متسعا
أحسين بتاج من الغيب
وحامل الوحي جبريل امين
آتاه ربه بالإلقاء دون جفا
من سورة العلق كالنور
فصرت حقاً رسول الله
وبعد أخذه تاج العز والشرف
فأخبر الزوجة العصماء حالته
وبشرته بعليا رتبة سمحت

وذهبت به نحو ابن عم لها

لما حكى حاله بشر أن جاءه

جبريل من جاء بالإنجيل

وبعد ذا وقف الوحي الى

ورقة، عارفا بالرسل والأمم

مأمور وحي من الرحمن

لابن مريم عيسى صاحب

عن الرسول وبعد عاد

وقولي: (والوحي رابع سعد..) بيان المقام: أنه لما بلغ عمره صلى الله عليه وسلم أربعين سنة بعثه الله تعالى رحمة للعالمين ورسولاً الى كافة الخلق، وكان ذلك يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من رمضان. روى البخاري في التعبير حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها أول ما بدى به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثم حُبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه -وهو التعبد- الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع الى اهله ويتزود لذلك، ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء.

فجاءه الملك⁽¹¹⁾ فقال: اقرأ: قال⁽¹²⁾: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ! قلت⁽¹³⁾: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ! فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني⁽¹⁴⁾ فقال: اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ فرجع بها ترجف بوادره، حتى دخل على خديجة، فقال: زملوني! زملوني! فزملوه حتى ذهب منه الروع، فقال: يا خديجة مالي؟ وأخبرها الخبر. وقال: قد خشيت على نفسي. فقالت له: كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل

<33>

⁽¹¹⁾ في المخطوط الملك فيه

⁽¹²⁾ في المخطوط قال فقلت

⁽¹³⁾ في المخطوط فقلت

⁽¹⁴⁾ في المخطوط فأرسلني

الرحم، وتصدق الحديث وتحمل الكل، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق، ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد، ابن عبد العزى، ابن قصي، وهو ابن عم خديجة، وكان امرأ تنصر في الجاهلية. فقالت له خديجة أي ابن عمي اسمع من ابن أخيك. فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم ما رأى، فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى، يا ليتني فيها جذعا، يا ليتني كنت حيا حين يخرجك قومك، فقال رسول الله: أو مخرجي هم؟ فقال ورقة: نعم، لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي. ثم لم ينشب ورقة أن توفي. وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم (في ما بلغنا) حزناً غدا منه مراراً كي يتردى من رؤس شواهق الجبال، فيتمثل له جبريل ويقول له: يا محمد إنك رسول الله حقاً، فيسكن لذلك قلبه.

وعندما عاد للأهل وللحرم	فراح تحو جراء حسب عاداته
بهية أدهشت ناساً أولي	رأى الرسول علي الجؤ
للبيت دثره الخدام بالحشم	فصار في قلبه رعب وإذ
آمرة سعيه في النصح للأمم	فنزلت سورة المدثر بصفاً ⁽¹⁵⁾
مبشراً منذراً لصاحبي الهمم	فراح يدعو الأنام تحو طاعته
بربهم دون ما يؤس ولا نقم	فآمن الناس من صنفي
أسماء بنت أبي بكر على	خديجة من نساء البيت آمنة
	<34>

فاطمة بنت خطاب أبي	وزوجة العم عباس على
ومن صغارٍ كبير القدر سيدنا	علي الحيدر الصمصام ذو
منهم أبو بكر الصديق	عثمان أهل الحيا والجود
سعد سعيد ابن زيد وأبو	وعبد الرحمن ابن العوف ذو
أبو عبدة أهل الزهد	وطلحة وزير من اولي
وابن مظعون عثمان	مع أخوين له في ذروة
وغيرهم من اناس أهل	من سابقين إلى الإحسان
وكنت تدعو أولي العرفان	ودين توحيد رب الخلق

قولي: (فراح نحو حراء.. إلى آخره) بيانه: أنه صلى الله عليه وسلم بعد لقاء جبريل في المرة الأولى ورجوعه من الغار الى الدار وعرض حاله على خديجة ثم على ورقة بن نوفل.. توقف عنه الوحي مدة فصار متأثراً جداً، حتى في بعض الأوقات يريد أن يذهب الى شاهق ويلقي نفسه لكنه عند ذلك ينادى غيباً: يا محمد إنك لرسول الله حقا.. فتهدأ حالته، وبعد مدة رجع الى غار حراء حسب عادته السابقة، وبقي شهرا يتحنث فيه، وبعد ذلك رجع الى داره كالمعتاد، وبينما هو في الطريق نودي من أطرافه، ولما

التفت يمنة أو يسرة لم ير شيئاً فنظر الى السماء فرأى شيئاً مدهشاً فلم يسكن بقلبه عند رؤيته وأخذ الرعب واستمر في الرجوع حتى وصل داره. فقال: زملوني، زملوني، فزملوه حتى زال عنه الرُّوع ونزلت عليه ﷻ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنذِرْ (2) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (3) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (4) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (5) وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (6) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (7) فقام من الدثار، وأخذ في التبليغ والبشارة وأول من آمن به من النساء زوجته خديجة رضي الله عنها ومن الرجال أبو بكر الصديق، ومن الصغار علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه وعمره عشر سنين، ومن الموالي زيد بن حارثة، ومن العبيد بلال، ثم أسلم عثمان بن عفان، والزبير بن العوام وعبدالرحمن بن عوف، وسعد ابن أبي وقاص، وطلحة بن عبدالله بدعاء أبي بكر الصديق، فجاء بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استجابوا له فأسلموا، ثم أسلم أبو عبيدة عامر بن عبيد الله بن الجراح، وأبو سلمة بعد تسعة أنفُسٍ، والأرقم بن أبي الأرقم المخزومي، وعثمان بن مظعون الجمحي، وأخواه قدامة وعبد الله، وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، وسعيد بن زيد، وامراته فاطمة بنت الخطاب.

وأول امرأة أسلمت بعد خديجة أم الفضل زوج العباس، واسماء بنت أبي بكر، ودخل الناس في الإسلام أرسالاً من الرجال والنساء واستمر صلى الله عليه وسلم في الدعوة مستخفياً مدة ثلاث سنين من النبوة كما في المواهب اللدنية، حتى دخل في السنة الرابعة فنزل قوله تعالى ﷻ قَاصِدْعُ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﷻ فجهر صلى الله عليه وسلم بالدعوة ومعارضة المشركين، فأجمعوا على خلافه إلا من عصمه الله بالإسلام، وحَدَّبَ عليه عمه أبو طالب وقام دونه، واشتد الأمر وتضارب القوم وتآمرت قريش على من أسلم منهم، ومنع الله رسوله منهم بعمه أبي طالب، وببني هاشم غير أبي لهب وبني مطلب. وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه: أول من أظهر الاسلام سبعة، رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمار، وأُمُّه، سُمَيَّة، وصهيب، وبلال، والمقداد. فأما رسول الله

صلى الله عليه وسلم فمنعه الله تعالى بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون يعذبونهم، فألبسوه أدراع الحديد، وصهروهم في الشمس، وأن بلالا هانت عليه نفسه في الله عز وجل، وهان على قومه فأخذوه فأعطوه الولدان، فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول: أحد، أحد، ثم أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه في الهجرة إلى الحبشة، وذلك في رجب سنة خمس من النبوة، فهاجر إليها ناس ذووا سعة وعدد. منهم من هاجر بأهله، ومنهم من هاجر بنفسه، وكانوا أحد عشر رجلاً وأربع نسوة، وأميرهم عثمان بن مظعون. وكان أول من خرج عثمان بن عفان مع امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبطأ عليه خبرهما فقدمت امرأة فقالت: رأيتهما وقد حمل عثمان امرأته على حمار. فقال صلى الله عليه وسلم: ((إن عثمان لأول من هاجر بأهله بعد لوط)). فلما رأت قريش استقرارهم في الحبشة وأمنهم. أرسلوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة بهدايا وتحف من بلادهم إلى النجاشي، وأسمه أصحمة. وكان معهما عمارة بن الوليد ليردّوهم إلى قومهم. فأبى ذلك وردهما خائبين بهديتهما. وأسلم عمر بن الخطاب بعد حمزة رضي الله عنهما وذلك في السنة السادسة من النبوة بعد هجرة حبشة بسنة، بثلاثة أيام بعد إسلام حمزة، فيما قاله أبو نعيم بدعوته صلى الله عليه وسلم اللهم أعز الإسلام بعمر ابن هشام أو بعمر بن الخطاب، وكان المسلمون آنذاك بضعة وأربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما أسلم عمر قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم: (استبشر أهل السماء بإسلام عمر). ولما رأت قريش عزة النبي صلى الله عليه وسلم بإسلام عمر وعزة أصحابه بالحبشة وانتشار الإسلام في القبائل أجمعوا على أن يقتلوا النبي صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك أبا طالب، فجمع بني هاشم وبني المطلب، فأدخلوا رسول

الله صلى الله عليه وسلم شعبهم ومنعوه ممن أراد قتله، وأجابه حتى كفارهم. فعلوا ذلك حمية. فلما رأت قريش ذلك اجتمعوا واثتمروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم على: أن لا ينكحوا إليهم ولا يُنكحُوهم، ولا يبيعوهم شيئاً، ولا يبتاعوا منهم، ولا يقبلوا منهم صلحاً أبداً حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل. وكتبوه في صحيفة بخط بغض بن عامر فشُلَّتْ يدهُ. وعلقت الصحيفة في جوف الكعبة هلال المحرم سنة سبع من النبوة. فانحاز بنو هاشم وبنو مطلب الى أبي طالب فدخلوا معه في شعبه، إلا أبا لهب فكانوا مع قريش. فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا حتى جُهدوا، وكان لا يصل إليهم شيء إلا سيرا.

وروى البخاري في صحيحه أنه صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم وسجد وسجد معه المسلمون والمشركون. ولما سمع بذلك من في الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم نفر منهم لظنهم أن أهل مكة قد أسلموا كلهم وصلوا معه صلى الله عليه وسلم وقد آمنَ المسلمون بمكة. فأقبلوا سِراعاً من الحبشة.

ثم هاجر المسلمون الهجرة الثانية إلى أرض الحبشة وعدتهم ثلاثة وثمانون رجلاً وثمانى عشرة امرأة، وكان معهم عُبَيْدُ الله بن جحش ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان، فتنصّر هناك، ومات على دين النصرانية. وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة بنت أبي سفيان، سنة سبع من الهجرة الى المدينة وهي بالحبشة. ثم قام رجال في نقض الصحيفة فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على أن الأرضة أَكَلَتْ جميع ما فيها من القطيعة والظلم، فلم تَدَعِ إلا أسماء الله تعالى فقط. فلما أنزلت لتمزقُ وجدت كما قال صلى الله عليه وسلم، وذلك في السنة العاشرة التي اتت عليه صلى الله عليه وسلم بعد النبوة.

تدعو لتوحيد رب العالمين، لترك الإعزاز والاقبال

وكنـت تدعو إلى الإدراك
وكنـت تنشر فوحات العطور
وكنـت ترجم بالآيات كالشهب
فثارت ثائرة الكفار عن
وعذبوا أهل دين الحق من
بالهتك والفتك والتعذيب دون
كضرب عمار، أو قتل
ومثل تحقير بلال دون داعية
حتى تعدوا على شخص
وكل ذلك للإشراك بالصنم
من شر إشراك عمرو بن
وبعد وضعه في البيت
<39>

للعقل، للعلم، للإعلاء
أدمغة الناس في الحل وفي
فوج الشياطين ممن يأتي
وحقد نفس لسوء الفعل
بكل ما ليس يرجي من
ولا رعاية رحم فيه أو رحم
أمر أبي جهل المشهور
سوى أحد أحد في موطن
يخالف العرف والآداب في
ولللضلال الذي قد شاع في
بالصنم من بلاد الشام
بالجهل والكفر والإشراك

فأستصوب السيد العالي
فهاجر المسلمون نحو أرض
وبينهم ابن عفان تصاحبه
قد استقروا ونال الناس
وأوفد المشركون نحوه
وردهم خائبين صاحب
وقد علا نور توحيد الإله الى
وأنت في روح روح القدس
هذاك يصلى لهيب النار
وأشتد غصبة أهل الشرك
بقومه من بني هاشم
أتى به ثم آواه بشعبه إذ
<40>

هجرة من أسلموا لخارج
مخافة الظلم والتعذيب
رقية بنت مولى كل ذي
من فضل أصحمة
لرجعة القوم للإشراك
وأكرم المسلمين من هدي
علا السماوات نحو اللوح
لا تأبي لهب، ولا أبي الحكم
وذاك يقتل في بدر على
لقتله فحماء العم بالهمم
سوى أبي لهب الملهوف⁽¹⁶⁾
كانوا حماة له بالعهد والذمم

فكتب المشركون رقعة
ساعاتها سبعة نالوا عقابهم
وكم رأوا خارقات منه معجبة
كسجدة الشجر تأييد رُتبته
لاسيما بارق القرآن إذ نزلا
ونشر الأحكام علما كانت او
و نصر توحيد رب العالمين
ومدح أعمال قوم قد مضوا
وذكر الإيمان بالله وبالملك
وبالقضاء من الله وبالقدر
وبحث نار جحيم ذات ملهبة
والوعد باللذة العظمى لأهل
<41>

حصار من نزلوا بالشعب
شلت يد الكاتب المشئوم
وكم رأوا بارقات منه
والشق للقمر أعجب ندا
بنور الإرشاد والايفاظ للهمم
وعبرة الناس بالإهلاك للأمم
بما أفاد من البرهان بالحكم
في نصرة الحق والأخلاق
والتب والرسل أهل
واليوم الآخر بعد البعث
وذكر فوز نعيم الخلد والنعم
مع الوعيد لأهل الكفر

وبحث أوضاع هذا الكون
وفعل ما ناسب الإنسان من
فأمن السعداء أهل منقبة
حتى تمزق رق الهجر اذ
وقد سعت عصابة في عود
لنرجعن نحو أهل الهجرة
قد سمعوا أن أهل الشرك
ظنوا أمانا وإيماننا ومكرمة
لكنهم إذ أتوا قد أيقنوا أنهم
فرجعوا ثانيا بالغم والأسف
بقوا هناك الى سير الرسول
وقد بقي حضرة المولى
<42>

على نظام دقيق جامع
وفعل ما زانه كالوصل
وزاد للأشقياء الخوض في
ديدان سوس سوى اسم
فعاد كل الى مأوى الهدى
الساكنين ديار الغرب بالألم
سجدوا مع الرسول لذي
لذلك قد رجعوا لموطن
باقون في حالهم من شدة
من حال أصحاب سوء
مدينة طيبة⁽¹⁷⁾ بالعز
أعلى بمكة بالعلو وبالشمم

لكن ترى عادت الهيّفا
والمسلمون بصبر حول
سبحان من خلق الأشخاص
والكافرون كأنعام بلا نظر
وبينما هو في أيام دعوته
وفاة عم عزيز كامل شرفا
وفوت عائلة في الخير عاملة
فصار عامك عام الحزن
وزاد في الحزن طغيان
وعند ذلك سافرت لنشر
بقيت شهراً لديهم ما أجاب
أذك أذك حتى صرت
<43>

صاروا أشد من الماضي
كأنجم جاليات في غلا
في الخلق والخلق والأعمال
إلى خوارق تبدو في دجى
قد فاجأته وفاتان مع الألم:
في الذود عن نفس عين
من أهل نائلة للجود بالنعمة
الله يحفظكم من صدمة
بكل ما عندهم من موجب
للطائف العاكف في موجة
ولا رأى وجهكم بالبشر
من بين أهل الأذى بالصبر

رجعت بالهم لكن زاد روحك
وفي طريقك قد وافاك خادم
عداس جاءك بالأعنان من
بسملت لما بدأت بالتناول
فاستسلم الخادم الجائي
صَرَفَ نحوك من جن نصيين
وبعدما استمعوا لقومهم
وصلت أم القرى استجرت
أتاك عهداً على عونك في ما
بقيت معتمداً في نشر دين

أنوار حق أتت للروح بالكرم
له بكم صلة في القرب
أولئك الأقرباء البعد عن
فاكهة وصلت من مخزن
سمع منك من الألفاظ
في طريقكم نفراً بالحق
وبالهدى نفعوا بهذه الكلم
بمطعم بن عدي صاحب
من كل كارثة تأتي من
ولو بدا ما بدا من طالبي

قولي: (وكم رأوا خارقاً الى آخر الآيات) إعلام بما وقع منه
صلى الله عليه وسلم من الخوارق والفضائل الأخلاقية،
والصبر، والصدق في دعوته لا سيما بعد وفاة عمه أبي طالب
في العام العاشر من النبوة، ووفاة زوجته الكريمة خديجة بنت
خويلد الأسدي، بعد وفاة عمه بثلاثة أيام كما

نقل، وتشديد المشركين عليه وعلى أتباعه قبل ذلك في أوائل الهجرة الأولى منهم إلى الحبشة ومدتها، وعند رجوعهم إلى مكة وتكرار الهجرة إليها خوفاً من إيذاء الكافرين، برغم ما ظهر من البوارق الدالة على صدقه في دعوى رسالته؛ فمنها كلام الشجر معه صلى الله عليه وسلم ففي الأنوار المحمدية: روى الحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فأقبل اعرابي فلما دنا منه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أين تريد؟

قال: إلى أهلي. قال: هل لك إلى خير؟ قال: ما هو؟ قال: تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله. قال: هل لك من شاهد على ما تقول؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذه الشجرة، فدعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي بشاطئ الوادي، فأقبلت تَحْدُ الأرض (تشقها)، فقامت بين يديه، فاستشهدها ثلاثاً، فشهدت، ثم رجعت إلى منبتها! رواه الحاكم وغيره.

ومنها انشقاق القمر بإشارته صلى الله عليه وسلم إليه.

قال العلامة في شرحه لمختصر ابن الحاجب: والصحيح عندي أن انشقاق القمر متواتر منصوص عليه في القرآن ومروي في الصحيحين وغيرهما. وله طرق شتى بحيث لا يمتري في تواتره (إنتهى).

وفي الترمذي من حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر). قال: قد كان ذلك في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انشق فلقين فلقة دون الجبل وفلقة خلف الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا. وعند الإمام أحمد من حديث جُبَيْر بن مطعم، قال: انشق القمر على عهد رسول الله فصار فرقتين، فرقة على هذا الجبل، وفرقة على هذا الجبل. فقالوا سَحَرْنَا مُحَمَّدًا. فقالوا: ان كان سَحَرْنَا فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس. قال ابن عبد البر، وقد روى

هذا الحديث (اي حديث انشقاق القمر) جمع كثير من الصحابة وروى ذاك عنهم أمثالهم من التابعين.

وقد روى من طرق كثيرة أنه صلى الله عليه وسلم انشق القمر على عهده صلى الله عليه وسلم، ونص الباري موجود، وهو: **﴿اَفْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾**. ويريد وروده في عهده صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى: **﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾**. ولو كان للمشركين تدبر في القرآن الكريم، وفي وعده ووعيده، وبيان توحيده وإخباره عن الماضي، قربه وبعيده، وبيان الأمور الغريبة التي لم يعلمها أحد، ومغايرة أسلوب القرآن الكريم لأسلوب العرب، لآمنوا بلا توقف بأن سيدنا محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن هذا القرآن كلام الله تعالى، ولا مجال لإنسان لم يقرأ ولم يدرس ولم يمارس أهل العلم أن يأتي بهذا الكلام، ولكن الله يختص برحمته من يشاء.

ورسالته صلى الله عليه وسلم إلى الخلق، ودعوته لهم إلى التوحيد، وصدقه في دعواه الرسالة أظهر من الشمس، ولا يحتاج إلى إظهار للمعجزة لمن ينظر بالشعور السليم إلى أخلاقه العظيمة الكريمة، وصبره على ما ابتلي به من المشركين، لاسيما بعد وفاة عمه أبي طالب وفوت عائلته الشريفة، المؤمنة، الآمنة، الخادمة للرسول صلى الله عليه وسلم فطوبى لمن ينظر إلى هذه الأمور بدقة وإنصاف.

ولما أتت عليه صلى الله عليه وسلم تسع وأربعون سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يوماً، كما ذكره صاحب الأنوار المحمدية، مات عمه أبو طالب وله سبع وثمانون سنة في السنة العاشرة من نبوته صلى الله عليه وسلم وقبل هجرته بثلاث سنين، ثم بعد ذلك بثلاثة أيام وقيل بخمسة أيام توفيت خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها وكان صلى الله عليه وسلم **﴿** يسمى ذلك العام عام الحزن، وكانت مدة إقامتها معه صلى الله عليه وسلم

خمسا وعشرين سنة على الصحيح، وبعد أيام من وفاة خديجة رضي الله تعالى عنها تزوج صلى الله عليه وسلم بسودة بنت زمعة رضي الله عنها، ثم خرج إلى الطائف لما ناله من أذى قريش، وكان معه زيد بن حارثة فأقام به شهراً، يدعو أشراف ثقيف إلى الله تعالى فلم يجيبوه، وأذوه، ولما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف مر في طريقه بعتبة وشيبة ابني ربيعة، وهما في حائط لهما، فلما رأياه تحركت له رحمهما.

فبعثا له مع عداس النصراني غلامهما قطف عنب. فلما وضعه بين يديه ووضع صلى الله عليه وسلم يده في القطف. قال: بسم الله، ثم أكل، فنظر عداس إلى وجهه ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة. فقال صلى الله عليه وسلم: من أي البلاد أنت؟ وما دينك؟ قال: نصراني من أهل نينوى. قال صلى الله عليه وسلم: من قرية الرجل الصالح يونس بن متي؟ فقال: وما يدريك؟ قال: ذاك أخي، وهو نبي مثلي. فأكبَّ عداس على يديه ورأسه ورجليه يقبلها وأسلم. ولما نزل تَحَلَّة (وهو موضع على ليلة من مكة) صرف إليه سبعة من جن نصيبين. وكان صلى الله عليه وسلم قد قام في جوف الليل صلى، فاستمعوا له وهو يقرأ سورة الجن والذي أذنه بهم شجرة، وفي طريقه هذه دعا صلى الله عليه وسلم بالدعاء المشهور، اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس يا أرحم الراحمين، أنت أرحم الراحمين، وأنت رب المستضعفين، إلى من تكلني؟ إلى عدو بعيدي يتجهمني، أم إلى صديق قريب ملكته أمري؟ إن لم تكن غضباناً علي فلا أبالي، غير أن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أضاءت له السماوات، وأشرق له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي غضبك أو يحل بي سخطك ولك العتبي حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله).

ثم دخل صلى الله عليه وسلم مكة في جوار المطعم بن عدي، وبقي في دعوته الناس إلى الله تعالى وتوحيده.

السعد الخامس

من ثلة الكفر والإشراك
بموجب الرتبة العظمى لدى
من الخطاب خطاب الحق
حضور مولاه دون كيفه وكم
يدعو الرسول لإسراء بلا
في طي أرض بلا تعب ولا
في طرفة العين من حرم
لوصف الأقصى يراعى عند
فصار في المسجد الأقصى
كخاصة فيه للرحمن ذي

لجبر ما جاء من بلوى ومن
سلاه مولاه إذ والاه بالكرم
رتبة الاسراء والمعراج
من اللقاء وتقديم التحية في
فجاءه الملك جبريل بالأدب
على براق كبرق النور
سبحان من خالق اسرى به
من كعبة الله نحو المسجد
واستقبلته النبيون بمكرمة
صلى بهم فيه تشريفا
<48>

واستقبلوه بأجسام منورة
كما تمثل جبريل الأمين إذا
والملكين لدى داود إذ صعدا
وشخص موسى وعيسى عند
رأهما إذ أتى حج الوداع على
فالرسل والأنبياء وكذا
وهذه الصورة العليا لهم^(١٨)
والروح في برزخ له التشكل
وبعد ذا صعد الرسول ذو
وقد رأى ما رأى عند العروج
في سدرة المنتهى مقام
وبعد ما أنتهى العروج
<49>

هي المثالية العليا على قمم
جاء لوهي بشكل دحية
محرابه لخصام كان ذا حكم
بصورة الشاب من أزد على
لبيك لبيك للرحمن ذي
أجسامهم ذات تمثال مع
لأهل قدر أتى بالفضل
مثال ما ناسبت للقدر
على البراق الى ما فوق كل
فوق السماوات من قدر
والبيت ذي الوصف
وقف جبريل وقف العاجز

فقال له: لو دنوت قدر أنملة
ومن هنا قد علا لحيث شاء
وزج حضرته في نور هيئته
حيا الإله حبيب الحي بالأدب
الله اعلم ما قد كان يدركه
حيًا وسلم مولانا على ادب
ناجيته ولقد ناجاك بالكرم
لا كيف، لا كم، لا مقدار في
فقرر الملك القدوس
معراج الأرواح من أفراد أمته
صبح وظهر وعصر مغرب
وهي المناجاة مع مولى
<50>

قد احترقت فلا ميدان
برفرف الجذب للموصوف
مغمورة في تجلي الفيض
وجأوب الحق بالأعلى من
من فيض أنوار رب وافر
على الإله بكل الروح
من دون ريب ولا قدح ولا
لا يدرك العقل ما قد لاح
بخلعة التاج والمعراج للأمم
وتاج الافراج منكم يا أبا
وهي المصاييح للأرواح في
وهي النجاة عن الأوزار

فرض الرسول وفرض عين
وعاد للأرض مثل البرق في
وبعدما أصبح الصبح بنور
فاز بتصديقه الصديق إذ
جبريل في ظهره اتى
والصحب في الاقتدا لحضرة
وكرر الأمر يومين على مهل
كذلك قرر هذا الركن للأبد
وصادت ليلة الإسراء ذي
قولي: (لجبر ما جاء... الى آخر الآيات) بيانه: اولا أن الله
سبحانه وتعالى خلق الإنس والجن للعبادة، ولا يمكن العبادة الا
بالعلم والمعرفة، وأرسل الرسل الكرام عليهم السلام لنشر
معرفة الله تعالى وعبادته، ولما كانتا مخالفتين لهوى النفس،
كان الناس أكثرهم يخالفون الرسل ويؤذونهم، وإن افضل
الرسل فعلاً وعقلاً سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقد
أوذي في سبيل نشر دين الإسلام، وتوجيهات الباري ايداءاً
<51>

ما دام تبقى على عقل بلا
من الزمان كلحظ العين او
أعلن ما ناله من نائل النعم
وسائر الصحب أهل الفضل
صلّى اماما في بقعة الحرم
أكرم باهل الوفاء في الحل
ليستين⁽¹⁹⁾ براء الوقت مع
أكرم بمن قد وفى بالصدق
السابع التالي للعشرين من
قولي: (لجبر ما جاء... الى آخر الآيات) بيانه: اولا أن الله
سبحانه وتعالى خلق الإنس والجن للعبادة، ولا يمكن العبادة الا
بالعلم والمعرفة، وأرسل الرسل الكرام عليهم السلام لنشر
معرفة الله تعالى وعبادته، ولما كانتا مخالفتين لهوى النفس،
كان الناس أكثرهم يخالفون الرسل ويؤذونهم، وإن افضل
الرسل فعلاً وعقلاً سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقد
أوذي في سبيل نشر دين الإسلام، وتوجيهات الباري ايداءاً

كثيراً وزاد اسفه يوماً على يوم كما انه زاد أجره آنأ فآنا، ولما اشتد عليه الأذى وضاق صدره، سلاه ربه وفرح قلبه، بأن فتح عينه ليرى ملكوت السموات والأرض، لا بالفكر فقط، كأبيه إبراهيم عليه السلام بل بفكره ونظره معا، ولذلك منحه رتبة الإسراء والمعراج، اللذين هما من أعظم الخوارق من جهات كثيرة فطي المسافات البعيدة، وعروج المادة الى جهة العلو، ورؤية ما لا يرى عادة.

وبينما هو صلى الله عليه وسلم في بيت عمته أم هانئ في جانب الكعبة الشريفة، نزل عليه جبريل بخرق سقف البيت، وسلم عليه، وأخبره: بأن الله تعالى يدعوه للإسراء من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى، وبالعروج منه الى ما فوق السموات، ومنه الى ما شاء الله من الدرجات العالية.

وكان معه المركوب المشهور باسم البراق، وهو حيوان أصغر من البغلة، فركبه، وكان يتحرك كحركة البرق الخاطف، حتى وصلا الى المسجد الأقصى (بيت المقدس). وأحيا الله تعالى جمعاً من الرسل الكرام، أي جعل منهم⁽²⁰⁾ صوراً مثالية، وظهروا في صورة المستقبلين له صلى الله عليه وسلم وهناك صلى بهم ركعتين نافلة، كانت للعبادة والتشريف والتحية لله تعالى، لا لأداء العمل المكلف، وبعد ذلك ركب البراق أيضاً بإرشاد جبريل، وعرج به الى السماء الاولى، ثم الثانية الى السماء السابعة. وقد رأى في السماء الاولى سيدنا آدم أبا البشر عليه السلام، وفي السماء الثانية سيدنا يحيى وعيسى، وفي الثالثة سيدنا يوسف، وفي الرابعة سيدنا إدريس، وفي الخامسة سيدنا هارون، وفي السادسة سيدنا موسى، وفي السابعة سيدنا إبراهيم. وتفصيل ما جرى في تلك الدرجات الصعدت مذكور في الصحاح والمسانيد فليراجعها من شاء.

<52>

ثم صعد به وعرج به جبريل الى المحل الموسوم بسدرة المنتهى، لأنها نهاية مقام يصل إليه الملائكة المأمورون في السموات والأرض، وزار بيت المعمور.

ويشير الى ذلك قوله تعالى: ﴿أَفْتَمَارُوتُهُ عَلَى مَا يَرَى (12) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (13) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى (14) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (15) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (16) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (17) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾.

وهناك توقف، جبريل عن سيره معه صلى الله عليه وسلم واعتذر بقوله المشهور: لو دنوت قدر أنملة لاحتقرت، فجذبه صلى الله عليه وسلم من هناك الجاذب القدسي الغيبي المعروف باسم (رفر ف) إلى ما فوق العرش، مما شاء الله تعالى من الدرجات العلى حتى أنه علم لوجدانه أنه وصل الى مقام خطابه مع ربه فحيّاه، وسلم عليه، فجاء الجواب منه تعالى بإكرام بدون أي توهّمات، واشتباهاً على طريق حصول العلم الضروري للإنسان، وليس هذا الوصول مبنياً على أن لله تعالى مكاناً ومحللاً معيناً لبراءة الباري تعالى عن الاحتياج الى الزمان والمكان، ونسبة جميع العالم إليه على السواء، فكان يمكن أن يتكلم مع رسوله في مكة بدون العروج به الى ما فوق العرش، بل أراد أن يفتح عينيه الباصرتين على ملكوت السموات والأرض، ويعرج به إلى حيث لم يعرج إليه غيره. ثم أن الله تعالى فرض عليه وعلى أمته خمسين صلاة في كل يوم وليلة، وبعد أن رجع الى الارض صادف سيدنا موسى عليه السلام وطلب منه أن يترجي التخفيف في الواجب، فراجع مراراً حتى جعلها خمساً في كل يوم وليلة، ولما وصل عليه السلام الى الأرض وأصبح الصباح أعلن إسراءه ومعراجـه، وفرض الصلوات، فأمن به الصديق أبو بكر، وباقي الصحابة، وأنكر عليه المشركون، حتى طلبوا منه صلى الله عليه وسلم وصف قافلتهم التي سارت نحو القدس، ففتح الله تعالى لرسوله⁽²¹⁾ ووصف بيت المقدس، وما اقترب

<53>

منه، ووصف القافلة ومقدمتها وصفاً كاملاً موافقاً للواقع، ومع ذلك، استمروا على كفرهم وإنكارهم لذلك، والله تعالى غني عن العالمين.

وفي ظهر يوم تلك الليلة نزل جبريل عليه السلام على الرسول، وصلى به الظهر في أول الوقت بعد الزوال والعصر عند مصير ظل الشيء مثله، ثم المغرب بعد الغروب، ثم. العشاء بعد مغيب الشفق، والصبح أول طلوع الفجر الصادق، ثم صلى به في المرة الثانية في أواخر الأوقات وقال له: الوقت ما بين الوقتين. والناس في تلك الصلوات يقتدون بالرسول ﷺ ولا يرون جبريل، وإنما الرائي هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، والافتداء بالمقتدي كذلك جائز، بل واجب، وهذه نبذة من الإسراء والمعراج والتفصيل في موضعه.

ثم إن الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثابت، بنص الكتاب وإنكاره كفر، وأما المعراج على ما ذكر فتأبث بالحديث، والإيمان به واجب، ولكن إنكاره ليس كفرًا، بل هو بدعة. لأن الله تعالى على كل شيء قدير. والكائنات كلها في قبضة قدرته، وليس الصعود والنزول لشخص إنساني نسبته كذرة من الكائنات لشيء يستحيل عقلاً، والمعراج: خرق العادة، والإيمان بخرق العادة عبادة وسعادة.

ومن تفكر في المجموعة الشمسية، ودورانها حول الشمس على أقوال الرياضيين الجدد في كل سنة دورة، أو دور⁽²²⁾ الأرض على مركزها في كل أربع وعشرين ساعة دورة، لم يتفكر في شيء إلا في قدرة الله تعالى، وتصرفه المطلق في الكائنات لأنه بعد أن أنكر نسبة الحركات النظامية إلى الطبيعة الجاهلة الموصوفة بالاشعورية، علم أن محركها هو القادر القاهر فوق عباده.

والقادر القاهر له الخلق والأمر، وله التصرف بالإيجاد والإعدام، بمقدار كن فيكون، كما يفيد هذا المقصود العظيم كثير من الآيات البينات مثل قوله

<54>

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ وقوله الكريم: ﴿مَا خَلَقُكُمْ وَلَا بِعُتْنِكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ وقوله العظيم: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ ومعلوم أنَّ معجزة الإسراء والمعراج وبعبارة أخرى، ان هذه الخارقة إنما اعتبرت خارقة بالنسبة الى مجموع الجسد والروح كما ينادي عليه (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى) ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ وكلما ذكر العبد فالمراد به ذلك، مثل قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾

وقوله تعالى ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾ والإسراء بالرؤيا والمعراج بالمنام مما لا يتعجب منه للخواص والعوام، وهذه عقيدة المسلمين من السلف الصالحين.

وصادفت ليلة الإسراء السابيع والعشرين من رجب، على ما اختاره الحافظ عبد الغني المقدسي كما في الأنوار المحمدية.

وسيدي سيد السادات قد	بالاستقامة في أخلاق كلهم
فان أتت نعمة كافأها بالثنا	وان أتى تقمُ عدم من نعم
فكان عبداً بمعنى اللفظ	لذلك سماه عبداً وهو في
وبعد ما نال من عز ومن	ازداد في ذكره شكره للنعم
يسعى لدعوته في كل	يدعو الذين اتوا للطوف
فجاء في موسم الحج من	جمع شريف عليّ الشأن

<55>

وبعد عرضه آيات الهدى
هم ستة كلهم من أهل منقبة
وزاد من ذاك أهل الشرك
وبعد رجعتهم قد زاد طيب
في الموسم الثاني جاء من
وزاد صيت الهدى في الناس
في الموسم الثالث جاؤا
فازداد نور الهدى من عزم
وهكذا صار فجر الحق منبثقا

وأسلموا دينهم لله ذي
نالوا شرافة دين الحق
وهكذا حال أهل الحق
من الهوى بيان الخلق
خمسة وسبعون أتوه من
الأوس والخزرج المختار في
سبعون شخصا شريف
والحق حقا بدا علا على
من ضوئه استرشد الناس

قولي (وسيدي... الخ) بيانه: لما أراد الله تعالى اعزاز دينه جعل
في قلب الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعرض نفسه على
القبائل وبينما هو كذلك لقي رهطا من الخزرج، فعرض نفسه
عليهم، وقرأ عليهم آيات من القرآن الكريم، فأسلم منهم ستة،
وهم أبو أمامة أسعد بن زرار، وعوف بن الحارث بن رفاع،
وهو ابن عفراء، ورافع بن مالك بن العجلان، وقطبة بن عامر
بن حديدة، وعقبة بن عامر، وجابر بن عبد الله بن رباب، فقال
لهم

رسول الله: تمنعون ظهري حتى أبلغ رسالة ربي؟ فقالوا: يا رسول الله إنما كانت بعث عام أول يوم من أيامنا اقتتلنا به، فإن تقدم ونحن كذلك، لا يكون لنا عليك اجتماع، فدعنا حتى نرجع الى عشائرننا، لعل الله يصلح ذات بيننا، وندعوهم إلى ما دعوتنا، فعسى الله أن يجمعهم عليك، فإن اجتمعت كلمتهم عليك واتبعوك، فلا أحد أعز منك، وموعدك الموسم القابل وانصرفوا الى المدينة.

ولم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما كان العام المقبل لقيه اثنا عشر رجلا. وهي العقبة الثانية، فأسلم منهم خمسة من الستة المذكورين، ولم يكن فيهم جابر بن عبد الله بن رباب. والسبعة تنمة الاثني عشر هم: معاذ بن الحارث بن رفاعه وهو ابن عفراء أخو عوف المذكور قبلا، وذكوان بن عبد قيس الرزقي وعُباد بن الصامت، ويزيد بن ثعلبة البلوي، والعباس بن عباد بن فضلة، وهؤلاء من الخزرج، ومن الأوس رجلان أبو الهيثم بن التيهان من بني عبد الأشهل، وعويم بن ساعدة، فأسلموا، وبايعوا على بيعة النساء. أي وفق بيعتهن التي أنزلت بعد ذلك عند فتح مكة. وهي أن لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نفتري، ولا تأتي بيهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف، وبالسمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وأثرته علينا وأن لا تنازع الأمر أهله، وأن نقول الحق حيث كنا، وأن لا تخاف في الله لومة لائم، قال صلى الله عليه وسلم: ((فان وفيتم فلكم الجنة)). ثم انصرفوا الى المدينة، فأظهر الله الإسلام، وكان أسعد بن زرارة يجمع بالمدينة بمن أسلم، وكتب الأوس والخزرج إلى النبي صلى الله عليه وسلم: ابعث لنا من يقرئنا القرآن، فبعث اليهم مصعب بن عمير، فأسلم على يده خلق كثير من الأنصار منهم سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير، وأسلم بإسلامهما جميع بني عبد الأشهل في يوم

واحد، الرجال والنساء، حاشا الأصيرم، وهو عمرو بن ثابت بن وقش، فإنه تأخر إسلامه إلى يوم أحد فأسلم، واستشهد، ولم يسجد لله سجدة واحدة، وأخبر صلى الله عليه وسلم بأنه من أهل الجنة، ولم يكن في بني عبد الأشهل منافق، ولا منافقة، بل كانوا كلهم حنفاء مخلصين رضي الله عنهم أجمعين، ثم قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في العقبة الثالثة في العام المقبل في ذي الحجة أوسط أيام التشريق منهم سبعون رجلاً، وامرأتان.

وقال الحاكم: خمسة وتسعون نفساً، فكان أول من ضرب على يده صلى الله عليه وسلم للمبايعة البراء بن معرور، ويقال: أسعد بن زرارة على أنهم يمنعونه مما يمنعون منه نساءهم، وابناءهم، وعلى حرب الأحمر والأسود، فنقب عليهم اثني عشر نقيباً، ومكث صلى الله عليه وسلم عشر سنين يتبع الناس في منازلهم في المواسم، بمنى وغيرها، يقول: من يؤويني؟ من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي فله الجنة؟ حتى بعث الله له الأنصار رضي الله عنهم

وانتشرت دعوة الإسلام في
في دار ندوتهم بسفلة
بالليل في غسق، وشدة
في بيته حذراً من طالبي
إلى مدينته العليا في

وبعد ما تمت البيعة الثالثة
قد زاد في المشركين ثورة
قد قرروا قتل خير الناس
وجاء جبريل ينهاه عن
وبلغ الأمر بالهجرة عن
<58>

فخرج المصطفى عن بيته
راح إلى دار صديق على ثقة
وتابع المشركون السير
لكن صيانة ذات الحق
بعد ثلاث ليال خرجا بالهدى
مع اختيار طريق الساحل
ونزلاً خيمةً لأم معبد عن
وبعدما خرجا سارا على مهل
وفي الطريق رأوا سراقا
وعن عناية رب العالمين
خوارق الهجرة المبروكة
منها عمى المشركين
<59>

عليّاً عن أمره في البدء
وخرجوا نحو غار الثور بالقدم
ووصلوا الغار بالحقد
بالنسج والهدر للحمامة
وسافرا باعتماد الله ذي
لبعده عن نفوذ الكفر
راحة نفس من الأتعاب
للاعتصام على الرحمن ذي
جاء لأخذهما في الحل
عن كيده بأمان الله ذي
زادت على الضبط والتحرير
في باب داره دون العمى

منها حمامة باب الغار إذ
والنسج للعنكبوت طبق بابه
سراقة قد أتى معقبا بجفا
لما رآه الرسول صار مقتربا
فقاد مركوبه في الأرض من
وعند ذا وعد المولى بان له
واذكر كرامته في خيمة
كانت لها الغنم العجماء دون
وهذه قطرة من بحر همته
فوصلا بالصفاء إلى ديار الوفا

يعني فلو كان ناس فيه لم
شهدت بأن ليس فيه موضع
بمبلغ إبل دينار أو درهم
رمي إليه سهام القلب
قال معذراً بالتوب والندم
سوار تاج لكسرى صاحب
لام معبد المسعودة الشيم
آلت إلى نعمة في الجود
والبحر قد يرتجي منه مع
قوم بني عوف المعروف

ولما تمت هذه البيعة، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
من كان معه بالهجرة إلى المدينة فخرجوا أرسالا. وأقام صلى
الله عليه وسلم بمكة ينتظر أن يؤذن له في الخروج.

ثم اجتمعت قريش في دار الندوة يتشاورون فيما يصنعون في
أمره صلى الله عليه وسلم فأجمع أمرهم على قتله وتفرقوا
على ذلك. فأتى

جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: لا تبت هذه الليلة على فراشك. فلما كان الليل اجتمعوا على بابه، يرصدونه حتى ينام، فيثبوا عليه، فأمر صلى الله عليه وسلم عليا، فنام مكانه، وغطى ببرد أخضر، فكان أول من شرى نفسه في الله. ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اخذ الله على أبصارهم، فلم يره أحد منهم، ونثر على رؤسهم كلهم ترابا كان في يده، وهو يتلو قوله تعالى: ﴿يَس..﴾ إلى قوله ﴿فَأَعَشَيْنَاهُمُ فُهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ثم انصرف صلى الله عليه وسلم حيث أراد.

فاتاهم آت ممن لم يكن معهم، فقال: ما تنتظرون ههنا؟ قالوا: محمدا. قال: قد خيبكم الله، قد والله خرج محمد عليكم، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وضع على رأسه ترابا، وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم؟ فوضع كل رجل يده على رأسه، فإذا عليه تراب، فما أصاب رجلاً منهم حصاة إلا قتل يوم بدر كافراً، وفي هذه نزل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ الآية. ثم أذن الله تعالى لنبيه في الهجرة الى المدينة ليتشرف به المكان، كما تشرف به الزمان، ولما هاجر صلى الله عليه وسلم إليها شرفت به حتى وقع الإجماع على أن أفضل البقاع الموضع الذي ضم أعضاءه الكريمة صلى الله عليه وسلم.

وخرج من مكة هلال ربيع الأول، وقدم المدينة لاثنتي عشرة خلت منه. وأمره جبريل أن يستصحب أبا بكر رضي الله عنه.

وأخبر صلى الله عليه وسلم عليا بمخرجه، وأمره أن يتخلف بعده حتى يؤدي الودائع التي كانت عنده للناس، وأتى دار أبي بكر مستخفيا، فاستصعبه، وسأله أن يأخذ إحدى راحلتيه، فأبى صلى الله عليه وسلم إلا بالثمن ليستكمل فضل الهجرة. قالت عائشة: وجهزناهما أحبّ الجهاز، ثم لحق صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار ثور (وهو جبل بأسفل مكة) ونظر صلى الله عليه وسلم حين خروجه الى البيت فقال: والله

انك لأحب أرض الله إليّ، وانك لأحب أرض الله الى الله، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت. ولما فقدت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبوه بمكة أعلاها وأسفلها، وبعثوا القافة أثره في كل جهة وجعلوا مائة ناقة لمن رده، فلم يظفروا به، وأنبت الله على باب الغار شجرة (ام غيلان) وأمر العنكبوت فنسجت على فم الغار، وأرسل حمامتين وحشيتين، فوقفتا على وجه الغار، وحمام الحرم من نسل تينك الحمامتين.

وأقبل فتیان قريش من كل بطن حتى وصل بعضهم الغار، وصدهم وجود الحمامتين، وقال أحدهم: ادخلوا الغار، فقال أمية بن خلف: إن فيه لعنكبوتا أقدم من ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم.

وروي أن الحمامتين باضتا في أسفل النقب، ونسج العنكبوت، فقالوا: لو دخلاه لكسر البيض، وتفسخ نسج العنكبوت، وهذا أبلغ في الإعجاز من مقاومة القوم بالجنود.

وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال: ((اللهم أعم أبصارهم))، فعميت عن دخول الغار، وجعلوا يضربون حوله يمينا وشمالاً.

وفي الصحيحين، عن أنس قال أبو بكر: ((يا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لو أن أحدهم نظر الى قدميه لرآنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟)) وروي أن أبا بكر دخل الغار قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقية بنفسه، وإنه رأى جحرا فيه، فألقمه عقبه حتى لا يخرج ما يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع رأسه في حجر أبي بكر، ونام؛ فلدغ أبو بكر ولم يتحرك، فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: مالك يا أبا بكر؟ فقال: لِدَغْتُ، فذاك أبي وأمي، فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده.

وروي: أنه لما رأى القافة اشتد حزنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: إن قُتِلْتُ فإنما أنا رجل واحد، وإن قتلت أنت هلكت الأمة. فعند ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تحزن إن الله معنا)) (يعني بالمعونة والنصر) فأنزل الله سكينته (وهي أمانة تسكن عندها القلوب) على أبي بكر رضي الله عنه لانه كان منزعجا، وأيده (يعني رسول الله) بجنود لم تروها، (يعني الملائكة) ليحرسوه في الغار، وليصرفوا وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته. ومكث صلى الله عليه وسلم هو وأبو بكر في الغار ثلاث ليالٍ، وكان يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر، وهو غلام، فيدلج من عندهما بسحر، فيصبح بمكة، فحين يختلط الظلام، يأتيهما بخبر ذلك اليوم. ويروح عليهما بعد العشاء، عامر بن فهيرة، مولى أبي بكر: بغنم فيكتفيان من لبنها، واستأجرا عبد الله بن الأريقط دليلاً، وهو كافر لم يعرف له اسلام، فأتاهما براحليتهما بعد ثلاث ليالٍ، وانطلق معهما هو وعامر بن فهيرة على طريق السواحل فمروا بقديد على أم معبد (عاتكة بنت خالد الخزاعي) فطلبوا لبناً أو لحماً يشترونه منها فلم يجدوا عندها شيئاً، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاة في كسر الخيمة، خلفها الجهد عن الغنم، فسألها: هل بها من لبن؟ فقالت: هي أجهد من ذلك، فقال: أتأذنين لي أن أحلبها؟ فقالت: نعم بأبي أنت وأمي، إن رأيت لها حلباً فاحلبها فدعا بالشاة، فاعتقلها، ومسح ضرعها، فدرّت ودعا بإناء يشبع الجماعة، فحلب فيه وسقى القوم حتى رؤوا، ثم شرب هو آخرهم، ثم حلب فيه مرة أخرى عللاً بعد نهل، ثم غادره عندها وذهبوا. فما لبث حتى جاء زوجها أبو معبد يسوق عنزاً عجافاً، فلما رأى اللبن عجب، وقال: ما هذا يا أم معبد؟ قالت: إنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا، فقال: صفيه. فوصفته بأحسن الأوصاف. فقال هذا والله صاحب قريش لو رأيته لأتبعته.

وبقيت هذه الشاة الى خلافة عمر بن الخطاب تحلب صباحاً ومساءً.

ثم تعرض لهما بقديد سراقة ابن مالك المُدلجي. فبكى أبو بكر وقال يا رسول

الله صلى الله عليه وسلم: أُتِينَا. قال: كلا، ودعا رسول الله بدعوات فساخت قوائم فرسه، وطلب الأمان، وقال: أعلم أن قد دعوتما عليّ، فادعُوا لي، ولكما أن أرد الناس عنكما، ولا أضركما، قال: فوقفا لي فركبت فرسي حتى جئتهما، فأخبرتهما خبر ما يريدون.

والناس إذ سمعوا هجرة خير
ويطلعون من البيت لنيل
من طول ما لبثوا في طلعة
وبينما هم كذا من يأتيهم عن
هيا بني قيلة ها قد أتى
فاستقبلته بنو عمرو بن
وأكرمهم بما يليق في
وهاجر الحيدر الكرار بعد
وحقق النووي أن نزول النبي
بقوا بها أربع عشر يوما كما
<64>

من قطر أم القرى منتظرو
وأخذ نور التقى من معدن
باءوا إلى دورهم من لمة
نادى الجميع يهودي بملء
من عنده سعدكم بالعهد
محبة ورجاء الفوز بالنعمة
أرض قباء مقام الجود
وصله في بني عوف على
لاثني عشر من ربيع أول
ثبت في المسند الصحيح
(٢٣)

وقد بنى مسجد القباء في
وهو الذي مدح الله القيام به
وكان ذلكم المجد الاثيل
لما رأى اشتياق المدنيين له
فأدركته صلاة الجمعة فنزل
صلى بهم جمعة مع مسلمين
في مسجد بالغُيب كان
وجاء الأنصار لاستقبال
واستبشِر الناس أفرادا
واهتزت الأرض والوديان من
أرواحهم قبل الأشباح له
والناس فوق السطوح
<65>

لنشر دين الهدى في سائر
المسجد اسس رمز لمفتهم
في نصرة الدين والاحسان
سافر منها الى مدينة الحرم
على بني سالم بن العوف
في بطن وادٍ ب(رأنوناء)
ومسجد الجمعة اسمه في
على المحبة والإقبال
بوصل مولى الكرام سيد
لروح ريحان عطر الذات
بقت لهم علقة للمشحي
قد طلع البدر كالنور على

أَيُّ مِنْ ثَنَايَا لَشَرْقِ الطَّيْبَةِ
فَصَارَ يَوْمُهُ يَوْمَ الْحَشْرِ
طَوْبَى لَكُمْ يَا بَنِي أَوْسٍ
أَخْوَالَهُ مِنْ بَنِي النَّجَارِ
هُمْ أَكْرَمُوهُ بِمَا فِي^(٢٤)
وَالْعَصَبَاتِ قُلُوبَهُ ثُمَّ قَدْ
تَبَا لَكُمْ يَا أَبَا جَهْلٍ وَمِشْأَمَةُ
يَخْتَصُّ رَبِّي عَلَى مَا كَانَ مِنْ
بِرْقَمٍ سَلَفًا، قَدْ وَصَلَ
وَالنَّاسُ قَدْ طَلَبُوا لِفَضْلِهِ
وَقَدَّرَ اللَّهُ أَنْ يَنْزِلَ بَيْتَ أَبِي
فَمِنْ هُنَا نَزَلَ وَالرَّبُّ جَلٌّ عَلَا
<66>

أَيْضًا ثَنَايَاتٍ تَوْدِيعٍ لِمُعْتَزِمٍ
وَنَشْرِهِ نَشْرَ بَشْرَاهُمْ عَلَى
وَيَا بَنِي خَزْرَجٍ لِلْجُودِ وَالْكَرَمِ
قِرَابَةِ الْعَصَبَاتِ فِي نَدَى
مِنْ أَنْفُسٍ وَمِنْ الْأَمْوَالِ
تَعْذِيبِهِ بِجَهَاتِ السَّوْءِ وَالْأَلَمِ
وَيَا أَبَا لَهَبٍ بِالنَّارِ وَالنَّقَمِ
قُومًا عَلَى نَقَمٍ قُومًا عَلَى
فِي شَهْرِ هَجْرَتِهِ لَطِيبَةِ
كُلِّ نَزُولٍ عَلَى دَارِهِ لِلْكَرَمِ
أَيُّوبَ الْمَرْتَضَى فِي الْقَدَرِ
شَفَى بِمَقْدَمِهِ الْقُلُوبَ مِنْ

هو الذي ألف القلوب

وبدل الله ظلمات بأنواره

وأين ينزل مولى العالمين

وكيف لا واصطفاك الله من

صلى عليك رسول الله ما

صلى على صاحبك المختار

ونزلت في ثنيات الوداع

وزاد طيبة شوقا للقاء بكم

هو الذي صنف الناس على

وبدل النقم^(٢٥) المشئوم بالنعمة

فيه تجلى الهدى بالنور

وأنت رحمة المهداة للأمم

شمس السما وخلود الفيض

والآل والتابعين من أولي

قد طلع البدر من ماش

أصحاب نور الهدى للوصل

قولي: (والناس إذ سمعوا...) بيانه: أنه لما بلغ المسلمين بالمدينة خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة، كانوا يغدون كل غداة ينتظرون حتى يردهم حر الظهيرة، فانقلبوا يوما بعد ما أطالوا انتظارهم فلما آووا إلى بيوتهم أوفى رجل من اليهود على مرتفع من مرتفعاتهم لأمر ينظر إليه فبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودي نفسه، فنادى بأعلى صوته: يا بني قيلة (يعني الأوس والخزرج) هذا جدكم (أي حظكم ومطلوبكم) قد أقبل، فخرجوا إليه سراعا بسلاحهم فتلقوه، فنزل بقاء على بني عمرو بن عوف لاثنتي عشرة

<67>

ليلة خلت من ربيع الأول، على ما حققه الإمام النووي، وأقام علي ابن أبي طالب رضي الله عنه بمكة بعد خروجه صلى الله عليه وسلم منها ثلاث ليال، ثم أتى إليه، ووصل إليه، يوم الاثنين، سابع يوم وصول الرسول إليها.

وبقي عليه صلى الله عليه وسلم بقبا أربعة عشر يوماً، وبني في قباء المسجد المعروف بمسجد قباء، الذي مدحه الباري في قوله الكريم ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾.

ولما علم أن اهل المدينة يشتاقون إليه توجه يوم الجمعة من قباء إليها، فأدركته صلاة الجمعة في محلهم، فصلي الجمعة مع مائة مسلم في مسجدهم المعروف باسم (الغيب) الواقع في وادي (رانوناء) براء وألف ونونين بينهما واو، على وزن عاشوراء، ولما وصل الى المدينة المنورة ازدحم الناس في استقباله، وفرح الناس كباراً وصغاراً، رجالاً ونساءً، وكان الناس في أعلى درجات محبته، ولذلك كلما مر على دار طلب صاحبها أن ينزل رسول الله عندهم، وهو أرخى عنان إبله وقرر أينما بركت ينزل في ذلك المحل، الى أن قدر الله بروكها عند دار أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه وكانت ذوات الخدور والأدب يقلن: طلع البدر علينا من ثنيات الوداع، وجب الشكر علينا، ما دعا لله داع، ونشكره على علمنا بذلك.

السعد السابع

بناء المسجد الشريف

من المهاجر والانصار ذي
غَيرت يثرب لاسم طيبة
للفوز بالفضل والإحسان
مع أهل الأنصار أهل العهد
في المال والحال والإحسان
صاروا كأزهار بستان على
بنيت مسجد نور ثالث
هما مع المسجد الأقصى
تلك الثلاث ابتغاء الفضل
وقد تخرج فيها صاحب

لما بقيت زمانا مع أحبكم
غيرت أرض الهوى فصار
وهاجر السابقون نحو
أخيت بين رجال الهجرة
تسعين منهم مع التسعين
والأوس مع خزرج في روضة
إذ أشهر سبعة مضت بدون
فصار في الأرض مثل الكعبة
فلا تشد الرحال للصلاة
وصار مدرسة لنشر دين

تخرجت فيه الأصحاب
من الذين على ما كان
من الكتاب ومن مفهوم
والفرد⁽²⁶⁾ يجوز الاتباع له
وذلكم مسلك للمسلمين
ورغم دعوة إبراهيم والده
ورغم ما جاء في التوراة من
لاسيما سفر شعيا من
قد أبرق النور في سينا،
وذكره ثم ذكر الصحب في
وحفظهم لكتاب الله بالأدب
ورغم ما جاء في الإنجيل نور
<70>

مشى على نهجهم في العلم
عليه والصحب أهل العهد
وحكم الإجماع للأعلام
مع المراعاة للعامي بلا
على البصيرة في الدين بلا
ونشر نعتة في الماضي من
لحضرة المصطفى من
من نعتة مع الأصحاب أولي
جبال فاران بالإحسان للأمم
من الجهاد بكل العزم
وكبروا كلما وصلوا إلى
مبشرا به عيسى ولد مريم

⁽²⁶⁾ في المخطوط والفرد منهم

عاداه أهل الكتاب والنفاق

قد كان للمصطفى صدر

وكيف يُعلو على البحر

وكيف يستر نور العالمين بما

قد استقام وقد قامت

هذا هو الخاتم الباقي

وأخرج البيهقي عن أنس أنه

قال الطبري: وتفرق الغلمان، والخدم في الطرق ينادون جاء محمد، جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولما مضى خمسة أشهر من الإقامة، آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار تسعين رجلاً، من كل طائفة خمسة وأربعون على الحق والمواساة، والتوارث، وكانوا كذلك، إلى أن نزل بعد ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ الآية.

ولما أراد صلى الله عليه وسلم بناء المسجد الشريف، قال: يا بني النجار ثامنوني بحائطكم، قالوا: لا نطلب ثمنه إلا من الله تعالى.

<71>

فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وابتاعه بعشرة دنانير، فأداها من مال أبي بكر رضي الله عنه وكان قد خرج من مكة بجميع ماله.

قال أنس: وكان في موضع المسجد نخل وخرب، ومقابر مشركين. فأمر رسول الله بالقبور فنبشت، والخرب فسويت، والنخل فقطعت، ثم أمر باتخاذ اللب، فبنى المسجد، وسقف بالجريد، وجعلت عمده خشب النخل، وعمل فيه المسلمون، وكان عمار بن ياسر يحمل لبنتين لبنتين. يحمل لبنة عنه، ولبنة عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ((لناس أجر، ولك أجران، وآخر زادك في الدنيا شربة لبن، وتقتلك الفئة الباغية!)). وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينقل معهم اللبن في بنائه وهو يقول:

اللهم ان الأجر اجر الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة

وجعلت قبلة المسجد للقدس، وجعل له ثلاثة أبواب، باب في مؤخره، وباب يقال له باب الرحمة، والباب الذي يدخل منه، وجعل طوله مما يلي القبلة الى مؤخره مائة ذراع، وفي الجانبين مثل ذلك أو دونه، وجعل أساسه قريبا من ثلاثة أذرع. وبنى بيوتا الى جنبه باللبن وسقفها بجذوع النخل والجريد، وبنى لعائشة في البيت الذي يليه، شارعا الى المسجد، وجعل لسودة بنت زمعة في البيت الذي يليه إلى الباب الذي يلي آل عثمان، ثم تحول عليه السلام من دار أبي أيوب الى مساكنه التي بناها، وكان قد أرسل زيد بن حارثة وأبا رافع مولاه الى مكة قدما بفاطمة، وأم كلثوم، وسودة بنت زمعة، وأسامة بن زيد، وأم أيمن، وخرج عبدالله ابن أبي بكر قدم بعيال أبيه. وكان في المسجد موضع مظلل، تأوي إليه المساكين يسمى: ب(الصفّة) وكان أهله يسمون (أهل الصفّة). وكان صلى الله عليه وسلم يدعوهم، فيفرقهم على الصحابة، وتتعشى طائفة منهم معه صلى الله عليه وسلم وكان

الصحابة يصلون قبل بناء المسجد الشريف أينما أدركتهم أوقاتها، وبعد بنائه يصلون فيها لكن بدون آذان. وعن مراسيل سعيد بن المسيب، أن بلالاً كان ينادي: (الصلوة جامعة). وشاور صلى الله عليه وسلم أصحابه في ما يجمعهم به للصلوة. فقال بعضهم: ناقوس كناقوس النصارى. وقال بعضهم: بوق كبوق اليهود. وقال بعضهم: نوقد ناراً، ولما رآها الناس أقبلوا إلى الصلاة. فرأى عبد الله بن زيد ابن ثعلبة ابن عبد ربه في منامه رجلاً، فعلمه الأذان والإقامة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنها لرؤيا حق إن شاء الله تعالى، قم مع بلال، فألق عليه ما رأيت، فليؤذن به، لانه أُنْدى صوتاً منك))، وفي رواية معاذ بن جبل عند أحمد: إني رأيت فيما يرى النائم ولو قلت ما كنت نائماً لصدقت، رأيت شخصاً عليه ثوبان أخضران، فاستقبل القبلة، فقال: الله أكبر، الله أكبر، مثنى مثنى، حتى فرغ من الأذان الحديث. فقال صلى الله عليه وسلم: ((إنها لرؤيا حق إن شاء الله تعالى، قم مع بلال، فألق عليه ما رأيت، فليؤذن به، فإنه أُنْدى صوتاً منك)).

قال: فقامت مع بلال، فجعلت ألقيه عليه ويؤذن، فسمع بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو في بيتها، فخرج يجر رداءه، يقول: والذي بعثك بالحق، يا رسول الله، لقد رأيت مثل ما رأى.

وأقام صلى الله عليه وسلم في دار أبي أيوب سبعة أشهر. وقيل إلى صفر من السنة الثانية، وبنى بعائشة لتسعة أشهر من دخول المدينة وقيل في شوال من السنة الثانية.

وذلك المسلك المبروك
دين الرسول الأمين منبع
أساسه نص قرآن أتى لهدى
يَهْدِي إلى الحق أهل القدر

مبين ببيان الفضل سنته
كلام رب الورى من ذاته نزلا
في بعض الأوقات قد جاء
وغالبا جاءه صوت شبيه
وقد تلقاه جبريل من الملك
والكل والبعض قرآن بلا شبه
ومبدأ اللفظ وصف واحد
واللفظ صوت بتركيب على
لكن رأي بعض الأعلام له
وليس ألفاظه أمثال ألفاظنا
إذ وصفه ليس مثل الوصف
دين مبين بدا ختما لدين
<74>

قولا وفعلا وتقريراً على
جبريل جاء به لسيد الأمم
صورة شخص شريف قارئ
على مهابة غيب جاء
بنهج إلهام روح كان بالكرم
ووصف ذات إله بارئ
من دون حرف وصوت فيه،
وحادث ليس مما نال
بنسبة الملك الخلاق للنسم
أما القياس فظن جاء للأمم
ولا يناسبه في الحكم
شريعة ونظام الرشد للأمم

وفي العقيدة عين كل ما
بدأ بالأمر للإنسان بالشرف
رب عظيم قدير خالق النسم
معناه توجيهه لمبدأ الشرف
اصوله طاعة لله خالصة
وطاعة لأولي الأمر الهداة
وفرض الايمان بالله وبالملك
وبالقضاء من الله وبالقدر
وبالعبادة الله العظيم على
شهادتين، صلوة الفرض
وصوم رمضان من كل
زكاة مال، وحج البيت،
<75>

وفي الفروع مداوي جرحه
قراءة باسم من أبداه من
أفاده العلم والتعليم بالقلم
نظام حق بوجه الحق
وطاعة للرسول الهادي
خير الجميع من الأحكام
والكتب والرسل أهل القدر
واليوم الآخر والبعث لذي
أساس الاخلاص والإحسان
على الخشوع وملء القلب
له استطاعة صوم دونما ألم
للمستطيع على ما كان من

والذكر لله في الأحوال
وكل ذلك بالإخلاص في
دليل الإخلاص حب الله جل
من محض الإيمان بالله
والاستقامة في السير مع
وفيه أصل النظام للإرادة
إطاعة الناس أمر الله حيث
وإتباع لأهل الاجتهاد إذا
والأمر بالعلم والأعمال نافعة
والأمر بالاعتصام والتعاون
والأمر بالعدل والإحسان
لا فرق بين الورى حسب
<76>

سراً وجهراً بحسب الحال
إنَّ الخَلاص من الإخلاص،
به الولاية عند الله، فاعتنم
ثم التقى في جميع الحال
ومن حضور بلا نقص ولا
ما يجري بين الورى في
وأمر شخص الرسول
قد أجمعوا وكذا للفرد،
والصبر والصدق والوجدان
خير بدا ساعيا، والسير
والنهي عن كل مذموم من
فرق بتقوى من الله على

والأمر بالسعي في الأسباب
والأمر بالسعي في إعداد
والأمر بالشورى عند الحادث
ورغب المؤمنين المستعدين
لينذروا قومهم عند الرجوع
وقد أقر سبيل المجمعين
والأمر بالصدق في القول
ووصل الأرحام منا حسب
والنهي عن كل خلق فاسد
كتاب حق كذاك خالد أبدا
وفي فصاحته أو في بلاغته
وقد تحدى به المولى الأنام
<77>

بحسب الإمكان في الإعلان
دفعاً لشر عدو الله والامم
كي يفهم الخير في الحلّ بلا
تفقه الدين حسب قوة
وينشروا حكم الإسلام على
تفقه الدين حسب قوة
والعهد ثم الوفاء لازم الذمم
والبذل والجود والإطعام
سرّاً وجهراً وعن أحقاد
غيث الورى نافع لكافة
رقى إلى فوق عند الحاذق
تتلو تحديه دوما على الأمم

بكله أو بعشر أو بواحدة
فصار معجزة في الدهر
لا قَدَحَ في مدحه لا كذب في
في كل باب ربا مصاحب
أسلوبه غير أسلوبٍ لإلقائنا^(٢٧)
وبعضه مثل تفسير لمشكله
حكمه حكمة، أمثاله نعمة
وكلما انقري غضا طريا ترى
من آيها عشرة، في عرضها
بنوره ينجلي صدأ قلب الولي
ووعده قابض بالخير للخالص
منطوقه شاهد، مفهومه
<78>

ولم يصل عقل ذي الطاقات
دامت برغم العدو الفاقد
في مستوى منحه لفاهم
في الوعظ والوعد والإيعاد
لم نلق مثله في الحال وفي
مثل بيان الرسول صاحب
إرشاده رحمة أتت إلى
كثمر يجتنى من شجر مثمر
تأخذها زمرة والنفع منها
إن العدو من العناد في
ورحمه جابر لبعضه النقم
موصوفه واحد باقي من

وفيه أخبار غيب كان مستتراً
للماضي والمستقبل قرب أو
لما وراء الطباع فيه بحيث
وبحث جنة مأوى سدره
فيه دقاق علوم الكون خافية
يا معشر الجن والإنس تعالوا
وبحث أحوال هذا الكون
والبر والبحر والأفلاك دائرة
ومن سباحة ذات السير في
بحيث يختار عقل العالمين
كتاب حق بليغ خالد أبداً
لذاك قد أعلن الإكمال خالقنا
<79>

إلا بوحى من الله لمفتهم
لجنة الخلد أو للنار باللحم
ينقاد من دركه عقل لمفتهم
والبيت والعرش واللوح مع
من المدارات والدورات
فهم الشواظ من النيران
في دقة ونظام مجمع
على نظام سليم دونما
كل على محور يخفى على
فضلاً عن الجاهل المنحط
غيث الهدى منبت في
في حجة جمعت بحرأ من

آمن به واعملن جدا بلا ملل
وارع الأصول تنل باب
هذا لكم بحر فضل في
البدء بأء لبسم الله مفتتحا
معناه قرآننا بس لنا أبدا
يا ربنا إهدنا من نور حكمته
آياته حسب نص فيه
والمتشابه للثاني على نصه
فالأول الواضح المعنى
والثاني ما قد حوى معناه
فمنه ما اختص بالعلم به ربنا
ومنه ما يعلم الأعلام تأويله
<80>

وامنع هواية نفس في هوى
وأفاك ربك بالإعطاء للنعم
شرع مع السنة العليا على
والختم سين لناس خذ ولا
والله كاف لكل الفضل
وأرحم بنا رحمة في البدء
قسمين، والأول الموسوم
فخذ بيانا على القسمين
مشكلة عند أهل القدر
أو لا تليق بذات الله ذي
كبداء خلق لديانا ومختتم
فالراسخون من العلم على

فالوقف فرض على لفظ
والوقف حق على العلم لهذا
مثال آيات أوصاف له
وكأستواء إله العالمين على
وكالفواتح جاءت أول السور
وقد رأى الخلف الأعلام
بحيث لا يوجب النقص
لكن من سلفا لم يقبلوا كلفا
نعم لدى أهل تأويل فوائد إذ
تأويل وجه بذات الله
واليد بالقدرة مقبول لأهل
فالراسخون على عطف لمن
<81>

ما استأثر الله بالعلم به،
من غير ما استأثر الله،
يد ووجه وعين جنبه، فاعلم
عرش العلا حيث يبدو النص
صاد وقاف ومثل نون
بما يليق بذات الله ذي
بمثل تجسيم أو تركيبه
وفوضوا الكل لله على
فتحوا أعينا غميا على كلم
والعين بالعلم مقبول لدى
والاستواء بالاستيلاء فافتهم
من لفظة الله فاعلمهم ذاك

وسره انه ليس بجسم فلا
واليد والوجه والعين من
بالقدم أزلي، وبالبقا أبدي
وكيف يحتاج للأجزاء وهو
وكيف ذا واستواء فوق
وتلك الأوصاف لا تنمى له
نزل هذا الكتاب في
اي جاء فوق لغات لقريش
أو إنه جاء فيه أوجه سبعة
من دون خلف على المعنى
قرأتها كلها على الصحابة في
كتبها كاتبون أهل معرفة
<82>

جزء له يحتويه الجسم،
فلا تكون لما ليس بجسم
وهو الذي أوجد العالم من
أو المكان الذي لم ير في
ولم ير الفرش والعرش مع
والحق تفويض أو تأويل
بأحرف سبعة تتلى على
ست قبائل حي العرب
من نحو قلب وحذف جاء
ودرك ذلك سهل عند مفتهم
مجتمع بارع من اشرف
أهل الأمانة في الحل وفي

أَلَزِمَهُمْ لَكَ زَيْدٌ وَلَدُ الثَّابِتِ
وَالْخُلَفَاءُ الْكَرَامُ الرَّاشِدُونَ،
وَعَبَّادُهُمْ مِنْ كِبَارِ النَّاسِ
بَلَّغَتْهُمْ بِأَمَانَاتٍ لَكُمْ وَهُمْ
تَوَاتَرَ النُّقْلُ فِيهِ وَاسْتَسْبَنَّا بِهِ
يَبْقَى كَذَاكَ بَلَا تَغْيِيرٍ أَحْرَفَهُ
دُسْتُورُ دِينٍ وَدُنْيَا دُونَمَا خَلَّلَ
نُورٌ مَنِيرٌ وَشِفَاءٌ لِلصَّدُورِ كَمَا
فِي ذَلِكَ الْجَامِعِ الْأَعْلَى
تَخَرَّجَتْ أُمَّةٌ مِنْ أَشْرَفِ
صَلَّى عَلَيْكَ إِلَهَ الْعَالَمِينَ كَمَا^{٤١١}
وَالصَّحْبُ وَالِاتِّبَاعُ قَاطِبَةٌ
<83>

صَاحِبُ ثَبَتٍ وَدِينٍ وَحَلَى
قَدْ جَاءَنَا النُّقْلُ مِنْ جَمْعِ
أَهْلِ التَّقَى وَالنَّقَى كَالنُّورِ
قَدْ بَلَّغُوهُنَا إِلَى قَوْمِ أُولَى
عِلْمِ الْيَقِينِ عَلَى مَا صَارَ مِنْ
وَعْدٍ أَكِيداً أَتَى مِنْ خَالِقِ^{٢٢}
فِيهِ السَّعَادَةِ لِلدَّارِينَ فَاعْتَنَمِ
قَدْ عِلْمُ النَّاسِ فِي بَدْءٍ وَفِي
مَدْرَسَةِ النُّورِ وَالْبَرْهَانِ
قَدْ بَلَّغُوهُ إِلَى الْعَرَبِ
أَمَرْنَا بِالصَّلَاةِ بِأَهْدَى⁽²⁸⁾
مَنْ أَهْتَدَى بِأَهْدَى مِنْ كَافَةٍ^{٤١١}

قولي: (وذلك المسلك الى آخره) يعني أن هذا القرآن الذي أنزله الله تعالى بفضله، ورحمته، وموهبته، وهو مبارك لأنه منه تعالى وهو مسلكنا، وطريقنا الذي نمشي عليه، نعمل بما أمر به، ونترك ما نهانا عنه لأن الرسول صلى الله عليه وسلم جاء لتبليغ هذا الكتاب المبني على توحيده والإيمان به وبملائكته، وكتبه، ورسله، وبالיום الآخر، وبالقضاء والقدر، وإلزام أتباعه الأركان الإسلامية الخمسة، أعني: الشهادتين، والصلوات الخمس المفروضة في كل يوم وليلة، وصيام شهر رمضان المبارك، وإعطاء زكاة الأموال للمستحقين، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً. وعلى الابتعاد عن الكفر بأنواعه من الإشراك بالله تعالى، وإنكار شيء من أصول الإيمان والإسلام، وعن كبائر الذنوب، التي هي أقرب الى سبعمئة من سبعين، وإذا وجدنا فيه مجملًا رجعنا إلى بيانه بسنته الغراء، لان الله تعالى خوّله بيانه. وقال: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾

وسنته الشريفة المبينة عبارة عن: أقواله، وأفعاله، وتقريره وعدم إنكاره لما اطلع عليه من الناس قولاً أو فعلاً. ومن جملة ما في الكتاب إطاعة الله وإطاعة الرسول وإطاعة أولي الأمر، وهم المجتهدون، سواء كانوا حُكّاماً وأمرأء متنفذين، أو أئمة مجتهدين، وسواء أجمعوا على شيء قولاً فيكون اتباعهم واجباً، أو اختلفوا في حكم وكان في محل الاجتهاد والاتباع هناك جائز لمن قلده وارتضاه، لأن الله تعالى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يكون هو ومن اتبعه على بصيرة في دينهم، والبصيرة ثابتة للعالم بالأمور، فإذا كان المسلم عالماً فذاك، وإلا فلا مجال له إلا اتباع عالم كامل، وهم الذين وصلوا الى درجة الاجتهاد في غوامض الدين.

فكل ما أخذ من الكتاب والسنة ودلاً عليه بأحد وجوه الدلالات المعتمدة، أو أخذ من إجماع أهل الاجتهاد الكاملين، فهو من الدين الحنيف، وكذلك ما أخذ من مجتهد واحد بشرط أن لا يكون في قوله خرق للإجماع

ومخالفة النص، فهو أيضاً من الدين، وليس من البدع بل البدعة عبارة عن ارتضاء محدثات ومفتعلات خارجة عن الكتاب والسنة والإجماع والاجتهاد، لأن هذا الدين الإسلامي المبين خالداً إلى يوم القيامة، ولا يمكن استيعاب نص الكتاب والسنة لكل ما يحتاج إليه في المستقبل، وذلك الذي ذكرنا هو طريق الإسلام فكل ما خرج عنه فهو ضلالة في عرف الشرع، وليس فيه خير مطلقاً، وأما البدعة التي قسمها بعض العلماء إلى مورد الأحكام الخمسة، فهو بدعة بالمعنى اللغوي أي ما لم يكن في عهد الرسول والخلفاء الراشدين فإنه قد يكون واجباً كبناء دار القضاء، ودار الإفتاء، والمدارس الدينية، وفتح مدارس الصناعات المهمة، كأعداد العدة في مقابلة الأعداء وغيرها، وقد يكون مندوباً كبناء المنائر العالية والمنابر الرفيعة، وقد يكون حراماً كما ظهر من الميسر وأسباب الفسوق، وقد يكون مكروهاً كالتبسط في بعض المأكول والمشرب، وقد يكون مباحاً كما عداها، وأما البدعة بالمعنى الشرعي أي ما خرج من الأدلة الأربعة السابقة، فهو حرام وضلال لا غير، فليتنبه لذلك. وإلا لزم أن يكون ركوب السيارة، وصرف الأوراق ضلالة.

وقولي: (كلام رب العالمين..) بيان لبعض المهمات وهو أنه يجب على المكلف الداعي إلى الحق أن يعلم أن هذا القرآن كلام الله تعالى، وألقاه إلى قلب جبرئيل الأمين لإيصاله إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وليس من كلام جبرائيل ولا غيره من الملائكة، أو الجن أو الإنس قطعاً، وإنما هو تنزيل من رب العالمين وفي إلقائه إليه صلى الله عليه وسلم طريقان، فقد كان في أوقات يتمثل جبرئيل بصورة إنسان شاب وجيه ويقرأ عليه ما يأتي به من القرآن كما روي أنه قد ظهر عنده بصورة (دحية)، وقد كان يأتي بأن يظهر صوت كصوت الجرس، ويسمعه الرسول فيتغير حاله إلى أن يلقي إليه تمام ما أتى به من الآيات، ثم يزول عنه ويغيب، وهذا أشدّ أحوال الرسول صلى الله عليه وسلم كما أنه قد جاءه بصورة الرؤيا، كما كان في مدة

سته أشهر من أول أيام رسالته صلى الله عليه وسلم، وعلى كل حال فبعدما ينفصل عنه الملك يقرأه الرسول صلى الله عليه وسلم على من حضر من أصحابه، ويأمر الكتاب بكتابته، فقد كان له كاتبون وصل عددهم الى زهاء اربعة واربعين شخصا ألزمهم له زيد بن ثابت، ثم الخلفاء الأربعة، ثم غيرهم، كما في كتب السير، والسلف الصالح مشوا على ظاهر النصوص، وقالوا بإثبات صفة الكلام لله تعالى وقدمها له بدون تمييز وتفصيل في الموضوع، ولكن الخلف بعد المناقشات مع المبتدعة قالوا بأن القديم هو الكلام النفسي القائم بذاته تعالى، وهو القوة المجردة عن الصوت والحروف، وقالوا بأن الكلام اللفظي منه حادث لتركيبه من الحروف المترتبة التي تؤكد حدوثها ترتيبها في التلفظ. لكن المحققين منهم، كصاحب المواقف، قالوا بقديم الكلام اللفظي أيضا، وحولوا قدمه ووجوده الى علمه تعالى، وقالوا: لا يجوز قياس كلام الباري على كلام الناس ولا القول بحدوثه بناء على القياس المذكور، وذلك القياس باطل واشتباه وإلباس، ولا قياس هنا أبداً، ألا يرى ان حياته تعالى قديمة، وليست مشروطة بالبنية والمزاج؟ وعلمه تعالى قديم ولا يحتاج الى النخاع الشوكي وغيره، مما يعتبر في علومنا؟ وارادته تعالى قديمة مع براءتها من الانبعاث والشوق الموجود في أرادتنا؟ وقدرته قديمة وبها خلق الكائنات، وليست محتاجة الى الجوارح، والأيدي، وسائر الأجهزة الواجبة في استعمالها بالنسبة الى المقدورات.

و سمعه، وبصره قديمان ولا يحتاجان إلى ما تحتاج إليه في سمعنا وبصرنا كالصماخ في السامع، والحدقة في العين، فكذلك كلامه اللفظي قديم وقائم بذاته ولا يحتاج الى هذه الشرائط الموجودة عندنا، ألا ترى أن الله تعالى يعطي العلم الشامل بكثير من المعلومات المتعددة بالإلهام في آن واحد. ولا يحتاج الى ذلك التدريج الموجود في تعليم الأساتذة تلاميذهم بالمعلومات الكثيرة فالحق إسناد الكلام مطلقاً إليه، أي سواء كان وصفا نفسياً وذاتياً، أو كلاماً لفظياً ويحال ثبوته له الى علم⁽²⁹⁾ بدون النظر في احتياجه الى ما نحتاج

<86>

إليه عندنا، وهذا هو الأسلم. نعم إن الكلام اللفظي حادث ومحتاج الى الترتيب في التلفظ لكن عندنا فقط والله اعلم. وسر وجوب إثباته، له تعالى وجوب ثبوت كل كمال له تعالى ونفي كل نقص عنه، ووجود الكلام النفسي، وتحقيق مبدأ الألفاظ كمال، وضده، وهو السكوت والخرس الذاتي، نقص وجب تنزيهه تعالى عنه، وكذلك ثبوت الكلام اللفظي الذي هو مطابق لما يقتضيه الكلام النفسي كمال، وضده، وهو السكوت لفظاً ووجود الخرس والعجز عن التعبير نقص، يجب تنزيهه تعالى عنه.

ولا يقال إنهما حادثان بالقدرة الموجودة عنده إذا كان الكلام والتعبير مما يحتاج إليهما، وذلك لأن كل أثر ناشئ عن القدرة بالاختيار، لا بد أن يكون حادثاً، لأن الموجود⁽³⁰⁾ لأي شيء ناشئ عن إيجاده تعالى لذلك الشيء، والإيجاد ناشئ عن القصد، فيلزم حدوث ذلك الكلام الذي اعتبرناه كمالاً وإلا لزم خلوه تعالى عن بعض الكمالات في بعض الأوقات وهو محال: ومسألة ثبوت الصفات لذات الباري كمسألة وجود ذاته تعالى الثابت محققاً بالأدلة القطعية، فالحق القول بثبوتها له تعالى كثبوت الفردية للواحد ولا يناقش فيه، كما لا نقاش في ثبوت لوازم الماهيات للماهيات، فخذ هذا الأمر الأسلم.

ومما يجب أن يعتقده المسلم أن لفظ (كلام الله) مشترك بين الكلام النفسي والكلام اللفظي، فيستعمل في كل منهما، والمعين للمقصود قرينة الحال أو المقال، كما أن لفظ القرآن مشترك بينهما، لكنه قليلاً ما يستعمل للصفة النفسية، لأن لفظ القرآن من القراءة، وهي أنسب الألفاظ من المعاني، وإن لفظ القرآن موضوع لمفهوم الكلام المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم للإعجاز بسورة منه والتعبد بتلاوته، ويستعمل للقليل والكثير منه يشترط أن يكون مركباً يوجد في نص الكتاب نحو ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾

<87>

وَقُلْ هُوَ اللَّهُ لَا لَفْظَ قُل. وتترتب عليه أحكام القرآن من حرمة مسه بدون الوضوء وحمله مقصود بالذات وغيرهما. وقولي: (دين مبين الى أبيات عديدة) بيان لبعض أوصاف القرآن الكريم وهو أن القرآن دين وشرعية واضحة بالذات، بشرط بيان ما يحتاج الى البيان منه وهو ختم للأديان في العالم.

قَالَ تَعَالَى: مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ الآية. ولما كان الرسول خاتم المرسلين كان الكلام المنزل عليه خاتماً للدين، ولأحكام الإسلام، وقد أكمل الله به دين المسلمين، وهو موافق لجميع الكتب المنزلة من عهد سيدنا آدم الى الخاتم في المعتقدات، فهم متحدون في العقائد ولكنه مخالف لها في الأحكام العملية، فشرعية من قبلنا شرعية لنا بشرط تقرير شريعتنا لها، فنأخذ ما وافقنا من حيث أنه مقرر في شريعتنا، كما أن الكتب المنزلة قبل عهد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يخالف بعضها لما تقدمه أو تأخر عنه إذا كان من الأحكام العملية.

وإنه ورد في القرآن نسخ بعض الآيات ببعض تلاوة كما في آية الرجم:

(الشيخ والشيخة إذا زينا فارجموهما البتة)، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: فإننا قد قرأناها، أو في الحكم فقط، وسره أن الأحكام تراعى فيها مصالح العباد، وقد لا يلائم بعض الأحكام لبعض الأزمنة في أمة واحدة، كما أنه نسخ دين سيدنا عيسى بعض احكام دين سيدنا موسى، وهكذا وهو معلوم، وإنكاره من الجهل بمعنى النسخ، والقول بأن النسخ تخصيص أضل لأن التخصص⁽³¹⁾ للعام يبقى بعضا من أفرادهِ ويزيل بعضا، ولكن النسخ إزالة الحكم بالمرة، وهذا ظاهر لمن تتبع الأصول.

وليعلم أنه لا نسخ بعد عصر النزول من أي فرد أو جمع لأنه معارضة للكتاب المنزل ومعارضته كفر واضح، فافهم ذلك فإنه من مهمات العقائد.

<88>

⁽³¹⁾ في المخطوط التخصيص

وهذا القرآن الكريم يدعو الأنام الى أصول السعادة، وهي الايمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، وباليوم الآخر، وبالقضاء والقدر، والى أداء أركان الإسلام، وهي شهادة أن لا إله الا الله، وأن محمداً رسول الله، وصيام شهر رمضان في كل سنة، وإعطاء زكاة المال للمستحقين، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا، ويدعو العقلاء البالغين الى التخلق بالأخلاق الحسنة من الصبر، والصدق، والوفاء بالعهد، والسخاء بالمال لا سيما عند القحط والغلاء، وبترك الرذائل النفسية من الكبر، والعجب والحقد، والحسد، والفتنة، والنميمة وغيرها.

فآداب المسلمين على ما قلنا اثنا عشر أدبا، الإيمان بالأركان الستة، وإداء آداب الاسلام الخمسة بشرط الإخلاص، وملازمة الأخلاق الحسنة مما ذكر⁽³²⁾، والله الموفق.

والقرآن يدعو ويأمر بإطاعة الله تعالى، وإطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم يعني بهما العمل بالكتاب والسنة ويدعو ويأمر بإطاعة أولي الأمر، وهم المجتهدون سواء كانوا مجمعين على أمر دين، فيكون إطاعتهم واجبة، أو كان مجتهد واحد يرى رأيا في الدين وإطاعته جائزة لكل مسلم، ويجب عليه أن لا يعمل عملا دينيا إلا بهذا الترتيب المذكور.

ويدعو القرآن الى الاعتقاد بأن المسلمين متساوون في الحقوق المشروعة ولا فرق بينهم إلا بالتقوى، فأفضلهم أتقاهم، وأرذلهم أشقاهم، والتقوى احتراز عن الكفر والذنوب والكبائر (في المخطوط والذنوب الكبائر) وعن الرذائل والدنايا. والقرآن يأمر بالعدل في الأحكام، والمشاورة في المهمات، وبإداء الأمانات، وبمباشرة الأسباب لجلب الخيرات، ولدفع الشرور والآفات، ويأمر بإعداد العدة وكل صناعة، وتحصيل أسباب القوة للجهاد في الدين ومعارضة الكافرين، ونهي العصاة المارقين عن الدين، ودعوتهم الى الحق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكل ذلك من فروض المسلمين عينا، أو كفاية، كما يأمر

<89>

أمرنا أكيدا بتعلم الدين من القرآن الكريم الى سائر العلوم الدينية الواجبة والمستحبة، وتعلم الصناعات، وسائر الأمور المهمة كالطب والاقتصاد وغير ذلك، مما يحتاج إليه كيان الإسلام لاسيما الوحدة، والأخوة، والاعتصام، ومنع الشقاق والنفاق بين المسلمين.

ومادام هذا الكتاب المبارك مشتملا على هذه المواد المباركة فهو كتاب الخلود، ويبقى خالدا مع المسلمين إلى يوم الدين.
وقولي: (وفي فصاحته..) إيضاح لوصول القرآن درجة الإعجاز من وجوه عديدة:

الأول: إنه بلغ في فصاحة مفرداته وكلامه، وبلاغة الكلام الى قمة لم يصل إليها أي لفظ آخر مفرداً أو مركباً، تاماً، ذلك لأن فصاحة المنفرد خلوصه من تنافر الحروف، والغرابية، ومخالفة القياس، والقرآن الكريم حائز لوصف الفصاحة بالمعنى المذكور.

والبلاغة: مطابقة الكلام لمقتضى الحال، والقرآن وصل في هذه الصفة أعلى مقام الكلام البليغ، والدليل عليه أن الله تعالى تحدى الأنام بمثل كل القرآن، أو عشر سور من مثله، أو سورة واحدة، وقد عجزوا عن الإتيان به، فبذلك ثبت أن القرآن معجز للأنام.

الثاني: أنه لا قدح، ولا ذم، ولا كذب في ثنائه على أي شيء يثني عليه، وفي ذمه لأي شيء يذمه، وأما غيره من عبارات الناس فلا يخلو من الكذب في مدحه وقدحه، ومشتمل على الأدب الرفيع في عباراته.

الثالث: أن أسلوبه مخالف لأساليب كلام العرب مطلقاً، حتى أنه يخالف عبارة الرسول نفسه صلى الله عليه وسلم بحيث تمتاز عن القرآن امتيازاً واضحاً.

الرابع: إن القرآن يفسر بعضه بعضاً، فكم من مطلق في محل يقيد في محل آخر بحيث يتضح معناه، أو أن هناك بيانا من الرسول المخول بالبيان، فأصبح القرآن واضحة تستفيد منه الأمة أحكام الدين المبين.

الخامس: إنه مشتمل على جمل من الحكم المتقنة مثل قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا التِّيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾، وقوله تعالى: ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾، وغيرها مما يطول ذكره، فالقرآن رحمة للأمة ببيانه وإرشاده.

السادس: إنه مختص بوصف عجيب خارق، وهو أنه كلما كرر القارئ قراءته، فكأنه لم يقرأ تلك الآية من قبل، وكلما سمع منه بعضاً وجده كجديد لم يسمعه من قبل ذلك، فيزداد نشاطاً لقراءته أو لسماعه.

السابع: إنه كلما تلونا عشر آيات منه، وجدنا فيه حظاً لكل السامعين على أي حال كانوا، من أهل أي عمل وأي مكسب يجدون في تلك العشرة ما يناسب أحوالهم، ولا تخلو عن نصيب للحاضرين.

الثامن: وصف يدرك بالوجدان لمن يؤمن به، وهو أنه يحصل من قراءته ومن سماعه نور في قلبه تنجلي به الصدور، وتذهب به الأحزان.

التاسع: إن ما فيه من الوعيد الحامض على مذاق الناس، يقابل بحلاوة وعده، فالوعد كأنه مستول على وعيده، وتبشيره على تهديده، وبعضه الآتي بالرحمة جابر لبعضه الآتي بالوعيد بالنقم، ومعناه أن فيه في مقابلة الوعيد وعداً أكيداً مباركاً.

العاشر: إن منطوقه شاهد على بعض الأحكام، ومفهومه شاهد على بعض أحكام أخرى مخالفة لحكم المنطوق، كما يستفاد من قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ يستفاد منه أن المعسر له حكم والموسر له حكم آخر.

الحادي عشر: إن فيه اخبارات بالغيب الماضي، وذكر أشياء كانت في الماضي والناس يجهلونهم، وأشياء للمستقبل لا تدرك في الحال، كما في قوله تعالى: ﴿الْم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَذُنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾، ويتكلم عما وراء الطبيعة الحاضرة فيتكلم عن الجنة والنار،

والسموات السبع، وسدرة المنتهى، والبيت المعمور، والكرسي، والعرش وحملته في الدنيا وفي الآخرة، واللوح المحفوظ.

الثاني عشر: من وجوه إعجاز القرآن الكريم، هو أنه مشتمل على دقائق علوم الكائنات العلوية والسفلية، بحيث يصعب تعلمها على الناس من وجود المدارات للكواكب السيارة، ووضع ميزان لدورانها بحيث لا تعارض حركتها على مدار حركة كوكب آخر، فيقول: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾.

ويقول: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَرًا مَّزَازٍ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ *﴾.

ثم يعلن أن في الطبقات العليا موادا ملتهبة نارية لا يمكن النفوذ فيها، والعبور عنها إلى ما فوقها إلا بسلطان وقوة خارقة إلهية، كما في المعراج للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، أو بقوة علمية واختراع أسباب النفوذ والعبور، وهذا للمنصف دليل قاطع وبرهان ساطع على أن القرآن كلام الله تعالى. ولا مجال للعلم بها وإظهارها من شخص أمي نشأ في مكان بعيد عن الحضارة والمدارس الرياضية، والحال أنه لم يسافر إلى محل كذلك للحصول عليها، ولم يكن في محله من يعلمه ذلك، ومع ذلك كله يتلو آياته بكل اطمئنان، وسكينة نفس، فكأنه أخذ درسها من علام، أليس ذلك دليلاً على جلالة قدر الرسول ورسالته وانتساب هذا القرآن المبين إلى العليم الخبير؟

وهناك وجوه أخرى من دقائق الأسرار، كاشتغال حروفها على فوائد ألهم بها العارفون بحيث تكتب الآيات ويستفاد منها خوارق العادات من قهر الظالمين، ونجاة المظلومين السالمين، ويفيد منع نفوذ الرصاص في لحوم الإنسان والحيوان، ويفيد بعون الله تعالى شفاء المرضى بالمرض النفسي، والمرض البدني الاعتيادي، وذلك معلوم عند أهل الخبرة بأولئك العارفين.

ووجوه أخرى نورية كانشقاق الحجر بالقراءة عليه، وجذب قلوب العصاة الى إطاعة الباري تعالى، وتسهيل صعب الأمور، وشرح الصدور بإذن الله تعالى.

ولذلك المذكور من الوجوه وغيره من الأسرار، ولتكامله من كل باب أعلن النبي على ملأ من خيار الناس في حجة الوداع أن الله تعالى أكمل بهذا القرآن العظيم دينهم، وشريعتهم، ولا يحتاجون إلى نظام خارج عنه لمن طبقه حق التطبيق، فأنزل الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ ويرمز الى إكمال الدين تركيب الحرف الأول من أول القرآن أعني باء بسم الله الرحمن الرحيم مع الحرف الأخير من القرآن، أعني سين الناس، حتى يصير (بس) أي أن هذا بس، ويكفيكم، وحسبكم في حساب الدنيا والآخرة وذلك لمن اصطفاه الله من عباده الصادقين. فلم يبق للمؤمن الأمين في قلبه إلا الاستفادة منه بتلاوته مع الخشوع لصاحبه الذي نزل من عالم الغيب والعمل بمندرجاته الوافرة في مدة الحياة السعيدة.

ولم يبق لنا نحن المؤمنين إلا أن نقول: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾.

وقولي: (آياته حسب نص الى آخر الآيات) بيانه: أن قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ الآية. يدل بالصرحة أن في القرآن الكريم نوعين من الآيات: الأول: المحكمات. والثاني: المتشابهات

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ يدل بوضوح على أن نوع المحكمات واضح المراد وليس فيه إشكال يستصعب حله، وأن نوع المتشابه فيه ذلك، كما أنه من الواضح أن من المتشابه ما استأثر الله بعلمه مثل وقت بدء الخلق، والإيجاد

للكائنات، ووقت الساعة، وسر القضاء والقدر وغيرهما، ومن المتشابه ما ليس من المستأثرات ولكن يصعب حله كفواتح السور مثل: (الم، وح، والمص، وكهيعص، وصاد، وقاف، ونون). أو أنه لا يجوز انتسابه إلى الله تعالى على ظاهره مثل قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾.

وقوله: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾، وقوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ﴾، وقوله: ﴿وَلِئُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾، وقوله: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾، وقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ وذلك لأن الله تعالى لا يماثله شيء من الجسم والجسمانيات، ولا تركيب في ذاته من الأجزاء، لأن ذلك يستلزم الحاجة والله بريء منها. فالعلماء من السلف والخلف اتفقوا على أن ما استأثر الله بعلمه لا يعلم تأويله إلا الله، ووجب بالنسبة إلى هذا البعض الوقف على لفظ الجلالة، حيث لا يعلم تأويله إلا الله، وأن ما عدا المستأثرات مما يعلم الراسخون في العلم معانيها بالتأويلات الصحيحة السليمة المناسبة يعلم تأويله، لكن اختاروا الوقف على لفظ الجلالة أيضا، لأن ذلك أسلم وآدب.

فلا يبقى مجال تخالف بين السلف والخلف، إن الوقف على لفظ الجلالة واجب بالنسبة إلى المستأثرات، وإن الوقف على لفظ العلم حق بالنسبة إلى غيرها، ومع ذلك فالعلماء الأعلام اختاروا بالنسبة إلى غير المستأثرات تأويله بالتأويلات المناسبة، كتأويل (الاستواء) في ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ بالاستيلاء والتصرف الكامل فيه، وتأويل الوجه بالذات، والعين بالعلم، واليد بالقدرة، واليدين بالقدرة الإيجابية، كالإعزاز، والإعطاء. والقدرة السلبية، كالمنع، والاذلال، والإماتة، وذلك لأن الله تعالى أنزل الكتاب للهداية والإرشاد إلى الصواب فبيان المعاني، ولو بالتأويل الصحيح أوفق بإرشاد الأنام، وأما ما ذهب إليه بعض من المتنطعين من حمل هذا النوع على ظواهرها بشبهة عدم التعطيل في الآيات، والقول بالكيفية مثلا يقولون:

استوى على الظاهر وكيفية الاستواء مجهولة، فهذا القول فاسد لإفضائه إلى القول بالجسم، والتركيب للباري، وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وقول الإمام أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه: بالإيمان بهذا الفرع، لكن بلا كيف، فمعناه، إنا نؤمن بتلك الآيات أنها حق وحقيقة واردة من الله تعالى، ولكن لا نقول بكيفية ربطها، ونسبتها إلى ذاته تعالى لتنزهه تعالى عن أوصاف الممكنات المفضية إلى الحاجة المنافية لذاته تعالى، وإياك أن تنسب إلى الإمام الأشعري ما يقول به المبتدعة، فإنه على ما عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من الإيمان بها وتفويضها إلى الله سبحانه وتعالى.

وقولي: (نزل هذا الكتاب.. الأبيات) إشارة إلى الأحرف السبعة الواردة:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقرأني جبريل على حرف فراجعت، فلم أزل استزيده، ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف. زاد مسلم، قال ابن شهاب: بلغني أن تلك السبعة في الأمر الذي يكون واحداً، لا يختلف في حلال، ولا حرام، وأما معنى الحديث الشريف ففيه وجوه كثيرة جداً، والمختار من بينها أن معنى نزول القرآن على سبعة أحرف نزوله على سبع لغات من لغات العرب، وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه، وإن جاء على سبعة، أو أكثر⁽³³⁾، ولكن معناه أن هذه اللغات السبع متفرقة في القرآن. فالأحرف بمعنى الأوجه على معنى أن وجوه الاختلاف لا تتجاوز سبعة أوجه، مهما كثر ذلك التعدد، والتنوع في أداء اللفظ الواحد ومهما تعددت القراءات، والطرق في الكلمة الواحدة.

<95>

⁽³³⁾ في المخطوط سبعة، أو عشرة أو أكثر

فكلمة ﴿مَالِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾ وهو سبحانه وحده مالك يوم القيامة، وهو يوم الجزاء على الأعمال. وفي قراءة المسلم لهذه الآية في كل ركعة من صلواته تذكير له باليوم الآخر، وحث له على الاستعداد بالعمل الصالح، والكف عن المعاصي والسيئات. (٤) التي ورد أنها تقرأ بطرق تبلغ السبعة، أو العشرة. وكلمة ﴿وعبد الطَّاغُوتِ﴾ التي ورد أنها تقرأ باثنتين وعشرين قراءة، وكلمة ﴿أَفٍّ﴾ التي أوصل الرَّمَّاني لغاتها الى سبع وثلاثين لغة، كل ذلك لا يخرج التغير فيه على كثرته عن وجوه سبعة. بقي أن تتساءل: ماهي تلك الوجوه السبعة التي لا تخرج القراءات عنها مهما تنوعت وتكثرت في الكلمة الواحدة والذي اختاره المحققون من بين الآراء العديدة، هو ما ذهب إليه الإمام أبو فضل الرازي في اللوائح، إذ يقول: الكلام لا يخرج عن سبعة أحرف في الاختلاف.

الأول: اختلاف الأسماء من افراد، وتثنية، وجمع، وتذكير، وتأنيث.

الثاني: إختلاف تصريف الأفعال من ماض، ومضارع، وأمر.

الثالث: وجوه اختلاف الإعراب.

الرابع: الاختلاف بالنقص، والزيادة.

الخامس: الاختلاف بالتقديم، والتأخير.

السادس: الاختلاف بالإبدال.

السابع: إختلاف اللغات، يعني اللهجات كالفتح، والإمالة، والترقيق والتفخيم، والإظهار، والإدغام، وغير ذلك.

والتمثيل لكل ذلك موجود في الكتب المعتمدة، ومن أراد الإطلاع عليها فليراجعها، ومن جملتها «الجزء الأول (من مواهب الرحمن في تفسير القرآن)» الذي وفقني ربي برحمته لتأليفه في أواخر حياتي في مدرسة سيدنا الشيخ عبد القادر الكيلاني نور الله روحه أمين.

وقولي: (كتبها كاتبون...) حاصله: أنه كلما نزل الوحي عليه عليه الصلاة والسلام قرأ الآيات النازلة على من حضر عنده ويأمر الأصحاب بكتابته، لحفظه، وصيانتة، وقد وصل عدد الكتاب على اختلاف الأوقات الى

اربعة وأربعين شخصاً، ألزمهم له صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت، ثم الخلفاء الراشدون، ثم غيرهم من الصحابة، ومنهم في أواخر حياته معاوية بن أبي سفيان، فإنه كان أخاً أم حبيبة زوجته صلى الله عليه وسلم ﷺ ويحضر عنده كثيراً.

ثم هذا القرآن الكريم منذ نزوله الى زماننا هذا تلقاه أفراد المسلمین من الجيل الأقدم، وهكذا الى الصحابة الكرام الأخذین له منه صلى الله عليه وسلم مشافهة، وكل آية من آیاته التي بلغت ستة آلاف وستمائة وست وستين، متواتر، ومعلوم لنا علماً يقينياً بلا شبهة، وقد احتاط الأصحاب في حفظه، وكانوا لا يكتبون مع القرآن شيئاً آخر قط، حتى النقاط، والأشكال فجزاهم الله تعالى خير الجزاء عن المسلمین.

الاصحاب الكرام رضي الله عنهم أجمعين

بالعلم في الدين والارشاد
تنوير الآفاق من توحيد ذي
كانوا كهالة بدر في سما
أخفت نجوما وغابت في
ظهرت أظهرت نور الحق
اجتمعت عندكم صحب أولو
حيث تجلى عليك الله
يا صاحب النور في صدر⁽³⁵⁾
ينير قلبي وينجيني من
أصحاب رشد وأهل القدر

مسجدك الجامع اللامع
لدرس الأخلاق بالتعليم
وكلما كنت بالأصحاب تجتمع
ما كنت شمس السما إذ
بل أنت شمس الهدى
يا مرحبا بمقام كنت فيه وقد
ينغمر الصحب في الأنوار
يا صاحب الفضل بالأنوار
لا ينقص النور منكم لو أتى
يا مرحبا بمقام فيه أصحابكم
<98>

⁽³⁴⁾ في المخطوط خفا

⁽³⁵⁾ في المخطوط الصدر

هم الأولى كالنجوم في
هم أمرون بمعروف لدى
ضحوا بأموالهم ضحوا
واضطهدوا واستقاموا فوق
وكلما عذبوا كانوا كمن
وهاجر البعض منهم هجرتين
وهاجر الكل بعد هجرة
واذ مضت أشهر سبع من
وفي سنين غزوا وباتتصار
نحو ثلاث وستين غزوا غزوة
في نحو ست وعشرين بها
لهم مواقف فضل في
<99>

بهم هدى المقتدي في
ناهون عن منكرو لو من
على استقامتهم في الحرب
وصبروا تحت غدر المشرك
عذبا فراتا على عطش من
حبشة دونما وحشة أو نقم
لطيفة الطيبة الصحراء
إذن القتال أتى في الحل لا
ونشروا ملة الإسلام في
منتصرين بنور العزم والهمم
يا حبذا قائد الأبطال ذو
قد جاءنا الخبر الثابت

يطول شرح الجميع للجميع
أشهرها بدرنا الكبرى،
وغطفان بها واقعة وقعت
ليست حديبية من الحروب
والله أشنى عليهم في
وغزوة أحد والناس في كبد
وفتح مكة ذات القدر أم
حرب حنين وإذ أعجبته
وهاجموا المشركين في
تحت فوارق حرفٍ نصر ملتنا
ومن رأى صولة الأصحاب
وحاربوا لحداد السيف
<100>

ظهر أبررها كأسطع الأنجم
وخندق شهدت بقوة الهمم
تليق تكتب بالنور على
قد بايعوك على حرب أولي
بأن يد الله فوق الأيدي
من ترك أمر الرسول
بصلح أو عنوة في جانب
فجاءهم نصرة من بعد
مثل الأسود إذا هاجت على
أوفى بوارق سيف جاء
بأنهم أشجع الأبطال في
إعلانهم كلمات الله في

فِي زَمَنِ عَاجِلٍ سَارَ بِالْأَنَامِ
فَسَخَرُوا الْقِبْطَ أَهْلَ الْعَجَلِ
وَهَدَدُوا دَوْلَةَ الرُّومِ لَشَوَكْتِهِمْ
وَجَدَدُوا جَمْلَةَ التَّوْحِيدِ خَالِصَةً
مَنْ عَدْلَهُمْ كَانَ لِلنَّاسِ آمَالُ
لَمَّا أَتَى مَوْعِدَ التَّوْدِيْعِ مِنْ
قَدْ أَعْلَنَ الْمُصْطَفَى حَجًّا إِلَى
تَوَجُّهُوا نَحْوَ بَيْتِ اللَّهِ
لَبِيْكَ لَبِيْكَ فِي صَعْدِ وَفِي
طَوْبَى لِمَنْ حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ ذِي
فَقَدْ يَلْبَى وَكَشَفَ الْأَنْبِيَاءُ لَهُ
مِائَةَ أَلْفٍ وَزَادَتْ أَرْبَعُ أَلْفَا
<101>

فِيهِمْ مِنَ الرُّومِ وَالْأَقْبَاطِ
وَسَخَرُوا جَيْشَ كَسْرَى مَلِكٍ
فَارْتَعَشَتْ أَصْبَعُ الْكِتَابِ
وَبَعَدُوا طَالِبِي الْإِشْرَاقِ
قَدْ أَرَشَدُوا النَّاسَ لِلْإِخْلَاصِ
وَوَقْتُ وَصْلِ لِرَبِّ الْبَيْتِ
وَأَقْبَلَ الصَّحْبُ أَهْلَ الْفَضْلِ
شَوْقًا إِلَى الْبَيْتِ مِيلاً نَحْوِ
دَاعِينَ عَفْوِ الْإِلَهِ الْحَاكِمِ
مَعَ الرَّسُولِ رَسُولِ الْفَيْضِ
هَذَاكَ مُوسَى، وَذَا عِيسَى
فِي هَذِهِ الْحُجَّةِ الْمَبْرُوكَةِ

ففي عرفة نزلت (اليوم
هو الطواف ببيت الله ذا
مع كثرة في (غدير الخم) اذ
كانت أصولاً لهم في الدين
فاستمعوا واستفادوا الدين
وكيف لا وهم الأركان في
وغزوة أحد جاؤا على عدد
والعين في رمي من حادث
والشمس في كسف،
ومن مخالفة المولى الجليل
فانهزموا وبقي حول النبي
من المهاجر والأنصار أهل
<102>

جاء الختام لدين الحق
قد حرم المتعة الممقوت
ألقى لهم خطبة جامعة
والجمع جم غفير حاد عن
وبلغوا غيرهم عن صحة
أولو الأمانة في التبليغ⁽³⁶⁾
لأخذ ثار من الأصحاب
من كيد ملتحد في أسوأ
والبدر في خسف، والدهر
ما فاجأ الجيش جيش العزم
ممن لهم مدد في الحرب
لحضرة المصطفى في

نضر، زبير، وصديق،
وابن قماءة أفنى مصعبا وأتى
طوبى لمن قد تأذى في
ويل لمن جرح المحبوب في
بحيث قد كسرت له رباعية
وغاص في وجهه الدرع
وكسرها نصرة في حالة
روحي فداء لطبع كان معتدلا
وكان دأبهم الفداء بالفرح
كحرب مؤتة حربا في جفا
جيش قليل لهم مع قلة
زيد بن حارثة شهيد كارثة
<103>

كانوا على غاية من قوة
بقتل حمزة وحشي على
ويل لمن قد جفا بالرمح
خد أصيل كدر الأبحر الخضم
من جانب الأيمن الأسفل
بمصه ابن عوف صاحب
تبقى لنا في امتداح سيد
في العيش والطيش
للمال والجاه والنفس بلا
طبقا لما قد بدا من سيد
للكفر جيش كثير العد
قل المثال لها في نكبة

وجعفر قطعت منه اليدان
فبدل الله بالإحسان أيديه
وابن راحة راحة روحه
قد بأعهم ربهم جنات رحمته
طوبى لهم طيبات ذات
طوبى لمستشهدي الأصحاب
طوبى لمن جال حول
أحسن بمقبرة المستشهدين
سقوا بساتين الإسلام بعين
لما أظهر العجب في بدر
هذا هو الخلق المخصوص
وكان في كسرهما قسم من
<104>

تنزل الراية العليا مع الألم
مما يطير به في جنة النعم
مستشهدا بالوفا للفوز
بما لديهم من النفس ومن
تبدو على أعين الأعلام
في البدر في خندق في
في الغزوات على الأقدار
روح وريحان زهر روضة
تجري كأنهار جنات على
ولا استكانته في الأحد
خلق عظيم عجيب من أولي
يدري بها العاقل الموصوف

كي يستقر الثرى من طوع
ويعلم الصادقون وأولو كذب
وعندنا أسف ومحنة كلف
للأربعين من القراء أهل
دعا عليهم رسول الله في
والعارفون أولو فضل ومنقبة
وكم أتت محنة في طيها
وكم جرت جولة لهذه الدولة
والعاديات أتت في دولة قد
وأنت يا سيدي في كنف
وجاءكم مدد، أو جاءكم عدد
قولي: (المسجد) اسم مكان مشتق من سجد يسجد من الباب
الأول، وقياسه المسجد بفتح العين، ولكنه يقرأ بكسرهما على
الشذوذ، وقولي:

<105>

مما جرى أو يرى⁽³⁷⁾
أهل النفاق وأهل الغدر
عمالهم أسلفوا من صاحبي
بقدر قوم بعين فاقي
حتى أتى (ليس لك) من
ذاقوا جفاهم كحلو في
ومنحة ترتجى من أفضل
ناتجها صولة من صاحبي
خيولها بميول الخير والكرم
مطالب عدداً من صاحبي
من عالم الغيب من مولاك

قولي: (المسجد) اسم مكان مشتق من سجد يسجد من الباب
الأول، وقياسه المسجد بفتح العين، ولكنه يقرأ بكسرهما على
الشذوذ، وقولي:

(الجامع) صفة المسجد لبيان أن ذلك المسجد كان مهما بالنسبة للمسلمين، وتقام فيه الجمعة، والجماعات، والنسبة مجاز لأن الجامع هو الله تعالى خلقا والخلائق كسباً. والفرق بين المسجد والجامع عرفاً: هو اختصاص الجامع بما تقام فيه الجمعة، وخطبته، والمسجد للجماعات الأخرى. وقولي: (اللامع بالحكم) صفة إيضاحية، معناه أن: هذا المسجد الجامع المبارك يبرك ويظهر يدرس الحكمة فيه، والحكمة في الاستعمال اللغوي لكل قول، وفعل سديدين، وفي عرف الحكماء هي العلم بأحوال الأمور الموجودة من الأعيان والأعراض الموافقة للمواقع بحسب الطاقة البشرية.

فإن كانت تلك الأمور أعمالاً اختيارية، فالعلم بها يسمى بالحكمة العملية، وإلا فيسمى حكمة نظرية، والأول إن كان متعلقاً بالإنسان في ذاته فتسمى علم تهذيب الأخلاق، وإن كان متعلقاً بأحوال أهل البيت، والمجاورين له فهو علم تدبير المنزل، أو بأحوال الإنسان أينما كان، فعلم سياسة المدن، والثاني إن كان مما لا يحتاج البحث عنه إلى اعتبار المادة لا ذهنًا، ولا خارجاً كذات الباري، وصفاته، فيسمى بالحكمة الإلهية، أو في الذهن والتعليم، وإن كان محتاجاً إليها في الخارج، فيسمى بالحكمة الرياضية، أو كان محتاجاً إليها فيهما كعلم الطب، والزراعة، فيسمى بالحكمة الطبيعية، وكل ما ذكرنا يتفرع من علاقة النفس بالله تعالى، لاكتساب العلوم والإدراكات، وتسمى هذه العلاقة بالعقل النظري، وأما علاقة النفس بذاته تعالى لاكتساب الأعمال فهذه تسمى بالعقل العملي: وهي قوة الاستنباط والتصرف التي بها يمكن من استنباط الصناعات، وتتفرع منها الحكمة العملية المفسرة بالقيام بالأمور المطلقة على ما ينبغي عملاً أو علماً، وقد نطلق لفظ الحكمة على هذه العلاقة الأخيرة، كما يطلق على معنيين آخرين.

الأول: القيام بالأمور على ما ينبغي، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾

والثاني: التوسط للنفس بين الجريزة والغاوة، فالحكمة أربعة معان كما هو دائر بين أهل العلم.

وقولي: (وكلما كنت بالأصحاب تجتمع..) الأصحاب: جمع صاحب بمعنى من صاحب إنساناً كيف كان، وأما الصاحب للرسول صلى الله عليه وسلم فهو من اجتمع به مؤمناً به صلى الله عليه وسلم ومات على الإيمان، وإن لم تكن صحبته له طويلاً، ولم يغز معه ولم يرو عنه.

يقول جلال الدين المحلي: أنه قد يأتيه البدوي الجلف فيتشرف بصحبته قليلاً، ثم يرجع إلى محله، ويتكلم بما يعجب العقلاء من الألفاظ المفهمة للمعاني السامية من بركة تلك الصحبة القليلة، فكيف بالصحبة المديدة، نعم من طالت صحبته، وزادت محبته وغزا معه، وتحققت محنته أو روي عنه أحاديث، فله زائداً على شرف الصحبة أجور كثيرة.

وقولي: (ما كنت شمس السماء..) معناه: إنك يا سيدي لست كالناس الاعتياديين الذين يخلون بما عندهم لاتباعهم إلا ما قل، بل أنت بعثت رءوفاً رحيماً بالناس، بل بعثت رحمة للعالمين، ونورك نورٌ يظهر في وجوه أصحابك الكرام- يقول مولانا وسيدنا الحضرة (مولانا خالد): من مهمات المسلم أن يعتقد أنه لا يخلو مسافة من الأجرام العلوية أو السفلية، إلا وفيها حظ من هذه الرحمة المبعوث بها للعالمين، لأن بركات حضرته صلى الله عليه وسلم مستمرة إلى يوم القيامة والمسلمون يستفيدون من صلواتهم عليه، أو خدمة دينه، أو ذكريات مناقبه الشريفة بحسب مستواهم، وإن أرواحهم بوارق مشرقة في العالم ولا تتقيد بقبورهم، أو بمحل خاص كالسدر، أو الجنة، أو العرش، أو غيرها بل سائرة بها، حيث شاؤا بمشيئة الله تعالى. وكذلك أرواح سائر الرسل، والأنبياء عليهم الصلوات والسلام طلقاء في العالم، ويقول مولانا الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي نور الله روحه وأرواح سائر الأولياء: من لم يكن مرشده⁽³⁸⁾ يرشده ويربيه، فلیداوم

<107>

على الصلوات على الرسول صلى الله عليه وسلم حتى تحصل المناسبة معه ويستفيد من روحه الشريف ما يريده من الأنوار، والبركات بإذن الله، ومن هنا يقول الناظم بتضرع: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم نورك المحيط الهادي لا ينقص بشعلة منه تتفضل بنزوله الى قلب هذا الخادم الخالي عن الفضل، لعله يتنور، ويستقيم استقامة يستفيد منه حسن الخاتمة.

وقولي: (هم آمرون بمعروف) إشارة إلى تطبيق قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾، فالظاهر⁽³⁹⁾ أن جملة (تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر) ليست حالاً حتى تفيد أنهم خير أمة في حال كونهم أمرين وناهين، وإذا لم يكونوا كذلك لا تبقى فيهم الخيرية بل إنها جملة مستأنفة وتفيد كما أنه تقرر في علمه تعالى أنهم (خير أمة أخرجت) استقر أيضاً في علمه تعالى أنهم دائماً أمرون بالمعروف، وناهون عن المنكر بحسب الاستطاعة، وكانوا كذلك والحمد لله.

وقولي: (ضحوا بأموالهم.. الأبيات) حاصله: أنه كان للأصحاب الكرام مقامان، مقام قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة المنورة ومقام بعدها، فهم في المقام الأول لم يكونوا مأذونين في القتال، ولم يكن لهم فيه مجال، وكانوا تحت غدر المشركين، وكانوا يعذبونهم أنواع العذاب البدني بالضرب، والكوي، والعذاب النفسي بالتحقير بوجوه كثيرة، ومع ذلك فقد كانوا ثابتين على دينهم وصابرين على أذى المشركين، كانوا يعذبون بلائاً على ترك التوحيد، ويقول: أحد أحد، فجزاه الله تعالى بأن جعله مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم وفي هذا التاريخ يذكر اسمه مع اسم الرسول صلى الله عليه وسلم في الفواتح، بل كانوا يعدون عذابهم من المشركين كشرب الماء العذب عند شدة الحرارة والعطش.

ولما أخرجت قريش بني هاشم، وبني المطلب الى شعب أبي طالب أمرهم بالهجرة عن مكة، فهاجروا إلى الحبشة، وبقوا مدة، ولما سمعوا بسجود

<108>

⁽³⁹⁾ في المخطوط فإن الظاهر

المشركين مع الرسول صلى الله عليه وسلم عند سجدة سورة النجم، ظنوا تندم المشركين، فرجعوا إلى مكة، ولما علموا باستمرارهم على ما كانوا عليه هاجروا مرة ثانية إلى الحبشة، فبقوا فيها إلى ما بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم فهاجروا إلى المدينة المنورة.

ولما اجتمع المهاجرون في المدينة المنورة ومضت على الهجرة سبعة أشهر، نزلت آية الإذن في قتال المشركين.

وفي الأنوار المحمدية: وأذن الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بالقتال. قال الزهري: أول آية نزلت في القتال قوله تعالى: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾. فبعث صلى الله عليه وسلم البعوث والسرايا، وغزا، وقاتل هو وأصحابه حتى دخل الناس في دين الله أفواجا، وكان عدد مغازيه عليه الصلاة والسلام التي خرج فيها بنفسه سبعا وعشرين، قاتل في تسع منها بنفسه (بدر، وأحد، والمريسيع، والخندق، وقريظة، وخيبر، وفتح مكة، وحنين، والطائف) وسراياه التي بعث فيها سبع وأربعون سرية، أولها سرية حمزة رضي الله عنها في ثلاثين رجلا من المهاجرين، فخرجوا يعترضون عيرا لقريش، فلم يقع حرب، ثم سرية عبيدة بن الحارث بن المطلب إلى (بطن رابغ) في ستين رجلا، لقي أبا سفيان بن حرب، وكان على المشركين في مائتين فلم يكن بينهم قتال. ثم سرية سعد بن أبي وقاص إلى (الخزار) - وادٍ - في عشرين رجلا يعترض عيرا لقريش، فوجدوها قد مرت بالأمس.

غزوة ودان

ثم غزوة (ودان)، وهي الأبواء، وهي أول مغازيه صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة في صفر على رأس اثني عشر شهرا من الهجرة، يريد قريشا، في ستين رجلا، وحمل اللواء حمزة بن عبد المطلب، واستعمل على

المدينة سعد بن عبادة، فكانت المواجهة الى المصالحة على أن: بني ضمرة لا يغزونه، ولا يكثرون عليه جمعاً، ولا يعينون عدواً.

غزوة بواط

ثم غزوة بواط، وهي الثانية، غزاها صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهراً من الهجرة، في مائتين من أصحابه يعترض عيراً لقريش، أمية⁽⁴⁰⁾ بن خلف الجمحي، فرجع ولم يلق حرباً.

غزوة العشيرة

ثم غزوة العشيرة (وهي موضع لبني مدلج، ينبع) خرج إليها صلى الله عليه وسلم في جمادى الأولى، وقيل في جمادى الآخرة على رأس ستة عشر شهراً من الهجرة، في مائة وخمسين رجلاً، وقيل مائتين، ومعهم ثلاثون بعيراً، وحمل اللواء وكان أبيض حمزة، يريد غير قريش التي صدرت من مكة الى الشام بالتجارة، فخرج إليها ليغنمها، فوجدها قد مضت ووادع بني مدلج من كنانة على أن ينصروهم وينصروه صلى الله عليه وسلم.

غزوة بدر الأولى

ثم غزوة بدر الأولى أغار كرز بن جابر الفهري، على سرح المدينة بعد غزوة العشيرة بعشرة أيام، فخرج صلى الله عليه وسلم في طلبه حتى بلغ (سفوان) موضع من ناحية بدر فقاته كرز بن جابر وتسمى بدر الأولى، وحمل اللواء علي ابن ابي طالب رضي الله عنه

سرية عبدالله بن جحش

ثم سرية عبد الله بن جحش، وكان معه ثمانية من المهاجرين الى (نخلة) على ليلة من مكة، في رجب، يترصد غير قريش، فمرت به تحمل زبداً، وتمرراً، وأدماً من الطائف، فيها عمرو بن الحضرمي، فقتلوه، وأسروا عثمان <110>

⁽⁴⁰⁾ في المخطوط فيهم أمية.

بن عبد الله، والحكم بن كيسان، وهرب من هرب، واستاقوا العير، فكما قت أول غنيمة في الإسلام.

غزوة بدر الكبرى

ثم غزوة بدر الكبرى، وهو يوم الفرقان، الذي أعز الله به الإسلام وأهله، وأذل فيه الشرك مع قلة عدد المسلمين، وكثرة عدد المشركين، مع ما كانوا فيه من سوابغ الحديد، والعُدَّة الكاملة، والخيول المسومة، والخيلاء الزائدة، ولذلك امتن الله على المؤمنين بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾، وكان خروجهم ليوم السبت لثنتي عشرة خلت من رمضان، على رأس تسعة عشر شهراً من الهجرة، وخرج معه الأنصار، ولم يخرجوا معه قبل ذلك، وكانت عدة من خرج معه ثلاثمائة، وثمانية لم يحضروها وإنما ضرب لهم بسهمهم وأجرهم، فكانوا كمن حضرها، وكان معهم ثلاثة أفراس للمقداد، والزبير، ومرثد الغنوي، وكان معهم تسعون بعيراً أما المشركون فكانوا ألفاً، ومعهم مائة فرس وتسعمائة بعير، وكان قتالهم يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان، وكان خروجه صلى الله عليه وسلم بقصد التعرض لعير قريش القادم من الشام، في قافلة عظيمة، فيها أموال قريش، وعليها أبو سفيان، في ثلاثين راكباً، فلما بلغ صلى الله عليه وسلم بأصحابه (الروحاء) أتاه الخبر بمسيرة قريش ليمنعوا عن عيرهم، فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه وقال: ((إن الله وعدكم إحدى الطائفتين، إما العير، وإما قريش)) فقام أبو بكر فقال، فأحسن، ثم قام عمر فقال، فأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله، امض لما أمرك الله، فنحن معك. والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى (برك الغماد) يعني مدينة

الحبش، لجالدنا معك من دونه فقال صلى الله عليه وسلم: خيراً ودعاً.

ثم قال صلى الله عليه وسلم: أيها الناس يريد الأنصار، فقال سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: أجل، قال سعد: قد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر، فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن نلقى عدونا، وإنا لصبر عند الحرب، وصدق عند اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقرُّ به عينك، فسر بنا على بركة الله تعالى فسُرَّ عليه الصلاة والسلام بقول سعد، ونشطه ذلك، ثم قال: ((سيروا على بركة الله تعالى، وأبشروا، فإن الله قد وعدنا إحدى الطائفتين، والله لكأنني أنظر الآن إلى مصارع القوم، وعين مصارعهم، فما تعدّوها)).

ثم ارتحل صلى الله عليه وسلم قريباً من بدر، وترك قريشا بالعدوة القصوى وبني له صلى الله عليه وسلم عريش فكان به، ثم خرج عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة وابنه الوليد ودعوا إلى المبارزة، فخرج إليهم فتية من الأنصار، فقالوا: ما لنا بكم حاجة. ثم خرج إليهم بأمر رسول الله عبيدة بن الحارث بن المطلب، وحمزة، وعلي بن أبي طالب، فبارز حمزة شيبَةَ، فقتله، وبارز علي الوليد فقتله، واختلف بين عبيدة وعتبة ضربتان، فأُتِخَن كل صاحبه، فمال حمزة⁽⁴¹⁾ على عتبة فقتلاه، واحتملا عبيدة، واستشهد بعد ذلك من تلك الجراحة رضي الله عنه ثم تزاحف الناس، ودنا بعضهم من بعض، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش، ومعه أبو بكر فقط، وهو يناشد ربه ما وعده من النصر، ويقول: اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإيمان اليوم، فلا تعبد في الأرض أبداً.

<112>

⁽⁴¹⁾ في المخطوط حمزة وعليّ على عتبة

ولما نظر صلى الله عليه وسلم لكثرة المشركين، وقلة المسلمين، قام، فركع ركعتين، وقال وهو في صلاته: اللهم لا تخذلني، اللهم أنشدك ما وعدتني- ولما كان في العريش ومعه الصديق أخذته صلى الله عليه وسلم سنة من النوم، ثم استيقظ مبتسماً، فقال: أبشريا أبا بكر هذا جبريل على ثنياه النقع أي الغبار، ثم خرج من باب العريش يتلو ﴿سَيُهَرِّمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ﴾ وأمد الله المسلمين بألف من الملائكة، ثم صاروا ثلاثة آلاف، ثم صاروا خمسة آلاف، وكانت الملائكة لا تعرف كيف تقتل الآدميين، فعلمهم الله تعالى بقوله: ﴿فَاضْرِبُوا قُوقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: لم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر، وفيما سواه كانت عُددًا ومددًا، وكانت سيماهم يوم بدر عمائم بيض، ويوم حنين عمائم خضر، وعن سهل ابن حنيف عن أبيه قال: لقد رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا يشير بسيفه إلى المشرك، فيقع رأسه عن جسده، قبل أن يصل إليه السيف، ولما التقى الجمعان تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم كفاً من الحصباء، فرمى به في وجوههم، وقال: شاهت الوجوه، فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه ومنخره شيء، فانهزموا. وقتل الله من قتل من صناديد قريش، وأسر من أسير من أشrafهم.

وقال ابن إسحاق: وقاتل عكاشة بن محصن الأسدي يوم بدر بسيفه، حتى انقطع بيده، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه جزلاً من حطب، فقال له: قاتل به! فهزه، فعاد في يده سيفاً طويلاً القامة أبيض الحديد، فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين، وكان ذلك السيف يسمى (العون)، ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل وهو عنده، وجاءه عليه الصلاة والسلام يومئذ معاذ بن عمرو يحمل يده، ضربه عكرمة عليها فتعلقت بجلده، فبصق عليه الصلاة والسلام عليها فلصقت، فعاش بعد ذلك إلى زمان عثمان رضي الله عنهما وأمر صلى الله عليه

وسلم بقتلى المشركين أن يطرحوا في (القليب)، فطرحوا فيه، فاتاهم صلى الله عليه وسلم وناداهم صلى الله عليه وسلم: يا فلان بن فلان، يا فلان بن فلان، هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقاً؟ فإني وجدت ما وعدني الله حقاً. قال عمر: كيف تكلم أجساداً لا أرواح فيها؟ قال: ما أنتم بأسمع منهم، غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا شيئاً. قال ابن مرزوق: ومن آيات بدر الباقية ما كنت أسمعه من غير واحد من الحجاج: أنهم إذا اجتازوا بذلك الموضع يسمعون كهيئة طبل ملوك الوقت، ويرون أن ذلك لنصر أهل الإيمان، وكنت ربما أنكر ذلك، وربما أتأوله، حتى من الله عليّ بالوصول إلى ذلك الموضع الشريف، فسمعت صوت الطبل سماعاً محققاً المرة بعد المرة يومي أجمع!

وقد استشهد يوم بدر من المسلمين أربعة عشر رجلاً، ستة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار، وقتل من المشركين سبعون، وأسر سبعون ولما فرغ صلى الله عليه وسلم من بدر في آخر رمضان، عث زيد بن حارثة بشيراً، فوصل المدينة ضحى، وقد فرغوا من دفن رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عثمان رضي الله عنه تخلف عن بدر لتمريرها، فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه، وأجره. ثم سرية عمير بن عدي الخطمي، إلى عصماء بنت مروان، وكانت تعيب الإسلام وتعادي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءها عمير ليلاً فقتلها، ثم صلى الصبح مع النبي بالمدينة، وأخبره بذلك، فقال: لا ينتطح فيها عنزان.

غزوة قرقرة الكدر

خرج عليه الصلاة والسلام بعد بدر بسبعة أيام يريد بني سليم فبلغ ماءً يقال لها (الكدر)، أقام ثلاثاً، وقيل عشرًا، ولم يلق أحداً، وكانت غيبته خمس عشرة ليلة.

سرية سالم بن عمير

الى أبي عفك اليهودي، وكان يحرض على النبي صلى الله عليه وسلم، ويقول فيه الشعر، فأقبل إليه سالم فقتله.

غزوة بني قينقاع

بطن من يهود المدينة، وكانت يوم السبت، نصف شوال في رأس عشرين شهراً من الهجرة، وقد كان الكفار بعد الهجرة مع النبي صلى الله عليه وسلم على ثلاثة أقسام: قسم وادعهم عليه الصلاة والسلام على أن لا يحاربوه، ولا يألوا عليه عدوه، وهم طوائف اليهود الثلاثة (قريظة، والنضير، وبني قينقاع) وقسم حاربوه، ونصبوا له العداوة كقريش، وقسم تركوه، وانتظروا ما يؤول إليه أمره كطوائف من العرب، فمنهم من كان يحب ظهوره، ومنهم من كان معه ظاهراً، ومع عدوه باطناً، وهم المنافقون، وكان. أول من نقض العهد من اليهود بني قينقاع، فحاربهم عليه الصلاة والسلام في شوال، وكان اللواء بيد حمزة بن عبد المطلب، وكان أبيص، فقذف الله في قلوبهم الرعب، ونزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن له أموالهم، ولهم النساء والذرية، وأمر أن يجلوا من المدينة، فلاحقوا بأذرع، وأخذ من حصنهم سلاحاً وآلة كثيرة.

غزوة السويق

ثم غزوة السويق في ذي الحجة يوم الأحد لخمس خلون منها، على رأس اثنين وعشرين شهراً من الهجرة، وسميت بذلك لأنه كان أكثر زاد المشركين السويق وغنمه المسلمون، وكان سبب هذه الغزوة أن أبا سفيان حين رجع بالغير من بدر إلى مكة نذر أن لا يمسه النساء والدهن حتى يغزو محمداً: عليه الصلاة والسلام فخرج في مائتي راكب من قريش ليبر بيمينه، حتى أتوا (العريض) على ثلاثة أميال من المدينة فحرقوا نخلًا، وقتلوا رجلاً

من الأنصار، وانصرفوا راجعين، وخرج عليه الصلاة والسلام في طلبهم في مائتين من المهاجرين والأنصار، وجعل أبو سفيان وأصحابه يلقون جُرب السويق، وهي عامة أزوادهم يتخفون للهرب، فيأخذهم المسلمون، ولم يلحقهم عليه الصلاة والسلام فرجع الى المدينة وكانت غيبته خمسة ايام.

وفي هذه السنة تزوج علي بفاطمة رضي الله عنهما وخطبها قبله أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فلم يجبهما صلى الله عليه وسلم ١ ثم دعاهما وجماعة من المهاجرين والأنصار، فلما اجتمعوا وكان عليّ غائباً خطب صلى الله عليه وسلم خطبة بليغة، ثم قال: ((إن الله عز وجل أمرني أن أزوج فاطمة من علي بن ابي طالب، فاشهدوا أني قد زوجته على أربعمئة مثقال فضة، إن رضي بذلك علي!)) ثم دعا صلى الله عليه وسلم بطبق من بُسر، وقال: انتهبوا، انتهبوا⁽⁴²⁾، ودخل علي، فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه، ثم قال: ((إن الله عز وجل أمرني أن أزوجك فاطمة على أربعمئة مثقال من فضة، أرضيت بذلك؟)) فقال: قد رضيت بذلك يا رسول الله، فقال صلى الله عليه وسلم: ((جمع الله شملكما، وأعز جدكما، وبارك عليكما، أخرج منكما كثيراً طيباً))، قال أنس: فوالله قد أخرج منهما الكثير الطيب.

ثم سرية محمد بن مسلمة هو وأربعة معه الى كعب بن اشرف اليهودي، وكان شاعراً يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويحرض عليه كفار قريش، فتوجهوا إليه وقتلوه.

غزوة غطفان

كانت علي رأس خمسة وعشرين شهرة من الهجرة، وسببها أن جمعاً من بني ثعلبة ومحارب تجمعوا يريدون الإغارة، جمعهم دعثور ابن الحارث المحاربي، وكان شجاعاً، فندب صلى الله عليه وسلم المسلمين فخرج في أربعمئة وخمسين فارساً، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان.

<116>

⁽⁴²⁾ في المخطوط وقال: انتهبوا، فانتبهوا

فلما سمعوا بمهبطة صلى الله عليه وسلم هربوا الى رؤوس الجبال فأصابوا رجلاً منهم من بني ثعلبة يقال له (حبان) فادخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه الى الإسلام، فأسلم.

وأصابه صلى الله عليه وسلم مطر، فنزع ثوبيه، ونشرهما على شجرة ليجفا، واضطجع تحتها، وهم ينظرونه، فقالوا لدعثور: قد انفرد محمد فعليك به، فأقبل، ومعه سيف، حتى قام على رأسه عليه الصلاة والسلام، فقال: من يمنعك مني اليوم؟ فقال صلى الله عليه وسلم: الله، فدفعه جبريل في صدره، فوقع السيف من يده، فأخذه الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: من يمنعك مني اليوم؟ فقال: لا أحد، وأنا أشهد أن لا اله إلا الله وأنت رسول الله، ثم أتى قومه، فدعاهم إلى الإسلام. وأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ اُنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ الآية. ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلق كيداً، وكانت غيبته إحدى عشرة ليلة.

غزوة بحران

وتسمى غزوة بني سليم، وسببها أنه بلغه عليه الصلاة والسلام أن بها جمعاً كثيراً من بني سليم، فخرج في ثلاثمائة من أصحابه، فوجدهم قد تفرقوا في مياهم، فرجع، ولم يلق كيداً، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، وكانت غيبته عشر ليال.

سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه

الى قردة اسم ماء من مياه نجد في مائة راكب، يعترض عيراً لقريش، فيها صفوان بن أمية، ومعهم مال كثير، فأصابوها، وقدموا بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

غزوة أحد

ثم غزوة أحد كانت في شوال سنة ثلاث بالاتفاق يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت منه، اجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدركوا ثأرهم يوم بدر.

وكتب العباس بن عبد المطلب كتاباً يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبرهم، وسار بهم أبو سفيان حتى نزلوا ببطن الوادي من قبل أحد مقابل المدينة.

وكان رجال من المسلمين أسفوا على ما فاتهم من مشهد بدر، وأري رسول الله رؤيا أحبَّ لأجلها المكث في المدينة، وقال لأصحابه: امكثوا، فإن دخل القوم الأزقة قاتلناهم، ورُموا من فوق البيت. فقال أولئك القوم: يا رسول الله، كنا نتمني هذا اليوم أخرج بنا إلى أعدائنا لا يروننا جَبَّنا عنهم، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس الجمعة، ثم وعظهم، وأمرهم بالجِدِّ والاجتهاد، وأخبرهم أن النصر لهم ما صبروا وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم، وفرح الناس بذلك، ثم دخل عليه الصلاة والسلام بيته ثم خرج، وقد لبس لأُمته، وتقلد سيفه، فندموا على ما صنعوا، وقالوا: ما كان لنا أن نخالفك، فاصنع ما شئت. فقال: ((ما ينبغي لنبي إذا لبس لأُمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه))، وعقد صلى الله عليه وسلم ثلاثة ألوية: لواء المهاجرين بيد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ولواء الخزرج بيد الحباب بن منذر، ولواء الأوس بيد أسيد بن حضير رضي الله عنه وفي المسلمين مائة دارع، وخرج السعدان أمامه يعدوان: سعد بن معاذ، وسعد بن عباد رضي الله عنهما دارعين، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، وعلى الحرس تلك الليلة محمد بن مسلمة، وأدلى عليه الصلاة والسلام في السحر، وكان المسلمون ألفاً والمشركون ثلاثة آلاف رجل، فيهم سبعمائة درع، ومائتا فرس، وثلاثة آلاف

بعير، وخمس عشرة امرأة، ونزل عليه الصلاة والسلام بأحد، ورجع عنه عبد الله بن أبي في ثلاثمائة ممن تبعه من أهل النفاق، ويقال: إن النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم بالانصراف لكفرهم، ثم صف المسلمون بأصل أحد، وصف المشركون بالسبحة، وكان على ميمنة خيل المشركين خالد بن الوليد، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل.

وجعل صلى الله عليه وسلم على الرماة، وهم خمسون رجلاً (عبد الله بن جبير)، وقال: لا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، واحموا ظهورنا، فإن رأيتُمونا نقتل، فلا تنصرونا، وإن رأيتُمونا قد غنمنا فلا تشركونا، ووقعت الحرب، وقتل من المشركين جماعة، وأنزل الله نصره على المسلمين، فحسوا الكفار بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر، وكانت الهزيمة، فولى الكفار لا يلوون على شيء، ونساؤهم يدعون بالويل، وتبعهم المسلمون حتى أجهضوهم، ووقعوا يذهبون العسكر، ويأخذون ما فيه من الغنائم، فقال أصحاب عبد الله بن جبير: أي قوم الغنيمة، ظهر أصحابكم فما تنظرون؟ فقال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا: والله لنأتين الناس فلنصيب من الغنيمة.

فلما أتوهم صرفت وجوههم، فأقبلوا منهزمين، ونظر خالد بن الوليد إلى خلاء الجبل، وقلة أهله، فكّر بالخيل وتبعه عكرمة بن أبي جهل، فأقبلوا على من بقي من النفر الرماة، فقتلوهم، وأخيرهم⁽⁴³⁾ عبد الله بن جبير.

وفي البخاري: إنهم لما اصطفوا للقتال خرج سباع فقال: هل من مبارز، فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب، فشد عليه فكان كأمس الذاهب، وكان وحشي كامناً تحت صخرة فلما دنا منه رماه بحربته، حتى خرجت من بين وركيه، فكان آخر العهد به رضي الله عنه.

وكان مصعب بن عمير قاتل دون رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى قتل، وكان الذي قتله ابن قمئة، وهو يظنه رسول الله فصاح: إن محمداً

<119>

قد قتل، وقال قائل: أي عباد الله أخراجكم، أي احترزوا من جهة أخراجكم، فعطف المسلمون يقتل بعضهم بعضاً، وهم لا يشعرون، وانهزمت طائفة منهم الى جهة المدينة، وتفرق سائرهم، ووقع فيهم القتل، وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انكشفوا عنه، وثبت معه من أصحابه أربعة عشر رجلاً سبعة من المهاجرين منهم أبو بكر الصديق، وسبعة من الأنصار. وأصيب من المسلمين سبعون رجلاً، وكان صلى الله عليه وسلم وأصحابه. أصابوا من المشركين يوم بدر الكبرى مائة وأربعين، سبعين قتيلاً وسبعين أسيراً، فقال أبو سفيان: أفي القوم محمد؟ ثلاث مرات، فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يجيئوا، فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ ثلاث مرات، فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يجيئوا. فقال: أفي القوم ابن الخطاب؟ ثلاث مرات. فرجع الى أصحابه، فقال: أما هؤلاء فقد قتلوا، فما ملك عمر نفسه فقال: كذبت يا عدوّ والله إن الذين عدت لأحياء كلهم، وقد بقي لك ما يسوؤك. قال: يوم بيوم بدر، والحرب سجال.

ورمي رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ فكسرت ربايعته اليمنى السفلى، وجرحت شفته السفلى، وشج في جبهته وجرحت وجنته، وهشموا البيضة على رأسه (أي كسروا الخوذة)، ورموه بالحجارة حتى سقط لشقه في حفرة، فأخذه علي كرم الله وجهه واحتضنه طلحة بن عبيد الله، حتى استوى قائماً، ونشبت حلقتان من المغفر بوجهه، فانتزعهما أبو عبيدة بن الجراح، وعض عليهما حتى سقطت ثنيتاه من شدة غوصهما في وجهه الشريف، وامتنص مالك بن سنان، والد أبي سعيد الخدري الدم من وجنته ثم ازدرده. فقال عليه الصلاة والسلام: ((من مسّ دمي دمه لم تصبه النار)). وعن أبي أمامة قال: رمى عبد الله بن قمئة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فشجّ وجهه، وكسر ربايعته، فقال: خذها وأنا ابن قمئة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يمسح الدم عن وجهه:

أَقْمَاكَ اللهُ. فَسَلَطَ اللهُ عَلَيْهِ تَيْسَ جَبَلٍ، فَلَمْ يَزَلْ يَنْطَحُهُ حَتَّى قَطَعَهُ قِطْعَةً قِطْعَةً.

عَنِ الْإِمَامِ الْأَوْزَاعِيِّ قَالَ: بَلَّغْنَا أَنَّهُ لَمَّا جَرَحَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أَحَدٍ شَيْئًا فَجَعَلَ يَنْشِفُ دَمَهُ وَيَقُولُ: اَللّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ.

وَاشْتَغَلَ الْمُشْرِكُونَ بِقَتْلِ الْمُسْلِمِينَ يُمَثِّلُونَ بِهِمْ، يَقْطَعُونَ الْأَذَانَ، وَالْأَنْوْفَ وَالْفُرُوجَ، وَيَقْرُونَ الْبَطْوَانَ، وَقَتْلَ مَنْ الْمُشْرِكِينَ ثَلَاثَةَ وَعِشْرُونَ، وَقَتْلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ أَبِي بَنْ خَلْفٍ. وَلَمَّا أَرَادَ أَبُو سَفْيَانَ الْإِنْصِرَافَ أَشْرَفَ عَلَى الْجَبَلِ، وَصَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: إِنْ الْحَرْبُ سَجَالُ يَوْمَ بِيَوْمِ بَدْرٍ (أَعْلُ هَبْلٍ)، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ □ لِعُمَرَ: أَجِبْهُ، فَقَالَ: (اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ)، وَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ: أُنْعَمْتُ أَيُّ الْأَزْلَامِ. فَقَالَ عُمَرُ: لَا سَوَاءَ، قَتَلْنَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتَلَاكُمْ فِي النَّارِ. فَقَالَ: إِنْ لَنَا الْعِزُّ وَلَا عُزَى لَكُمْ. فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((قُولُوا: اللَّهُ مَوْلَانَا، وَلَا مَوْلَى لَكُمْ)). فَلَمَّا أَنْصَرَفَ أَبُو سَفْيَانَ قَالَ: مُوَعِدْكُمْ بَدْرَ الْعَامِ الْمَقْبِلِ، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ: ((قُلْ نَعَمْ هُوَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ مُوَعِدٌ)). وَنَظَرَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى حِمْزَةٍ وَقَدْ بَقِرَ بَطْنُهُ عَنْ كَبِدِهِ وَجَدَعَ أَنْفَهُ وَأَذَنَاهُ، فَلَمْ يَنْظُرْ إِلَى شَيْءٍ أَوْجَعَ لِقَلْبِهِ مِنْهُ، فَقَالَ: رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْكَ، فَقَدْ كُنْتَ فَعُولًا لِلْخَيْرِ، وَصَوْلًا لِلرَّحِمِ، وَمِمَّنْ مِثْلُ بِهِ كَمَا مِثْلُ بِحِمْزَةِ ابْنِ أُخْتِهِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَحْشٍ، وَدَفِنَ مَعَهُ فِي قَبْرِ وَاحِدٍ.

وَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى قَتْلِ الْمُسْلِمِينَ قَالَ: ((أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ، وَمَا مِنْ جَرِيحٍ يَجْرَحُ فِي سَبِيلِ اللهِ إِلَّا وَاللهُ يَبْعَثُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَدْمِي جَرْحَهُ، اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ، وَالرِّيحُ رِيحُ الْمَسْكَ)). وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لَمَّا أَصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأَحَدٍ جَعَلَ اللهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خَضِرٍ تَرُدُّ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ، وَتَأْكُلُ مِنْ ثَمَارِهَا،

وتأوي الى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم، وحسن مقيلم قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يزهدوا في الجهاد وينكلوا عن الحرب))، قال الله تعالى (أنا أبلغهم عنكم).- فأنزل الله عز وجل على نبيه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَّقُونَ﴾ الآيات.

غزوة حمراء الأسد

ثم غزوة حمراء الأسد، وهي على ثمانية أميال من المدينة، وكان صبيحة يوم الأحد خرج صلى الله عليه وسلم بأصحابه لطلب عدوهم بالأمس، ونادى مؤذنه صلى الله عليه وسلم: أن لا يخرج معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس (أي من شهد أحداً) وانما خرج (عليه الصلاة والسلام) مرهباً للعدو، وليبلغهم أنه خرج في طلبهم ليظنوا بهم قوة، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم، وأقام عليه الصلاة والسلام ثلاثة أيام ثم رجع إلى المدينة.

وقد غاب خمساً، وظفر صلى الله عليه وسلم في مخرجه ذلك بمعاوية ابن المغيرة ابن أبي العاص، فأمر بضرب عنقه صبرا انتهى.

قلت: إن واقعة أحد أثبتت أن القضاء يتحتم مضأؤه، وإلا فلو كان الأصحاب لا يرغبون الرسول صلى الله عليه وسلم في الخروج من المدينة أو لم يكونوا يخالفون ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يصيبهم ما أصابهم. ومع ذلك ففي القضاء بما قضى الله تعالى به حكم كثيرة جدا:

منها: أنه يجب على الأصحاب بل على كل اتباع أولي الأمر الرشيد إطاعته والالتزام بأوامره ونواهيه كلها.

ومنها: أن لا يغتر الأصحاب بالنصر والظفر المستمر، فإن الحرب سجال، ولكل واقعة رجال.

ومنها: أن الله غني عن العالمين يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، ولا يسأل عما يفعل.

ومنها: إخلاص النية في الجهاد بحيث لا يشوبه الميل إلى الغنائم.

ومنها: اكتساب مزيد من الأجر بقبول الاستشهاد والتعب والجراحة.

ومنها: تمييز الصادقين عن المنافقين المترددين في الدين.

ومنها: إظهار عظمة أخلاق سيد الكائنات محمد صلى الله عليه وسلم ﷺ في السراء والضراء، وعند تجلي الآلاء وإنزال البلاء، فإنه صلى الله عليه وسلم منذ نعومة أظفاره وأوائل نشوء أعماله وآثار أفكاره يوما فيوما، وشهراً فشهرًا، وسنة فسنة، وطوراً فطوراً وجده المنصفون المنصفون بالعقل السليم، متخلقا بالأخلاق العالية الفائقة اللائقة لخاتم الأنبياء والمرسلين المبعوث رحمة للعالمين، وبالخاصة بعد جلوة إعلان الرسالة العامة الخالدة كان هو وأصحابه يتقلبون في الشدائد، والاضطهاد، والتعذيب والهجرة والتغريب، ومع ذلك لم يأت على ذاته المقدس إلا التسليم والتفويض الى الحكيم العليم، لاسيما بعد وفاة عمه المحب أبي طالب وقع في آساف ومحن كثيرة، وبعد أن عزموا على إبادته، وأخذ الأمر لهجرته، وإدراك التعب لنفسه ولأمته، وظهور الخير والإقدام على العون من أنصار حضرته، وعند فتحه وظفره ببدر الكبرى لم يحصل منه آثار غير التسليم، وكذلك في نقمة حادثة أحد الحاصلة في مخالفة أمره لم يظهر منه شيء إلا الصبر والسكينة، والاستقامة على ما أمره الله به، والرضاء بالقضاء. فقد أثبت للعالم أنه على خلق عظيم الذي يعد من أكبر معجزاته صلى الله عليه وسلم، وفسر للعالم فعلاً قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ﴾

فيارب العالمين ويا أرحم الراحمين أثبتنا في ديوان أمته المقبولة المستقيمة، واثبتنا على خدمة دينه المبين، وتفضل علينا بالخاتمة الحسني حتى تتشرف بلقائه يوم الدين، وفرج عنا وعن المسلمين، واجعلنا وأمواتنا من عتقاء هذا

الشهر المبارك الذي نحن في ترقيم نموذج من سيرته المباركة
صلى الله تعالى عليه وعلى إخوانه الأنبياء والمرسلين وجميع
أهل بيته وآله وأصحابه وأتباعهم باحسان الى يوم الدين وآخر
دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

سرية أبي سلمة عبدالله بن عبد الأسد

الى قطن (جبل بناحية فيد) ومعه مائة وخمسون من الأنصار
والمهاجرين لطلب طليحة وسلمة ابني خويلد فلم يجدهما.
ووجد إبلا رشاء أغار عليها ولم يلق كيداً.

سرية عبدالله بن أنيس وحده

لأنه بلغه صلى الله عليه وسلم أنه جمع الجموع لحربه فقتله
عبد الله، وأخذ رأسه حتى قدم المدينة.

سرية عاصم بن ثابت

الى الرجيع اسم ماء لهذيل بين مكة وعسفان قدم على رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد رهط من عضل والقارة،
فقالوا: يا رسول الله إن فينا إسلاماً فابعث معنا نفرًا من
أصحابك يُفقهوننا. فبعث معهم ستة من أصحابه وأمر عليهم
عاصم بن ثابت، فخرجوا مع القوم حتى أتوا على الرجيع،
غدروا بهم، فاستصرخوا عليهم هذيلًا، فنفروا بقريب من مائتي
رجل، يرع⁽⁴⁴⁾ القوم وهم في رحالهم إلا الرجال بأيديهم
السيوف، وقد غشوهم، فقاتلهم مرثد وخالد وعاصم حتى قتلوا،
ونزل عليهم على العهد والميثاق خبيب بن عدي، وزيد بن
الدثنة، وعبد الله بن طارق، ثم أمتنع منهم عبد الله، فقتلوه،
وانطلقوا بخبيب، وزيد، حتى باعوهما لأهل مكة، فقتلوهما،
وقال أبو سفيان لزيد: أنشدك بالله أتحب أن محمداً الآن عندنا
مكانك نضرب عنقه، وإنك في أهلك؟ فقال: والله ما أحب أن
محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه، وإنني
لجالس في أهلي. فقال

<124>

⁽⁴⁴⁾ في المخطوط فلم يرع.

أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمدٍ محمداً! ثم قتلوه.

سرية المنذر بن عمرو

الى بئر معونة وهو موضع بين مكة وعسفان بعثه صلى الله عليه وسلم في سبعين من القراء، ليدعوا أهل نجد إلى الإسلام بطلب أبي براء (مُلاعب الأسنة) وجواره، فساروا حتى نزلوا بئر معونة، فاستصرخ عليهم عامر بن الطفيل قبائل بني سليم، عُصَيَّة ورِعْلًا، وقتلوههم حتى قتلوا الى آخرهم إلا كعب بن زيد، وعمرو بن أمية الضمري، فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم خبرهم، قال: هذا عمل أبي براء، قد كنت لهذا كارهاً متخوفاً، فبلغ ذلك أبا براء فمات أسفاً! وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد أي حزن على أحد، ما وجد على أهل بئر معونة، ودعا على من قتلهم ثلاثين صباحاً.

غزوة بني النضير

ثم غزوة بني النضير قبيلة كبيرة من اليهود وكانت في ربيع الأول سنة أربع من الهجرة. خرج صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر، وعمر، وعلي رضي الله عنهم يستعينهم في دية رجلين قتلتهما عمرو بن أمية الضمري، فقالوا: يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت ثم همّوا بإلقاء صخرة عليه ليقتلوه.

ونهاهم سلام بن مشكم فلم ينتهوا، فقال لهم: لا تفعلوا، والله ليخبرن بما هممتهم، وإنه لنقض للعهد. فأتاه الخبر من السماء بما أراد القوم فقام عليه الصلاة والسلام مظهراً أنه يقضي حاجة، ورجع مسرعاً إلى المدينة، وتبعه أصحابه فأخبرهم بما أرادت يهود من الغدر به، وأمر صلى الله عليه وسلم بالتهيء لحربهم، والمسير إليهم، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم.

ثم سار بالناس حتى نزل بهم، فحاصرهم ست ليال، فتحصنوا منه في الحصون، ثم قذف الله في قلوبهم الرعب، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجليهم عن أرضهم، ويكف عن دمائهم، فأجلاهم صلى الله عليه وسلم وولي إخراجهم محمد بن مسلمة، فكانوا يخربون بيوتهم بأيديهم، وحملوا النساء والصبيان، وتحملوا على ستمائة بعير، فلحقوا بخيبر، وقسم صلى الله عليه وسلم منازلهم بين المهاجرين، ليرفع بذلك مؤنهم عن الأنصار.

غزوة ذات الرقاع

ثم غزوة ذات الرقاع سميت بذلك لأنهم رقعوا فيها وكان خبرها أنه صلى الله عليه وسلم غزا نجدا يريد بني محارب وبني ثعلبة لأنه بلغه أنهم جمعوا الجموع، فخرج في أربعمئة من أصحابه، وقيل سبعمئة، واستعمل على المدينة عثمان بن عفان رضي الله عنه وخرج حتى نزل نخلًا هو موضع من نجد من أرض غطفان، فتقارب الناس، ولم تكن بينهم حرب، وقد أخاف الناس بعضهم بعضاً حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف، وكانت غيبته صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة خمس عشرة ليلة.

غزوة بدر الاخيرة

وهي الصغرى، لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من غزوة ذات الرقاع أقام بها جمادي الأولى إلى آخر رجب ثم خرج في شعبان الي بدر لميعاد أبي سفيان، فخرج عليه الصلاة والسلام ومعه ألف وخمسمئة من أصحابه وعشرة أفراس، واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة، فأقاموا على بدر ثمانية أيام ينتظرون أبا سفيان، وخرج أبو سفيان حتى نزل عسفان ثم بدا له الرجوع فرجع بالناس.

غزوة دومة الجندل

وهي مدينة بينها وبين دمشق خمس ليال، وتُعدّها من المدينة خمس عشرة ليلة، وكان في شهر ربيع الأول على رأس تسعة وأربعين شهراً من الهجرة، وكان سببها أنه بلغه صلى الله عليه وسلم أن بها جمعاً كثيراً يظلمون من مر بهم، فخرج عليه الصلاة والسلام لخمس ليال بقين من شهر ربيع الأول في ألف من أصحابه، واستخلف على المدينة سباع بن عرفتة، فلما دنا منهم لم يجد إلا النعم والشاء، فهجم على ماشيتهم وزرعاتهم فأصاب من أصاب وهرب من هرب في كل وجه، وجاء الخبر أهل دومة الجندل فتفرقوا.

ونزل عليه الصلاة والسلام بساحتهم فلم يلق أحداً، وأقام بها أياماً، وبث السرايا، ثم رجع ودخل المدينة في عشرين من ربيع الآخر.

غزوة المريسيع

وهو ماء لبني خزاعة، وتسمى غزوة بني المصطلق، وكانت يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان سنة خمس. وسببها أنه بلغه عليه الصلاة والسلام أن رئيسهم الحارث بن أبي ضرار سار في قومه ومن قدر عليه من العرب، فدعاهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجابوه وتهيأوا للمسير معهم، فبعث صلى الله عليه وسلم بريدة بن الخصيب الأسلمي يعلم علم ذلك فأتاهم ولقي الحارث وكلمه ورجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره، وخرج عليه الصلاة والسلام مسرعاً وبلغ الحارث ومن معه مسيره عليه الصلاة والسلام فسيئوا بذلك وخافوا خوفاً شديداً، وتفرق عنهم من كان معهم من العرب، وبلغ صلى الله عليه وسلم المريسيع، وصف أصحابه، ودفع راية المهاجرين إلى أبي بكر، وراية الانصار إلى سعد بن عباد، فتراموا بالنبل ساعة، ثم أمر عليه الصلاة والسلام أصحابه فحملوا حملة رجل واحد، وقتلوا عشرة، وأسروا سائرهم، وسبوا

النساء والرجال، والذرية، والنعم، والشاء، ولم يقتل من المسلمين إلا رجل واحد، وكانت غيبته صلى الله عليه وسلم ثمانية وعشرين يوماً.

غزوة الخندق

وهي الأحزاب سميت بالخندق الذي حفر حول المدينة، بأمره صلى الله عليه وسلم الذي أشار به سلمان الفارسي رضي الله عنه، وعمل فيه صلى الله عليه وسلم بنفسه ترغيباً للمسلمين.

وأما تسميتها بالأحزاب فلاجتماع طوائف من المشركين على حرب المسلمين، وهم قريش، وغطفان، واليهود، ومن معهم، وكان من حديث هذه الغزوة أن نفرًا من اليهود خرجوا، حتى قدموا على قريش مكة، وقالوا إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، فاجتمعوا لذلك واتحدوا له، ثم خرج أولئك اليهود حتى جاءوا غطفان، فدعوههم إلى حربه صلى الله عليه وسلم وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه، وإن قريشاً قد بايعوهم على ذلك، واجتمعوا معهم، فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن في فزارة، والحارث بن عوف في بني مرة، وكانت عدتهم عشرة آلاف، والمسلمون ثلاثة آلاف، ولما سمع صلى الله عليه وسلم بالأحزاب وبما أجمعوا عليه من الأمر، ضرب على المسلمين الخندق، وقد وقع في حفر الخندق آيات من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام منها ما رواه أحمد والنسائي عن البراء، قال: لما كان حين أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق عرضت لنا صخرة لا تأخذ منها المعاول، فاشتكيننا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فجاء فأخذ المعول، فقال: بسم الله، ثم ضرب ضربة، فنشر ثلثها، وقال: الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر الساعة. ثم ضرب الثانية، فقطع ثلثاً آخر، فقال: الله أكبر، أعطيت مفاتيح فارس، وإني والله لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن. ثم ضرب الثالثة، فقال: بسم الله فقطع

بقية الحجر، فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء في مكاني الساعة.

ومنها تكثير الطعام القليل، كما ثبت في الصحيح بحديث جابر وسيأتي إن شاء الله مستوفى في مقصد المعجزات.

ولما فرغ صلى الله عليه وسلم من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع السيول في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة، ونزل عيينة بن حصن في غطفان، ومن تبعهم من أهل نجد إلى جانب أحد، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع، وكانوا ثلاثة آلاف رجل، فضرب هناك معسكره، والخندق بينه وبين القوم، وكان لواء المسلمين بيد زيد بن حارثة، ولواء الأنصار بيد سعد بن عباد. وكان بنو قريظة على عهد وعقد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل حِيَّ بن أخطب برئيسهم كعب بن أسد حتى نقض هو وقومه العهد، فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بعض أصحابه إليهم، فوجدهم على أخبث ما بلغهم عنهم، فعظم عند ذلك البلاء، واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم، حتى ظنَّ المؤمنون كل ظن، ونجم النفاق في بعض المنافقين، وأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وعدوهم يحاصروهم، ولم يكن بينهم قتال، إلا مراماة بالنبل، لكن كان عمرو بن ودّ العامري اقتحم هو ونفر معه خيولهم من ناحية ضيقة من الخندق، فبارزه على فقتله، وبرز نوفل بن عبد الله بن المغيرة، فقتله الزبير، ورجعت بقية الخيول منهزمة، ورمى سعد بن معاذ رضي الله عنه بسهم فقطع منه الأكل، وهو عرق الحياة، وفي كل عضو منه شعبة، فلم يرقأ الدم.

وفي البخاري: دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأحزاب فقال: ((اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب اللهم اهزمهم، وزلزلهم))

وفي ينبوع الحياة لابن ظفر قيل: إنه صلى الله عليه وسلم دعا، فقال: ((يا صريخ المكروبين يا مجيب المضطرين، اكشف همي وغمي وكربي، فإنك ترى ما نزل بي وبأصحابي)). فأتاه جبريل عليه السلام فبشره أن الله تعالى يرسل عليهم ريحاً وجنوداً، فأعلم أصحابه، ورفع يديه قائلاً: شكراً، شكراً.

وهبت ريح الصبا ليلاً، فقلعت الأوتاد وألقت عليهم الأنبياء، وكفأت عليهم القدور، وسفت عليهم التراب، ورمتهم بالحصباء، وسمعوا في أرجاء معسكرهم التكبير، وقعقة السلاح، فارتحلوا هرباً في ليلتهم، وتركوا ما استثقلوه من متاعهم، قال: فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا﴾ وانصرف صلى الله عليه وسلم من غزوة الخندق يوم الأربعاء، لسبع خلون من ذي القعدة، وكان قد أقام بالخندق خمسة عشر يوماً.

وقال عليه الصلاة والسلام: ((لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا)). وفي ذلك علم من أعلام النبوة صلى الله عليه وسلم، فإنه صلى الله عليه وسلم اعتمر في السنة السادسة فصده قريش من البيت، ووقعت الهدنة بينهم إلى أن نقضوها، فكان ذلك سبب فتح مكة، فوقع الأمر كما قال صلى الله عليه وسلم.

غزوة بني قريظة

وهم اليهود الذين كانوا عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنهم قد نقضوا العهد وانضموا إلى الأحزاب كما مر سابقاً في غزوة الخندق. وفي المواهب اللدنية: لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع السلاح، واغتسل، أتاه جبريل فقال: قد وضعت السلاح، والله ما وضعناه،

أخرج إليهم، وأشار إلى بني قريظة فأني عائد إليهم فمزلزل بهم. فأمر رسوله الله صلى الله عليه وسلم مؤذناً فأذن في الناس: من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة، وبعث منادياً ينادي: يا خيل الله اركبي، وبعث علياً رضي الله عنه على المقدمة، ثم سار في المسلمين، وهم ثلاثة آلاف، والخيل ستة وثلاثون فرساً، وحاصروهم صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين ليلة، حتى أجهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب فعرض عليهم رئيسهم كعب بن أسيد أن يؤمنوا، فقال لهم: يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإني أعرض عليكم خلاً ثلاثة، فخذوا أيها شئتم. قالوا: وماهي؟ قال: نبايع هذا الرجل ونصدق، فوالله إنه لقد تبين إنه لنبي مرسل، وإنه الذي تجدونه في كتابكم، فتأمنون على دمائكم، وأموالكم، وأبنائكم، ونسائكم، فأبوا. فأشار عليهم بقتل أولادهم ونسائهم، والخروج إلى قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فأبوا.

ولما اشتد الحصار بهم أذعنوا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ سيد الأنصار، فحكم فيهم: بأن تقتل رجالهم، وتقسم الأموال، وتسبي الذراري والنساء، فقال عليه الصلاة والسلام: ((حكمت اليوم فيهم بحكم الذي حكم به من فوق سبع سموات)). وانصرف صلى الله عليه وسلم يوم الخميس لسبع ليال خلون من ذي الحجة.

وأمر بالغنائم فجمعت وأخرج الخمس وقسم الباقي بين المسلمين، وانفجر جرح سعد بن معاذ، فمات شهيداً رضي الله تعالى عنه وعن أبي سعيد الخدري: كنت ممن حفر لسعد قبره، فكان تفوح علينا المسك كلما حفرنا!

سرية محمد بن مسلمة

إلى القرطاء بطن من بني بكر بن كلاب وهم ينزلون بالبكرات وبينها وبين المدينة سبع ليال بعثه صلى الله عليه وسلم في ثلاثين راكباً

فلما أغار عليهم قتل نفرًا منهم، وهرب سائرهم، واستاق نعماء
رشاءً، وقدم المدينة ومعه ثمانية بن أثال الحنفي أسيرًا، فربط
بأمره عليه الصلاة والسلام بسارية من سواري المسجد، ثم
أطلق سراحه بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم -
فاغتسل. وأسلم، قال: يا محمد والله ما كان على الأرض وجه
أبغض إليّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أصبح الوجوه إليّ.

غزوة بني لحيان

في ربيع الأول سنة ست من الهجرة، قالوا وجَد رسول الله
صلى الله عليه وسلم على عاصم بن ثابت وأصحابه وجدا
شديدًا، فأظهر أنه يريد الشام، وعسكر في مائتي رجل، ومعهم
عشرون فرسًا، واستخلف على المدينة عبد الله ابن أم مكتوم،
ثم أسرع السير حتى انتهى إلى حيث كان مُصاب أصحابه أهل
الرجيع، فترحم عليهم، ودعا لهم، فسمعت به بنو لحيان، فهربوا
في رؤوس الجبال فلم يقدر منهم على أحد، فأقام يوماً أو
يومين، فبعث السرايا في كل ناحية، ثم خرج حتى أتى عسفان،
فبعث أبا بكر في عشرة فوارس لتسمع به قريش فتذعرهم،
فأتوا (كراع) ثم رجعوا، ولم يلقوا أحداً، وانصرف صلى الله
عليه وسلم إلى المدينة، ولم يلق كيداً، وهو يقول: آيئون.
تائبون، عابدون لربنا حامدون، لربنا حامدون.
وغاب عن المدينة أربع عشرة ليلة.

غزوة الغابة

وسببها أنه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون
لقحةً وهي ذوات اللبن القريبة العهد بالولادة ترعى بالغابة،
وكان أبو ذر فيها، فأغار عليهم عيينة بن الحصن الفزاري ليلة
الأربعاء في أربعين فارساً فاستاقوها، وقتلوا ابن أبي ذر، فلما
أتى النبي صلى الله عليه وسلم الخبر نادى: يا خيل الله اركبي،
وركب النبي صلى الله عليه وسلم في خمسمائة، وعقد لمقداد
بن عمرو لواءً في رمحه، وقال: امض حتى تلحقك

الخيول، وأنا على أثرك، فأدرك أخريات العدو، وقتل أبو قتادة فارساً وعكاشة، وأدرك سلمة بن الأكوع القوم وهو على رجليه، ولحق رسول الله صلى الله عليه وسلم عشاءً، واستنقذوا عشر لقاح، وأفلت القوم بما بقي وهي عشر، وقد رجع وغاب خمس ليال.

سرية عكاشة بن المحصن الأسدي

الى غمر مرزوق، وهي ماء لبني أسد في أربعين رجلاً، فنذر به القوم، فهربوا، فاستاق مائتي بعير، وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلق كيدا.

سرية محمد بن مسلمة

الى بني ثعلبة، ومعه عشرة، فورد عليهم ليلاً، فأحرق بهم القوم، وهم مائة رجل، فتراموا ساعة من الليل، ثم حملت الاعراب عليهم بالرماح، فقتلوهم إلا محمد بن مسلمة، فوقع جريحاً واحتمل إلى المدينة، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح الى مصارعهم، في أربعين رجلاً فهربوا فاستاق نعماً من نعمهم، ورثاً من متاعهم، فقدم به المدينة، فخمسه صلى الله عليه وسلم وقسم ما بقي عليهم.

سرية زيد بن حارثة

الى بني سليم، فأصابوا امرأة من مزينة، يقال لها حليلة، فدلّتهم على محلة من محالهم، فساقوا نعماً وشاة⁽⁴⁵⁾ وأسرى، وكان فيهم زوج حليلة، فلما قفل زيد بما أصاب وهب رسول الله صلى الله عليه وسلم لحليلة نفسها وزوجها.

سرية زيد ايضاً

في سبعين راكباً، يعترض عيراً لقريش قد أقبلت من الشام فأخذوها وما فيها.

<133>

⁽⁴⁵⁾ في المخطوط وشاء

سرية زيد ايضا

ثم في خمسمائة رجل الى جذام، لأنهم قطعوا الطريق على دحية الكلبي، فأغاروا عليهم من الصبح، فقتل فيهم. فأوجعوا، وأخذوا من النعم ألف شاة ومائة من النساء والصبيان، فجاء زيد بن رفاعة الجذامي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من قومه، وأسلم، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً رضي الله عنه الى زيد بن حارثة يأمره أن يخلي بينهم وبين أولادهم، ففعل.

سرية زيد ايضا

الى وادي القُرى، فقتل من المسلمين قتلى، وحمل زيد من المعركة جريحاً.

سرية عبد الرحمن بن عوف

الى دومة الجندل مدينة في الشام بينها وبين دمشق خمس ليال، وبينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة سنة ست، قالوا: دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف، فأقعده بين يديه وقال: ((اغز باسم الله، في سبيل الله، فقاتل من كفر بالله، ولا تغدر، ولا تقتل وليداً))، وبعثه الى كلب بدومة الجندل، وقال: إن استجابوا لك فتزوج بنت ملكهم، فسار عبد الرحمن حتى دومة الجندل، فمكث ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام، فأسلم الأصبع بن عمرو الكلبي، وكان نصرانياً، وكان رئيسهم فأسلم، وأسلم معه ناس كثيرون من قومه، وأقام من أقام على إعطاء الجزية، وتزوج عبد الرحمن (تماضر) بنت الأصبع، وقدم بها المدينة، فولدت له أبا سلمة.

سرية علي ابن ابي طالب

ومعه مائة رجل الى بني سعد ابن بكر، لما بلغه صلى الله عليه وسلم أنهم يريدون أن يُمدّوا يهود خيبر، فأغاروا عليهم، فأخذوا خمسمائة بعير وألفي شاة وهربت بنو سعد.

سرية زيد بن حارثة

الى أم قرفة الفزارية، وسببها أن: زيداً خرج في تجارة الى الشام فلقية ناس من فزارة، فضربوه، وضربوا أصحابه وأخذوا ما كان معهم، وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فبعثه صلى الله عليه وسلم فصحبهم هو وأصحابه، وأحاطوا بالحاضر، وأخذوا أم قرفة، وكانت ملكة رئيسة، وأخذوا ابنتها جارية بنت مالك ابن حذيفة بن بدر.

سرية عبدالله بن عتيك

لأبي رافع اليهودي، وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج ومعه أربعة، فوضعهم خارج الحصن، ودخل هو واحتال عليه وقتله، وفي انصرافه كسرت ساقه، فلما رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال: فحدثته، فقال: أبسط رجلك، فمسحها، فكأنها لم أشتكها قط، وعادت أحسن ما كانت.

سرية عبدالله بن رواحة

الى اسير بن رزام اليهودي بخيبر، الذي أمرته اليهود عليها بعد قتل أبي رافع، فسار في غطفان وغيرهم بجمعهم لحربه صلى الله عليه وسلم وبلغه ذلك، فوجه إليه عبد الله بن رواحة في ثلاثين رجلاً، فضربه، عبد الله بن أنيس: ومالوا على أصحابه وهم ثلاثون رجلاً من اليهود، فقتلوهم غير رجل واحد، ولم يصب من المسلمين أحد.

سرية كرز بن جابر الفهري

الى العرينيين. في البخاري عن أنس أن أناساً من عُكْلٍ وعُرينة، قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكلموا بالإسلام، فقالوا: يا نبي الله إنا كنا أهل ضرع، ولم نكن أهل ريف، واستوخموا المدينة، فأمر لهم رسول الله بذود وراع، وأمرهم أن يخرجوا إليه، فيشربوا من ألبانها وأبوالها. فانطلقوا حتى إذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد إسلامهم، وقتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم واستاقوا الذود، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الطلب في آثارهم، فأمر بهم، فسمّلوا أعينهم، وقطعوا أيديهم، وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالتهم.

قال أنس: إنما سمل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعينهم لأنهم سملوا أعين الرعاء، فيكون ما فعل بهم قصاصاً، وعن سلمة بن الأكوع: أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث في آثارهم خيلاً من المسلمين أميرهم كرز بن جابر الفهري.

سرية عمرو بن أمية الضمري

الى أبي سفيان بن حرب بمكة، لأنه أرسل إلى النبي من يقتله غدرًا، فأقبل الرجل، ومعه خنجر ليغتاله، فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن هذا ليريد غدرًا، فجذبه أسيد بن حصير بداخله إزاره، فإذا بالخنجر فقال صلى الله عليه وسلم: أصدقني ما أنت؟؟ قال: وأنا آمن؟ قال: نعم. فأخبره بخبره فخلى عنه النبي صلى الله عليه وسلم وبعث عمرو بن أمية الضمري، ومعه سلمة بن أسلم الى أبي سفيان، وقال: إن أصبتما منه غرةً فاقتلاه.

ومضى عمرو يطوف بالبيت ليلاً، فرآه معاوية ابن أبي سفيان، فأخبر قريشاً بمكانه، فخافوه وطلبوه، وكان فاتكاً في الجاهلية، فحشد له أهل مكة، وتجمعوا، فهرب عمرو وسلمة، فلقي عمرو عبيد الله بن مالك التيمي،

فقتله، وقتل آخر، ولقي رسولين لقريش بعثهما يتجسسان الخبر، فقتل أحدهما فقدم به المدينة، فجعل عمرو يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره، وهو صلى الله عليه وسلم يضحك.

أمر الحديبية

وهي قرية على تسعة أميال من مكة. خرج صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين هلال ذي القعدة سنة ست من الهجرة للعمرة وخرجت معه زوجته أم سلمة، في ألف وأربعمائة بلا سلاح، إلا سلاح المسافر، السيوف في القرب، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، فلما كان بذى الحليفة، قلد الهدي وأشعر وأحرم منها بعمرة، وبعث عيناً له من خزاعة، وسار حتى كان بغدير الأشطاط، أتاه عينه فقال: إن قريشاً جمعوا لك جموعاً، وهم مقاتلون، وصادوك عن البيت، وما نعوك، فقال: أشيروا علي أيها الناس، أترون أن أميل إلى عيالهم، وذراري هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت؟ فقال أبو بكر: يا رسول الله خرجت عامداً لهذا البيت، لا تريد قتل أحد، ولا حرب أحد، فتوجه له، فمن صدنا قاتلناه، قال: امضوا على اسم الله. قال أبو هريرة رضي الله عنه: ما رأيت أحداً قط أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالثنية التي يهبط منها عليهم، بركت ناقته، فقال الناس: حل حل، فألحت، يعني تمادت على عدم القيام، فقالوا: خلأت القصواء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما خلأت، وليس ذلك من عادتها، وإنما حبسها حابس الفيل. أي أحبسها الله تعالى عن دخول مكة، كما حبس الفيل عن دخولها؛ لأن الصحابة لو دخلوها صدتهم قريش، فوقع بينهم القتال، وسفك الدماء، لكن سبق في علم الله تعالى أنه سيدخل في الإسلام منهم خلق كثير، وستخرج من أصلابهم ذرية ناس يسلمون ويجاهدون.

ثم قال صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمة الله إلا أعطيتهم إياها.

ثم زجرها فوثبت، فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية، على ثمد أي قليل من الماء فنزحوه، وشكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش، فانتزع سهماً من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه. قال راوي الحديث: فوالله ما زال يجيش بالماء حتى صدروا عنه، فبينما هم كذلك، إذ جاء بديل بن ورقاء الفزاري في نفر من قومه، وكانوا عبية نصح لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا اعداد مياه الحديبية، وهم مقاتلون، وصادوك عن البيت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنا لم نجيء لقتال أحد، ولكننا جئنا معتمرين، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم، فإن شاؤا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس، فإن أظهر، وإن شاؤا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جموا يعني استراحوا وإن هم أبوا، فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، ولينفذن الله أمره، فقال بديل: سأبلغهم ما تقول: فانطلق حتى أتى قريشاً، فحدثهم بما قال النبي صلى الله عليه وسلم، فقال عروة بن مسعود: قد عرض عليكم خطة رشيدة، اقبلوها ودعوني آتة، فأتاه فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحوه من قوله لبديل. وجعل عروة يرمق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينه، فقال: والله إذا أمرهم امراً ابتدروا أمره، وإذا توضعاً كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون النظر إليه تعظيماً له، فرجع عروة إلى أصحابه، فقال: أي قومي، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على كسرى، وقيصر، والنجاشي، والله إني ما رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدًا، والله إذا أمرهم امراً ابتدروا أمره، وإذا توضعاً كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده.

وما يُجدون النظر إليه تعظيماً له، وإنه قد عرض عليكم خطة
رشد فاقبلوها، ثم دعت قريش سهيل بن عمرو، فقالوا اذهب
الى هذا الرجل فصالحه، فقال صلى الله عليه وسلم: قد
أرادت قريش الصلح حين بعثت هذا، فلما انتهى الى النبي
صلى الله عليه وسلم جرى بينهما القول حتى وقع بينهما الصلح
على أن توضع الحرب بينهم عشر سنين، وأن يأمن بعضهم
بعضاً، وأن يرجع عنهم عامهم هذا، وعلى أنه لا يأتيه منهم
رجل، وإن كان على دينه، إلا رده إليهم، وكتب في ذلك كتاباً،
وبعث صلى الله عليه وسلم بالكتاب إليهم مع عثمان رضي الله
عنه وأمسك سهيل بن عمرو عنده، فأمسك المشركون عثمان،
فغضب المسلمون، وبلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن عثمان
قد قتل، فدعا الناس الى بيعة الرضوان تحت الشجرة على
الموت، وقيل على أن لا يفروا، ووضع صلى الله عليه وسلم
شماله في يمينه، وقال: هذه عن عثمان. ولما سمع بهذه البيعة
المشركون خافوا، وبعثوا عثمان، وجماعة من المسلمين وفي
هذه البيعة نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ
اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ
الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ الآية.

وحلق الناس مع النبي، ونحروا هداياهم بالحديبية، وأقام صلى
الله عليه وسلم بالحديبية بضعة عشر يوماً، ثم قفل وفي
نفوس بعضهم شيء، فأنزل الله تعالى سورة الفتح يسليهم
بها، ويذكرهم نعمه، فقال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾.
قال ابن عباس رضي الله عنه وأنس، والبراء بن عازب: الفتح
هنا فتح الحديبية، ووقوع الصلح، ثم رجع رسول الله صلى الله
عليه وسلم.

غزوة خيبر

هي مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع، على ثمانية بُرْدٍ من
المدينة، الى جهة الشام، قال ابن اسحاق: خرج صلى الله عليه
وسلم في بقية لمحرم سنة سبع، فأقام يحاصرها بضعة عشرة
ليلة، الى أن فتحها، وكان معه

عليه الصلاة والسلام ألف وأربعمائة راجل، ومائتا فارس، ومعه أم سلمة زوجته.

وفي البخاري: من حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم أتى خيبراً ليلاً، وكان إذا أتى قوماً بليل لم يغزهم حتى يصبح، فلما أصبح، خرجت اليهود الى أعمالهم بمساحيهم، ومكاتلهم، فلما رآوه صلى الله عليه وسلم قالوا: محمد، والله محمد والخميس، أي الجيش. فقال صلى الله عليه وسلم ((خربت خيبر. فإننا إذا نزلنا ساحة قوم فساء صباح المنذرين)).

وفي رواية فرفع يديه وقال: الله أكبر، خربت خيبر. وفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم الرايات.

وفي البخاري: وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم وكان رمداً، فلحق، قال راويه: فلما بتنا الليلة التي فتحت، قال: لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه، فلما أصبح الناس، غدوا على رسول الله، كلهم يرجون أن يعطاها فقال: أين علي بن أبي طالب؟ قالوا: هو يا رسول الله يشتكى عينيه. قال: فأرسلوا إليه، فأتى به، فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه، ودعا له فبرأ حتى كان لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: أنفذ على رسلك، أي هينتك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حقوق الله، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حُمْرُ النعم، وقاتل صلى الله عليه وسلم أهل خيبر، وقاتلوه أشد قتال، واستشهد من المسلمين خمسة عشر رجلاً، وقتل من اليهود ثلاثة وتسعون، وفتحها الله تعالى عليه حصناً حصناً، وأخذ كنز آل أبي الحقيق الذي كان في مسك الحمار أي جلده وكانوا قد غيبوه في خربة، ودل الله تعالى رسوله عليه، فاستخرجه.

وتزوج صلى الله عليه وسلم بصفية بنت حيي بن أخطب، وكان قد قتل زوجها كنانة بن الربيع، وكانت عروساً، فذكر له جمالها، فاصطفأها لنفسه الكريمة، بعد أن اعتقها فصارت من أمهات المؤمنين، وكانت قد رأت في الرؤيا أن القمر قد سقط في حجرها، فتوَل بذلك. وعن يزيد بن أبي عبيد، قال: رأيت أثر ضربة ساق سلمة، فقلت: ما هذه الضربة؟ قال: هذه ضربة أصابتها يوم خيبر.

فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فنفت فيها ثلاث نفثات، فما اشتكىتها حتى الساعة، وفي هذه الغزوة سممت اليهودية زينب بنت الحارث شاة مصلية أي مشوية أهدتها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكل منها، وأكل رهط من أصحابه معه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ارفعوا أيديكم، وأرسل الى اليهودية فقال: سممت هذه الشاة؟ فقالت: من أخبرك؟ فقال: أخبرتني هذه في يدي (للذراع)، فقالت: نعم، قلت إن كان نبياً فلن يضره، وإن لم يكن نبياً استرحنا منه، فعفا عنها صلى الله عليه وسلم، ولم يعاقبها، وتوفي أصحابه الذين أكلوا منها، وفيهم بشر بن البراء، فدفع صلى الله عليه وسلم اليهودية إلى أوليائه، فقتلوها به قصاصاً، واحتجم صلى الله عليه وسلم على كاهله. وفي هذه الغزوة أمر صلى الله عليه وسلم بإعلان حرمة نكاح المتعة.

ومما يجب على المسلم أن يكون على بصيرة في دينه اعتقاداً وعملاً، ويعلم أن الإسلام رحمة من الله للعباد، لابعادهم عن الفساد، وتقريبهم الى الرشاد، وذلك بأن يتوجهوا الى رب العالمين بتوحيد خالص، ويأخذوا عقائدهم من الرسول المؤيد من رب العالمين بالمعجزات. ويلتزموا أحكام دينه، ويجتنبوا عن كل عقيدة وعمل يخالفان العقول السليمة التي مقتضاها صيانة الأنفس، والأعراض، والأموال، والعقول، ولذلك حرم الله في جميع الشرائع القتل، والتعدي على الأموال، والأعراض، وحرَم المسكرات، فإن كل ذلك مخالف

للعقل السليم، وأما الذين ابتعدوا عن الشرايع، واتبعوا الهوى والشهوات، فقد باشروا بحسب إمكانهم كل ما يدعو إليه الهوى، وقد كانت الأمة الجاهلية مباشرة للمفاسد التي لا تحصى وكانوا يقتلون الأبرياء، وينهبون الأموال، ويهتكون الأعراض، ويتزوجون محارمهم، وزوجات الآباء والأبناء، ويزنون، ويفسقون، ويطلقون زوجاتهم ويرجعونهن بلا حصر... ولما انتصر الإسلام منع الفساد، ورغب في الرشاد، وجعل العقل منوراً بالتزام الحق، ومنع الإشراف بالله، والتعرض للمحرمات، وجعل لكل شيء قدراً، ولكل مدّ حداً، وقرر العدل والاعتدال أساساً للإسلام، ولما كان قد انتشر في الجاهلية الزنا، والفسوق، وطغى الطبع، جاء الإسلام قرر النكاح المستمر أساساً لبناء العوائل السليمة، ومنع ماعداً مباشرة الأزواج محرماً قطعاً: ﴿إلا ما ملكت أيما نكم﴾. وأنزل الله تعالى في تعداد المؤمنين قوله الكريم:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزُوجِهِمْ حَافِظُونَ (29) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (30) فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾، أي المتجاوزون عن حدود الدين. وكان إنزال الآية في مكة المكرمة مرتين تأكيداً وتأسيساً لحكم الزواج المشروع. ولكن لم يكن للرسول صلى الله عليه وسلم غلبة في مكة، وبقيت الأمور على ما كانت عليه إلى ما بعد الهجرة، وهناك جاء دور التطبيق لما أنزل سابقاً، والتأسيس لما ورد بعدها، فحرم المتعة إلا في وقت محدود واضطرار شديد، فإنه أعلن منعها في غزوة خيبر، وأباحها⁽⁴⁶⁾ في غزوة أوطاس، ثم حرّمها قطعاً مؤبداً بعد انتهاء الغزوة، وأكد تحريمها في حجة الوداع على جمهرة الناس، وفيهم كبار الأصحاب من الخلفاء الراشدين، وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين.

أما النهي عنها في غزوة خيبر، فلما رواه البخاري في صحيحه بقوله: حدثنا مالك بن اسماعيل، حدثنا ابن عيينة أنه سمع الزهري يقول: أخبرني الحسن بن محمد بن علي، وأخوه عبد الله عن أبيهما أن علياً رضي الله

<142>

⁽⁴⁶⁾ في المخطوط وأباحها للاضطرار.

عنه قال لابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية في خيبر- وأما إباحتها ثم حرمتها في عام الفتح عام أوطاس، فلما رواه مسلم عن إياس بن سلمة عن أبيه قال: رخص لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام أوطاس في المتعة ثلاثاً أي ثلاثة أيام ثم نهى عنها. وأما إباحتها في أماكن أخرى فقد ردها الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ونقل فيه عن النووي ما نصه: الصواب أن تحريمها وإباحتها وقعا مرتين، وكانت مباحة قبل خيبر، ثم حرمت فيها، ثم أبيحت عام الفتح عام أوطاس ثم حرمت تحريماً مؤكداً. انتهى.

وهذا الترخيص الذي صدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم كان ترخيصاً مقيداً بالغربة والاضطرار، ومبنيّاً على الابتعاد عن الفتنة، فشرع للغزاة الغرباء ذلك النكاح المؤقت في مقابلة عوض معلوم يتوافق الطرفان عليه، ولما استقر أمر الإسلام والمسلمين حرّمها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأبد، فكان التشريع بالسنة النبوية والتحريم أيضاً بالسنة النبوية. ووقع عليهما الإجماع ولم يخالف في ذلك أحد. وما يقال من مخالفة ابن عباس رضي الله عنهما كان في أول الأمر، ولما ثبت عنده تحريمها بقول الإمام علي رضي الله عنه عنه تندم، وهذا هو راجح النقل، وما يقال من أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه نهى عنه من جانب نفسه فغلط فاحش.

والدليل عليه ما ذكره صاحب فتح الباري، ونصه: وأخرج ابن المنذر والبيهقي من طريق سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم عن أبيه قال: صعد عمر المنبر فحمد الله تعالى، وأثنى عليه، ثم قال: ما بال رجال ينكحون هذه المتعة بعد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها؟ انتهى.

وصيغة نهيه صلى الله عليه وسلم س عنها ما ذكره صاحب فتح الباري، ونصه: وكان تقدم في حديث ابن نمير، أنه قال صلى الله عليه وسلم: يا أيها الناس إني قد كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء، وإن الله قد حرم ذلك الى يوم القيامة. انتهى.

وكان ذلك عندما كان واقفا بين الركن والمقام من الكعبة الشريفة عام الفتح بعد غزوة أوطاس، وما روي من أنه كان ذلك في حجة الوداع فعلى تقدير ثبوته كان تأكيداً للنهي السابق عام الفتح، وغزوة أوطاس بمناسبة كثرة الناس في موسم الحج، حتى ينتشر التحريم ويشتهر، وأما ما يروى من أن كثيراً من الناس كانوا يستباحون المتعة فلعلهم لم يبلغهم نهيه صلى الله عليه وسلم وإلا لما أقدموا عليها.

واستدلال المخالف على حل المتعة بقوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مؤكداً له بقراءة بعضهم (الى أجل مسمى).. لا يفيد حلها؛ لأن معنى الاستمتاع موجود في الأنكحة كلها، فإن معناه أخذ اللذة بقضاء الشهوة، وهو محقق فيها مطلقاً مؤقتة أم لا، والأجور بمعنى المهور، لأنها بدل الإبزاع كما جاءت بمعناها في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾

وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَقَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُواهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مع العلم أن النساء المتمتع بهن لم يسمين أزواجا لا في ذلك الزمان، ولا الآن.

وأما قراءة (الى أجل مسمى) فلا تأثير لها في الموضوع، لأنها من القراءات الشاذة الخارجة عن القراءات السبع، ولا تبنى عليها الأحكام قطعاً، ولو سلمنا اعتبارها فهي محمولة على تحديد آجال المهور المؤجلة.

ولا يخفى على من له علم بالكتاب أن تلك الآية الكريمة نزلت لبيان الزوجات اللاتي يتزوجن، ويؤسسن مع أزواجهن العوائل السعيدة بالأنس والألفة والتفاهم والدوام بالاخلاق الحسنة، لأنها نزلت بعد بيان النساء المحرمات بالنسب والرضاع والمصاهرة والجمع، والحرائر التي⁽⁴⁷⁾ تحت عصمة زواجهن. هذا.

(غريبة): يجري على ألسنة بعض الناس أنه: تأسف على حرمة نكاح المتعة، وقال: لو لم تحرم المتعة ما وقع أحد في الزنا، وغفل عن أن المتعة والزنا كانا حين ذاك متساويين في المغزى، إذ لا يوجد زنا إلا بميل الزاني والزانية، وإرادتهما سواء اتفقا على بذل المال، أو لا، وحين ذلك لم يبق مانع من مجامعة أي رجل مع أية امرأة، إلا في مواد شاذة من العمل بالإكراه.

غزوة وادي القرى

في جمادي الآخرة بعدما أقام لها صلى الله عليه وسلم أربعاً يحاصره وصالحه اهل تيماء على الجزية.

سرية عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه

الى تربة سنة سبع، ومعه ثلاثون رجلاً، فخرج معه دليل من بني هلال، فكان يسير الليل ويكمن بالنهار، فأتى الخبر الى هوازن، فهربوا، وجاء عمر بن الخطاب الى محالهم، فلم يلق منهم أحداً، وانصرف راجعاً الى المدينة.

سرية أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه

الى فزارة ناحية ضرية في شعبان سنة سبع، فسبي جماعة، وقتل آخرين.

<145>

⁽⁴⁷⁾ في المخطوط اللاتي.

سرية بشير بن سعد الانصاري

الى بني مرة بفدك، في شعبان سنة سبع، ومعه ثلاثون رجلاً، فقتلوا. وقاتل بشير حتى ارتث، وقدم ابن زيد الحارثي بخبرهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قدم بعده بشير بن سعد.

سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى الميعة

بناحية نجد من المدينة على ثمانية برد، في شهر رمضان سنة سبع من الهجرة في مائتين وثلاثين رجلاً، فهجموا عليهم في وسط محالهم، فقتلوا من أشرف لهم، واستاقوا نعماً وشاء إلى المدينة.

قالوا: وفي هذه السرية قتل أسامة بن زيد نهيك بن مرداس، بعد أن قال: لا إله إلا الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ألا شققت قلبه فتعلم أصادق أم كاذب؟)) فقال أسامة: لا أقاتل أحداً يشهد أن لا إله إلا الله. وفي البخاري عن أبي ظبيان قال: سمعت أسامة بن زيد يقول: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحرقة، فصبحنا القوم، فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، فلما غشيناهم، قال: لا إله إلا الله، فكف الأنصاري عنه، وطعنته برمح حتى قتلتها، فلما قدمنا بلغ النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ((يا أسامة أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله؟)) قلت: كان متعوذاً، فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم!

سرية بشير بن سعد الانصاري أيضاً

الى يمن وجبار وهي أرض لغطفان في شوال سنة سبع من الهجرة، وبعث معه صلى الله عليه وسلم ثلاثمائة رجل، لجمع تجمعوا للإغارة على المدينة، فساروا الليل، وكمنوا النهار، فلما بلغهم مسير بشير، هربوا، وأصاب لهم نعماً كثيرة، فغنمها، وأسر رجلين، وقدم بهما إلى المدينة، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلما.

عمرة القضاء

قال الحاكم في الإكليل: تواترت الأخبار أنه صلى الله عليه وسلم لما هل ذو القعدة سنة سبع أمر أصحابه أن يعتمروا قضاء لعمرتهم التي صدهم المشركون عنها بالحديبية، وأن لا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية، فلم يتخلف منهم إلا رجال استشهدوا بخبير، ورجال ماتوا، وخرج معه صلى الله عليه وسلم من المسلمين ألفان، واستخلف على المدينة أبا رهم الغفاري، وساق صلى الله عليه وسلم ستين بدنة.

وحمل السلاح، والبيض، والدروع، والرماح، وقاد مائة فرس، فلما انتهى إلى ذي الحليفة قدم الخيل أمامه، عليها محمد بن مسلمة، وقدم السلاح واستعمل عليه بشير بن سعد، وأحرم صلى الله عليه وسلم، ولبي والمسلمون يلبون معه، ومضى محمد بن مسلمة في الخيل إلى مَرَّ الظهران، فوجد نفرًا من قريش، فسألوه، فقال: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح هذا المنزل غدًا، إن شاء الله تعالى. فأتوا قريشًا، فأخبروهم، ففزعوا، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمَرَّ الظهران، وقدم السلاح إلى بطن ياجج موضع بقرب مكة، وخلف عليه أوس بن خولي الأنصاري، في مائتي رجل، وخرجت قريش من مكة إلى رؤوس الجبال، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدى، فحبس بذي طوى؛ وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحته القصواء، والمسلمون يتوشحون السيوف محدقون رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبون، فدخل من الثنية التي تطلعه على الحجون، وابن رواحة أخذ بزمام راحته وهو يقول:

اليوم نضربكم على تنزيله

خلوا بني الكفار عن سبيله

ويذهل الخليل عن خليله

ضربة يزيل الهام عن مقيله

فقال له عمر: يا ابن رواحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول شعراً؟ فقال صلى الله عليه وسلم: ((خلَّ عنه يا عمر، فلهيَّ أسرع فيهم من نضح النبل)). ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبي، استلم الركن بمحجته مضطجعا بثوبه، وطاف على راحلته، والمسلمون يطوفون معه، وقد اضطجعوا بثيابهم والاضطجاع أن يدخل الرداء تحت إبطه الأيمن، ويردَّ طرفه على يساره، وييدي منكبه الأيمن، ويغطي الأيسر.

وفي البخاري: قال المشركون: إنه قدم عليكم وقد وهنتهم حمى يثرب، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يرملوا الأشواط الثلاثة، وأن يمشوا ما بين الركنين. وفي رواية قال: أرملوا، ليُرِّيَ المشركين قوتهم، ثم طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين الصفا والمروة على راحلته، فلما كان الطواف السابع عند فراغه وقد وقف الهدي عند المروة، قال: هذا المنحر، وكل فجاج مكة منحر، فنحر عند المروة، وحلق هناك. وكذلك فعل المسلمون. وأمر صلى الله عليه وسلم ناساً منهم أن يذهبوا إلى أصحابه ببطن يأجج، فيقيموا على السلاح، ويأتي الآخرون ويقضون نسكهم، ففعلوا، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثاً، فلما مضى الأجل أتى المشركون علياً رضي الله عنه فقالوا: قل لصاحبك اخرج فقد مضى الأجل، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم.

سرية ابن أبي العوجاء السلمي

إلى بني سليم في ذي الحجة، سنة سبع في خمسين رجلاً، فأحرق بهم الكفار من كل ناحية، وقاتل القوم قتالاً شديداً، حتى قتل عامتهم، وأصيب ابن أبي العوجاء جريحاً مع القتلى، ثم تحامل حتى بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

سرية غالب بن عبدالله الليثي

الى بني الملوح بالكديد، في صفر سنة ثمان، فغنم.
وفي هذا الشهر قدم خالد بن الوليد، وعثمان ابن أبي طلحة،
وعمر بن العاص المدينة فأسلموا.
ثم سرية غالب أيضا إلى مصاب أصحاب بشير بن سعد بفدك،
سنة ثمان، ومعه مائتا رجل، فاغاروا عليهم مع الصبح وقتلوا
منهم قتلى، وأصابوا نعماً.

سرية شجاع بن وهب الاسدي

الى بني عامر في شهر ربيع الاول سنة ثمان، ومعه أربعة
وعشرون رجلا، الى جمع من هوازن، وأمره أن يغير عليهم،
فكان يسير الليل ويكمن النهار حتى صبحهم، فأصابوا نعمة
وشاءً واستاقوا ذلك حتى قدموا المدينة.

سرية كعب بن عمير الغفاري

الى ذات أطلاخ، فوجدوا جمعاً كثيراً، فقاتلهم أشد مقاتلة حتى
قتلوا، وأفلت منهم رجل جريح في القتلى، قيل هو الأمير، فلما
برد الليل تحامل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم،
فأخبره، فشق ذلك عليه، وهم بالبعث إليهم، فبلغه أنهم ساروا
إليه وضع آخر فتركهم.

سرية مؤتة

وهي من عمل البلقاء بالشام، كانت في جمادي الأولى سنة
ثمان وذلك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أرسل
الحارث بن عمير بكتاب الى ملك بصرى، فلما نزل مؤتة،
عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني، فقتله، ولم يقتل لرسول
الله صلى الله عليه وسلم رسول غيره، فأمر رسول الله صلى
الله عليه وسلم زيد بن حارثة على ثلاثة آلاف، وقال: إن قتل
فأميركم جعفر بن أبي طالب، فإن قتل فأميركم عبد الله بن
<149>

رواحة. فإن قتل، فليرتضى المسلمون برجل من بينهم يجعلونه عليهم، وعقد لهم صلى الله عليه وسلم لواءً أبيض، ودفعه الى زيد بن حارثة، وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير، وأن يدعوا من هناك إلى الإسلام، فإن أجابوا وإلا استعينوا عليهم بالله، وقتلوهم، وخرج مشيعاً لهم حتى بلغ ثنية الوداع. ولما ساروا نادى المسلمون: دفع الله عنكم، وردكم صالحين غانمين، فلما فصلوا من المدينة سمع العدو بمسيرهم، فجمعوا لهم، وقام شرحبيل بن عمرو فجمع أكثر من مائة ألف، وقدم الطلائع أمامه، وقد نزل المسلمون معان موضع من أرض الشام وبلغ الناس كثرة العدو، وتجمعهم، وأن هرقل نزل بأرض البلقاء في مائة ألف من المشركين، فأقاموا ليلتين لينظروا في أمرهم، وقالوا: نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره الخبر، فشجعهم عبد الله بن رواحة على المضي، فمضوا إلى مؤتة، ووافاهم المشركون، فجاء منهم ما لا قبل لأحد به من العدد، والسلاح والكراع، والديباج، والحريز، والذهب، والتقى المسلمون والمشركون، فقاتل الأمراء يومئذ على أرجلهم، فأخذ اللواء زيد بن حارثة، فقاتل وقاتل المسلمون معه على صفوفهم حتى قتل طعنا بالرماح، ثم أخذ اللواء جعفر ابن أبي طالب، فنزل على فرس له شقراء فعقرها، ثم تقدم فقاتل حتى قطعت يداه جميعاً، فأخذ اللواء بيمينه فقطعت، ثم أخذه بشماله فقطعت، ثم احتضنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله أبدله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة))، ووجد فيما أقبل من بدنه اثنتان وسبعون ضربة بسيف، وطعنة برمح. ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة، فقاتل حتى قتل، فأخذ اللواء ابن أقوم العجلاني إلى أن اصطالح الناس على خالد بن الوليد، فأخذ اللواء وقتلهم فقتل منهم مقتلة عظيمة وأصاب غنيمة، ثم انحازت كل طائفة، ورفعت الأرض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نظر الى معترك القوم، (يعني ان الله تعالى كشف أمام قلبه الشريف محل المعركة، فعلم ما فيه من الحوادث) وذكر موسى ابن عقبة في المغازي: أن يعلى ابن أمية قدم بخبر أهل مؤتة، <150>

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن شئت فأخبرني، وإن شئت أخبرتك! قال: أخبرني، فأخبره خبرهم، فقال: والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفاً لم تذكره!

سرية عمرو بن العاص

الى ذات السلاسل، وهي من المدينة على عشرة أميال، وكانت في جمادي الآخرة سنة ثمان، وسببها: أنه بلغه صلى الله عليه وسلم أن جمعاً من قضاة قد تجمعوا للإغارة، فبعث عمرًا، وعقد له لواء أبيض: وجعل معه راية سوداء، وبعثه في ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار، ومعهم ثلاثون فرساً، فسار في الليل، وكمن النهار، فلما قرب منهم بلغه أن لهم جمعاً كثيراً، فبعث رافع بن مكيث الجهني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح، وعقد له لواء، وبعث معه مائتين. من سراة المهاجرين والأنصار فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وأمره أن يلحق بعمرو، وأن يكونا جميعاً، ولا يختلفان، فأراد أبو عبيدة أن يؤم الناس، فقال عمرو: إنما قدمت عليّ مدداً وأنا الأمير، فأطاع له بذلك أبو عبيدة، فكان عمرو يصلي بالناس، وسار حتى وصل الى العدو بليٍّ وعُدرة، فحمل عليهم المسلمون، فهربوا بالبلاد وتفرقوا.

سرية ابو عبيدة بن الجراح

وسماها البخاري (غزوة سيف البحر)، وكانت في رجب سنة ثمان، الى حي من جهينة بالقبيلة، مما يلي ساحل البحر، وبينها وبين المدينة خمس ليال.

روى البخاري وغيره عن جابر قال: خرجنا ونحن ثلاثمائة نحمل زادنا على رقابنا، ففني زادنا حتى كان الرجل يأكل ثمرة تمر، وابتاع قيس بن سعد جزوراً، ونحرها لهم، وأخرج الله لهم من البحر دابة تسمى العنبر، فأكلوا منها، وتزودوا، ورجعوا ولم يلقوا كيدا. زاد في رواية فلما قدمنا

المدينة أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكرنا له ذلك، فقال: هو رزق أخرجه الله لكم، فهل معكم شيء من لحمه فتطعمونا؟ قال: فأرسلنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه فأكل.

سرية أبي قتادة الانصاري

الى خضرة، وهي أرض محارب قبيلة بنجد في شعبان سنة ثمان، وبعث معه صلى الله عليه وسلم خمسة عشر رجلاً إلى غطفان، فقتل من أشرف منهم، وسبي سبياً كثيراً، واستاق النعم، فكانت الإبل مائتي بعير؛ والغنم ألفي شاة، وكانت غيبته خمس عشرة ليلة.

سرية ابي قتادة الانصاري (ايضا)

الى بطن اضم على ثلاثة برد من المدينة، في أول شهر رمضان سنة ثمان، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما هم أن يغزو أهل مكة، بعثه ليظن ظان أنه صلى الله عليه وسلم توجه الى تلك الناحية، ولأن تذهب تلك الأخبار فلقوا عامر بن الأضبط، فسلم عليهم بتحية الإسلام، فقتله محلم بن جثامة، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ الآية. فجاء محلم بن جثامة في بردين، فجلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر له. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا غفر الله لك. فقام وهو يتلقى دموعه ببرديه، فما مضت له سابعة حتى مات، فلفظته الأرض، ثم عادوا به فلفظته الأرض، فلما غلب قومه، عمدوا الى صُدين أي جبلين ثم وضعوا عليه الحجارة حتى واروه. فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن الأرض تقبل من هو شرُّ من صاحبكم، ولكن يريد الله أن يعظكم.

فتح مكة المكرمة

زادها الله شرفاً، وكرماً، وهو الفتح الأعظم الذي جعله الله هدياً للعالمين، وهو الفتح الذي أعز الله به دين الإسلام ورسوله وجنده وحرمة

الأمين، واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله، هدى للعالمين من أيدي الكفار والمشركين. خرج له صلى الله عليه وسلم بكتائب الإسلام، وجنود الرحمن لنقض قريش العهد الذي وقع بالحديبية، وقدم أبو سفيان بن حرب المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله أن يجدد العهد، ويزيد في المدة فأبى عليه، فانصرف راجعاً إلى مكة، فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير إعلام أحد، فكتب حاطب ابن أبي بلتعة، وأرسله إلى مكة يخبرهم بذلك، فأطلع الله نبيه على ذلك، فقال عليه الصلاة والسلام لعلي والزبير والمقداد: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها طعينة معها كتاب، فخذوه منها.

قال وانطلقنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالطعينة، قلنا: أخرجني الكتاب قالت: ما معي كتاب. قلنا لتخرجني الكتاب أو لتلقين الثياب، قال: فأخرجته من عقاصها، فأتينا به النبي صلى الله عليه وسلم فإذا به⁽⁴⁸⁾ من حاطب ابن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين بمكة، يخبرهم بأمور النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا حاطب ما هذا؟ قال: يا رسول الله لا تعجل علي، إني كنت امرأً مُلصقاً في قريش أي حليفاً، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهلهم، وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك أن اتخذ عندهم يدا يحمون قرابتي، ولم أفعله ارتداداً عن ديني ولا رضيُّ بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما إنه قد صدقكم. فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال: إنه، شهد بداراً، وما يدريك؟ لعل الله اطلع على من شهد بداراً. فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم، فأنزل. سبحانه وتعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾ إلى قوله: ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾

رواه البخاري. وحكى السهيلي أن لفظ الكتاب الذي كتبه حاطب: أما بعد يا معشر قريش فإن رسول الله - صلى

<153>

⁽⁴⁸⁾ في المخطوط فإذا فيه.

الله عليه وسلم جاء كم بجيش عظيم يسيل كالسيل، فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله وأنجز له وعده، فانظروا لأنفسكم والسلام.

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من حوله من العرب (اسلم، وغفار، ومزينة، وجهينة، وأشجع، وسليم) فجليهم، فمنهم من وافاه بالمدينة، ومنهم من لحقه بالطريق، واستخلف صلى الله عليه وسلم على المدينة ابن ام مكتوم، وخرج يوم الأربعاء لليلتين خلتا من رمضان، وقيل لعشر، وقيل لأكثر، بعد العصر سنة ثمان من الهجرة، وكان المسلمون عشرة آلاف، وقيل اثنا عشر ألفا، وكان العباس قد خرج بأهله وعياله، مسلما مهاجرا، فلقي رسول الله بالجحفة، وكان قبل ذلك مقيماً بمكة على سقايته ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض. وكان ممن لقيه في الطريق أبو سفيان بن الحارث ابن عمه عليه الصلاة والسلام وأخوه من الرضاعة من حليلة السعدية، ومعه ولده جعفر، وكان أبو سفيان يألف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما بعث عاداه وهجاه، وكان لقاؤهما له عليه الصلاة والسلام بالأبواء، وأسلما قبل دخول مكة. ثم سار صلى الله عليه وسلم فلما كان بقديد عقد الألوية والرايات، ودفعها إلى القبائل، ثم نزل مرّ الظهران عشاء، فأمر أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار، ولم يبلغ قريشة مسيره، وهم مغتمون لما يخافون من غزوه إياهم، فبعثوا أبا سفيان بن حرب، وقالوا: إن لقيت محمداً، فخذ لنا منه أماناً، فخرج أبو سفيان، وحكيم بن حزام، وبديل بن ورقاء حتى أتوا مرّ الظهران، فلما رأوا العسكر أفرعهم، فرآهم ناس من حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأدركوهم، فأخذوهم، فأتوا بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم أبو سفيان، فلما سار قال للعباس: احبس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر الى المسلمين. فحبسه العباس فجعلت القبائل تمر مع النبي صلى الله عليه وسلم كتيبة كتيبة على أبي سفيان، فمرت كتيبة فقال: يا عباس من هذه؟ قال: هذه غفار، قال: مالي ولغفار، ثم جهينة قال مثل ذلك وحتى <154>

أقبلت كتيبة لم ير مثلها، قال: من هذه؟ قال: هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة، معه الراية، فقال سعد: يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الكعبة، وفي رواية نستحل الحرم، فسمعها رجل من المهاجرين فقال: يا رسول الله ما آمن أن يكون لسعد في قريش، فقال: لعلني أدركه، فخذ الراية منه، فكن أنت تدخل بها، وروي أن أبا سفيان قال: للنبي صلى الله عليه وسلم لما حاذاه أمرت بقتل قومك؟ قال: لا، فذكر له ما قال سعد بن عبادة، ثم ناشده الله والرحم، فقال يا أبا سفيان: اليوم يوم المرحمة، اليوم يُعزُّ الله قريشاً، وأرسل إلى سعد فأخذ الراية منه فدفعتها إلى ابنه قيس، قال موسى بن عقبة: بعث رسول الله الزبير بن العوام على المهاجرين وخيلهم، وأمره أن يدخل من كداء بأعلى مكة، وأمره أن يغرز رايته بالحجون، ولا يبرح حتى يأتيه، وبعث خالد بن الوليد في قبائل قضاة، وسليم وغيرهم، وأمره أن يدخل من أسفل مكة يغرز رايته عند أدنى البيوت، وبعث سعد بن عبادة في كتيبة الأنصار، في مقدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم □ وأمرهم أن يكفوا أيديهم، ولا يقاتلوا إلا من قاتلهم، واندفع خالد بن الوليد حتى دخل من أسفل مكة، وقد تجمع بها بنو بكر، وبنو الحارث بن عبد مناف، وناس من هذيل، ومن الأحابيش الذين انتصرت بهم قريش، فقاتلوا خالداً، فقاتلهم فانهزموا، وقتل من بني بكر نحواً من عشرين رجلاً، ومن هذيل ثلاثة أو أربعة، حتى انتهى بهم القتل إلى الجزورة، إلى باب المسجد حتى دخلو الدور، فارتفعت طائفة منهم على الجبال، وصاح أبو سفيان: من أغلق بابه وكف يده فهو آمن. ونظر رسول الله إلى البارقة، فقال: ماهذه، وقد نهيت عن القتال؟ فقالوا: إن خالداً قوتل وبدأ بالقتال، فلم يكن له بد من أن يقاتلهم، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن اطمأن لخالد: لم قاتلت، وقد نهيتك عن القتال؟ فقال: هم بدأوا بالقتال، وقد كفت يدي ما استطعت. فقال: قضاء الله خير، وقال العباس بعد أن أسلم أبو سفيان وشهد شهادة الحق: إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له <155>

شيئاً، فقال: نعم. وأمر صلى الله عليه وسلم فنأدى مناديه: من دخل المسجد فهو آمن إلا المستثنين، وهم على ما جمعه الواقدي عن شيوخه عشرة رجال، وأربع نسوة. وفي المواهب اللدنية: (1) عبد الله بن سعد بن أبي سرح، أسلم (2) وابن خطل قتلته أبو برزة، وقينتهاه وهما (3) فرتنا (4) وقُريّة أسلمت إحداهما، وقتلت الأخرى، (5) وعكرمة بن أبي جهل أسلم. (6) والحويرث بن نقيد فقتله علي، (7) ومقيس بن صبابه قتلته غيلة الليثي، (8) وهبار بن أسود، أسلم، (9) وكعب بن زهير، أسلم، (10) هند بنت عتبة، أسلمت، (11) ووحشى بن حرب أسلم.

وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح وعلى رأسه المِغْفَر، (وهو زردٌ ينسج على قدر الرأس مثل القلنسوة) وعن جابر أنه صلى الله عليه وسلم كان على رأسه عمامة سوداء. ولما كان الغد من يوم الفتح، قام صلى الله عليه وسلم خطيباً في الناس فحمد الله تعالى، وأثنى عليه، ومجده بما هو أهله، ثم قال: ((أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض، فهي حرام بحرمة الله الى يوم القيامة، فلا يحل لأمرئ يؤمن بالله واليوم الآخر، أن يسفك بها دمًا أو يعضد بها شجرة. فإن احدث ترخص فيها لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها، فقولوا: إن الله قد أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما أحلت لي ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس. فليبلغ الشاهد الغائب. ثم قال: يا معشر قريش ما ترون أني فاعل فيكم؟ قالوا: خيراً أخ كريم، وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء)) أي الذين أطلقوا فلم يسترقوا، ولم يؤسروا ولما فتح الله مكة على رسوله صلى الله عليه وسلم قال الأنصار فيما بينهم: أترون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها؟ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا رافعاً يديه. فلما فرغ من دعائه، قال: ماذا قلتم؟ قالوا: لا شيء يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل بهم حتى أخبروه، فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم،
والممات مماتكم.

وهم فضالة بن عمير بن الملوح أن يقتل النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت، فلما دنا منه، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفضالة؟ قال: نعم يا رسول الله. قال: ماذا كنت تحدث به نفسك؟ قال: لا شيء، كنت أذكر الله. فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: استغفر الله، ثم وضع يده على صدره، فسكن قلبه فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق الله شيئاً أحب إليّ منه.

وفي تفسير العلامة ابن النقيب المقدسي: إن الله سبحانه وتعالى لما أعلم رسوله بأنه قد أنجز وعده بالنصر على أعدائه، وفتح مكة، وإعلاء كلمة دينه، أمره إذا دخل مكة يقول: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ فصار صلى الله عليه وسلم يطعن الأصنام التي حول الكعبة بمحجنه، ويقول: جاء الحق وزهق الباطل، فيخر الصنم ساقطاً مع أنها كانت مثبتة بالحديد، وكانت ثلاثمائة وستين صنماً بعدد أيام السنة، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح على ناقته القصواء، وهو مردف أسامة حتى أناخ بفناء الكعبة، ثم دعا عثمان بن طلحة، فقال: ائتني بالمفتاح، وذهب إلى أمه، فأبت أن تعطيه. فقال: والله لتعطينه أو ليخرجن هذا السيف من صلمي، فأعطته إياه، فجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فدفعه إليه ففتح الباب □ رواه مسلم.

وفي الطبقات لابن سعد عن عثمان بن طلحة قال: كنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الاثنين والخميس، فأقبل صلى الله عليه وسلم يوماً يريد أن يدخل الكعبة مع الناس، فأغلظت له، ونلت منه، فحلم عني. ثم قال: يا عثمان لعلك ستري هذا المفتاح يوماً بيدي أضعه حيث شئت. قلت: لقد

هلكت قريش يومئذ وذلت. فقال: بل عمرت، وعزّت يومئذ، ودخل الكعبة فوقعت كلمته مني موقعاً ظننت يومئذ أن الأمر سيصير إلى ما قال؛ فلما كان يوم الفتح قال: يا عثمان اتّني بالمفتاح. فأتيت به، فأخذه مني ثم دفعه إليّ. وقال: خذوها خالدة تالدة، لا ينزعنها منكم إلا ظالم، يا عثمان إن الله استأمنكم على بيته، فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف. قال: فلما وليت ناداني، فرجعت إليه، قال: ألم يكن الذي قلت لك؟ قال: فذكرت قوله لي بمكة قبل الهجرة: (ولعلك ستري هذا المفتاح يوماً بيدي أضعه حيث شئت) قلت: بلى، أشهد أنك رسول الله.

وفي عثمان هذا نزلت آية ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾.

وروى مسلم: أنه دخل صلى الله عليه وسلم هو وبلال وعثمان بن طلحة الكعبة فاغلقوا عليهم الباب قال ابن عمر: فلما فتحوا كنت أول من ولج فلقيت بلالاً فسألته هل صلى النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم بين العمودين اليمانيين، وذهب عني أسأله كم صلى. وفي إحدى روايات البخاري جعل عموداً على يساره وعموداً على يمينه، وثلاثة أعمدة وراءه.

وفي كتاب مكة للأذرقى والفاكهي أن معاوية سأل ابن عمر: أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: اجعل بينك وبين الجدار ذراعين أو ثلاثة أذرع.

فعلى هذا ينبغي لمن أراد الاتباع في ذلك أن يجعل بينه وبين الجدار ثلاثة أذرع، فإنه تقع قدماه في مكان قدميه صلى الله عليه وسلم إن كانت ثلاثة سواءً. أو تقع ركبتاه أو يداه أو وجهه إن كان أقل من ثلاثة أذرع والله اعلم.

وعن أسامة بن زيد قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكعبة ورأى صوراً فدعا بدلو من ماءٍ فأتيته به فجعل صلى الله عليه وسلم يمحوها، ويقول: قاتل الله، قوماً يصورون ما لا يخلقون.

رواه أبو داود. وأقام صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة؛
وقيل أكثر، وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان.

سرية خالد بن الوليد (رضي الله عنه)

عقب فتح مكة إلى العُزى بنخلة، وكانت لقريش، وجميع بني
كنانة، وكانت أعظم أصنامهم لخمس ليال بقين من رمضان
سنة ثمان، ومعه ثلاثون فارساً ليهدمها، فلما انتهوا إليها هدمها،
ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، فأخبره،
فقال: هل رأيت شيئاً؟ قال: لا. قال: فإنك لم تهدمها، فارجع
إليها فاهدمها. فرجع فجرد سيفه فخرجت إليه امرأة عجوز
عريانة سوداء ثائرة الرأس، فجعل السادن يصيح فيها فضربها
خالد فجندلها باثنتين، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم بمكة فأخبره، فقال: نعم تلك العزى، وقد يؤست أن تعبد
ببلادكم أبداً.

سرية عمرو بن العاص

الى سواع صنم هذيل، على ثلاثة أميال من مكة، في شهر
رمضان، سنة ثمان حين فتح مكة، قال عمرو: فانتبهنا إليه،
وعنده السادن، فقال: ما تريد؟ فقلت: أمرني رسول الله صلى
الله عليه وسلم أن أهدمه. قال: لا تقدر على ذلك، قلت: لِم؟
قال: تمنع. قلت: ويحك، وهل يسمع، أو يبصر؟ قال: فدنوت
منه، فكسرتة، ثم قلت للسادن: كيف رأيت؟ قال: أسلمت لله.

سرية سعد بن زيد الأشهلي

الى مناة صنم للأوس والخزرج بالمشلل في شهر رمضان حين
فتح مكة، فخرج في عشرين فارساً حتى انتهى إليها. قال
السادن: ما تريد؟ قال: هدم مناة، قال السادن: أنت وذاك،
فأقبل سعد يمشي، فخرجت امرأة عريانة سوداء، ثائرة
الرأس، تدعو بالويل، وتضرب صدرها، فضربها سعد

بن زيد، فقتلها، وأقبل الى الصنم ومعه أصحابه، فهدموها، وانصرف راجعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذلك لست بقين من رمضان.

سرية خالد بن الوليد

الى بني جذيمة قبيلة من عبد قيس أسفل مكة على ليلة بناحية يللم في شوال سنة ثمان، وهو يوم الغميصاء، بعثه عليه الصلاة والسلام لما رجع من هدم العزى، وهو صلى الله عليه وسلم مقيم بمكة، وبعث ثلاثمائة وخمسين رجلاً داعياً إلى الإسلام لا مقاتلاً، فلما انتهى إليهم، قال: ما أنتم؟ قالوا: مسلمون قد صلينا، وصدقنا بمحمد، وبنينا المساجد في ساحاتنا. وفي البخاري لم يحسنوا أن يقولوا ذلك، فقالوا: صبأنا، فقال لهم: استأسروا، فاستأسروا، فأمر بعضهم فكشف بعضا، وفرقهم في أصحابه فلما كان السحر نادى منادي خالد: من كان معه أسير. فليقتله، فقتل بنو سليم من كان بأيديهم، وأما المهاجرون والأنصار، فأرسلوا أسراهم، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: اللهم إني أبرأ إليك من فعل خالد، نقم عليهم العدول عن لفظ الإسلام، ولم ينقادوا للدين، فقتلهم متأولاً، وأنكر عليه الصلاة والسلام العجلة، وترك التثيت⁽⁴⁹⁾ في أمرهم، قبل أن يعلم المراد من قولهم صبأنا.

غزوة حنين

وهو واد قرب الطائف بينه وبين مكة ثلاث ليال، وتسمى غزوة هوازن وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما فرغ من فتح مكة، وتمهيدها؛ وأسلم عامة أهلها، مشيت أشراف هوازن وثقيف بعضهم إلى بعض، وحشدوا، وقصدوا محاربة المسلمين، وكان رئيسهم مالك بن عوف النصري، فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يوم السبت لست ليال من شوال في اثني عشر ألفاً من المسلمين، عشرة آلاف من أهل المدينة، والفران ممن أسلم من أهل مكة، واستعمل صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد،

<160>

⁽⁴⁹⁾ في المخطوط التثيت.

فوصل الى حنين ليلة الثلاثاء لعشر ليال خلون من شوال، ف جاء رجل فقال: إني انطلقت من بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا، فإذا أنا بهوازن عن بكرة أبيهم، بظعنهم ونعمهم وشياهم اجتمعوا الى حنين، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله، وقال رجل: لن تغلب اليوم من قلة، فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم بغلته البيضاء (دُلْدَل) ولبس درعين، والمغفر، والبيضة، فاستقبلهم من هوازن ما لم يروا مثله قط من السواد، والكثرة، وذلك في غبش الصبح، وخرجت الكتائب من مضيق الوادي، فحملوا حملة واحدة، وانكشفت خيل بني سليم مولية، وتبعهم أهل مكة، والناس، ولم يثبت معه صلى الله عليه وسلم يومئذ إلا العباس بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، والفضل بن العباس، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وأبو بكر وعمر، وأسامة بن زيد، في ناس من أهل بيته وأصحابه رضي الله عنهم. قال العباس: وأنا آخذ بلجام بغلته، أكفها مخافة أن تصل الى العدو، لأنه صلى الله عليه وسلم كان يتقدم في نحر العدو، وأبو سفيان بن الحارث آخذ بركابه صلى الله عليه وسلم فجعل عليه الصلاة والسلام يقول للعباس: نادِ يا معشر الأنصار، يا أصحاب السمرة يعني شجرة بيعة الرضوان التي بايعوه تحتها - ألا⁽⁵⁰⁾ يفرؤا عنه، فجعل تارة ينادي: يا أصحاب السمرة، وتارة: يا أصحاب سورة البقرة، وكان العباس رجلاً صَيِّتاً، فلما سمع المسلمون نداء العباس أقبلوا كأنهم الإبل إذا حنَّت الى أولادها.

وفي رواية مسلم قال العباس: فوالله لكأن عطفهم حين سمعوا صوتي. عطفة البقر على أولادها، يقولون: يا لبيك، يا لبيك، فتراجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إن الرجل منهم إذا لم يطاوعه بغيره على الرجوع انحدر عنه وأرسله، ورجع بنفسه الى رسول الله صلى الله عليه

<161>

وسلم فأمرهم صلى الله عليه وسلم أن يَصْدُقُوا الحملة، فاقْتتلوا مع الكفار، فأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى قتالهم، فقال: (الآن حَمِيَّ الوطيسُ)، وهو التنور، ضربه مثلاً لشدة الحرب، وهذا من فصيح الكلام الذي لم يسمع من أحد قبل النبي صلى الله عليه وسلم.

وفي البخاري عن البراء سأله رجل: أفررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين؟ فقال: لكن رسول الله لم يفر، كان هوازن رماة، وإنا لما حملنا عليهم انكشفوا، فأكبنا على المغانم، فاستقبلونا بالبهام⁽⁵¹⁾، ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء، وأن أبا سفيان بن الحارث أخذ بزمامها وهو صلى الله عليه وسلم يقول:

أنا النبي لا كذب أنا بن عبد المطلب

وتناول صلى الله عليه وسلم حصيات من الأرض، ثم قال: شأهت الوجوه أي قبحت ورمى بها في وجوه المشركين، فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه من تلك القبضة. وفي رواية مسلم قبضة من تراب الأرض. وفي رواية أحمد وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ولى المسلمون مديريه قال: أنا عبد الله ورسوله، أنا عبد الله ورسوله، ثم أخذ كفاً من تراب، وضرب وجوههم، وقال: شأهت الوجوه، فهزمهم الله سبحانه وتعالى. قال ابن مسعود: حادت به بغلته، فمال السرج، فقلت: ارتفع رفعك الله، فقال: ناولني كفاً من تراب، فضرب وجوههم، وامتلات عيونهم تراباً، وجاء المهاجرون والأنصار سيوفهم بأيمانهم كأنها الشهب، فولى المشركون الأدبار.

وعن عبد الرحمن الفهري قال: حدثني أبناؤهم عن آبائهم أنهم قالوا: لم يبق منا واحدٌ إلا امتلأت عيناه وفمه تراباً، وسمعنا صلصلة من السماء

<162>

كإمرار الحديد على الطلست الجديد، وأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين، وأنزل جنوداً لم تروها، وهم الملائكة. وفي سيرة الدمياطي: كان سيما الملائكة يوم حنين عمائم حمراً أرخوها بين أكتافهم، وأمر صلى الله عليه وسلم أن قتل من قدر عليه، وأفضى المسلمون في القتل إلى الذرية، فنهاهم صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال: من قتل قتيلاً له عليه بيعة، فله سَلْبُهُ، واستلب أبو طلحة وحده ذلك اليوم عشرين رجلاً، وأمر صلى الله عليه وسلم بطلب العدو فأنتهى بعضهم إلى الطائف، وبعضهم نحو نخلة، وقوم منهم إلى أوطاس، واستشهد من المسلمين أربعة، منهم أيمن الحبشي، وقتل من المشركين أكثر من سبعين قتيلاً.

سرية أبي عامر الأشعري

وهو عم أبي موسى، بعثه صلى الله عليه وسلم حين فرغ من حنين في طلب الفارين من هوازن، وكان معه سلمة ابن الأكوع، فأنتهى إليهم، فإذا هم مجتمعون فقتل منهم أبو عامر تسعة إخوة مبارزة بعد أن يدعو كل واحد منهم إلى الإسلام، ويقول: اللهم اشهد عليه، فقال واحد منهم: اللهم لا تشهد عليّ، فكف عنه أبو عامر، فأفلت، ثم أسلم بعد، فأحسن إسلامه، وكان صلى الله عليه وسلم إذا رآه قال: هذا شريد أبي عامر. ورمى أبا عامر ابن الحارث العلاء وأوفى، فقتلاه، فخلقه أبو موسى الأشعري، فقاتلهم حتى فتح الله عليه وقتل قاتل أبي عامر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((اللهم اغفر لأبي عامر، واجعله من أعلى أمتي في الجنة))، وكان في السبي الشيماء أخته صلى الله عليه وسلم من الرضاعة.

سرية الطفيل بن عمرو الدوسي

إلى ذي الكفين صنم من خشب في شوال، لما أراد صلى الله عليه وسلم السير إلى الطائف ليهدمه ويوافيه بالطائف، فخرج سريعاً

فهدمه، وجعل يحشو النار في وجهه أي يلقيها عليه ويحرقه ويقول:

ياذا الكفين لست من عبادكا

ميلادنا أقدم من ميلادكا

إني حشوت النار في فؤادكا

وانحدر معه من قومه أربعمئة رجل سراعاً، فوافوا النبي صلى الله عليه وسلم بالطائف بعد مقدمه بأربعة أيام.

غزوة الطائف

وهي بلدة كبيرة على ثلاث مراحل من مكة، سار إليها النبي صلى الله عليه وسلم في شوال سنة ثمان، حين خرج من حنين وحبس الغنائم بالجعرانة، وقدم خالد بن الوليد على مقدمته، وكانت ثقيف لما انهزموا من أوطاس دخلوا حصنهم بالطائف، وأغلقوه عليهم بعد أن أدخلوا فيه ما يصلحهم سنة، وتهيأوا للقتال، فسار صلى الله عليه وسلم حتى نزل قريباً من الحصن، وعسكر هناك، فرموا المسلمين بالنبل رميّاً شديداً، كأنه رجل الجراد⁽⁵²⁾، حتى أصيب ناس من المسلمين، وقتل منهم اثنا عشر رجلاً، فارتفع صلى الله عليه وسلم إلى موضع مسجد الطائف اليوم، وكان معه من نسائه أم سلمة، وزينب، فضرب لهما قبتين، وكان يصلي صلى الله عليه وسلم بين القبتين حصار الطائف كله، فحاصره ثمانية عشر يوماً، ونصب عليهم المنجنيق، وهو أول منجنيق رمي به في الإسلام، وأمر بقطع أعنابهم، وتحريقها، فقطع المسلمون قطعاً ذريعاً، ثم سألوه أن يدعها لله وللرحم، فقال صلى الله عليه وسلم: إني أدعها لله وللرحم، فقال: ثم نادى مناديه صلى الله عليه وسلم: أيما عبد نزل من الحصن، وخرج إلينا فهو حر، فخرج ثلاثة وعشرون عبداً منهم أبو بكر. ولم يؤذن له صلى الله عليه وسلم في فتح الطائف وأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأذن بالناس بالرحيل، فضج الناس من ذلك وقالوا: نرحل ولم يفتح علينا الطائف؟ فقال صلى الله عليه وسلم: فاغدوا على

<164>

⁽⁵²⁾ في المخطوط رجل جراد.

القتال، فغدوا، فأصاب المسلمون جراحات، فقال صلى الله عليه وسلم ﷺ إنا قافلون ان شاء الله تعالى، فسرّوا بذلك وأذعنوا، وجعلوا يرحلون، وفقئت عين أبي سفيان (صخر بن حرب) يومئذ فذكر ابن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له وهي في يده: أيهما أحب إليك عين في الجنة، أو أدعو الله أن يردها عليك؟ قال: بل عين في الجنة، ورمى بها وشهد اليرموك، فقاتل وفقئت الأخرى يومئذ.

وقال صلى الله عليه وسلم قولوا: ((لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده))، فلما ارتحلوا قال: ((قولوا آييون، تائبون، عابدون لربنا حامدون))، ولما قيل له: يا رسول الله ادع على ثقيف. قال: ((اللهم اهدِ ثقيفاً وائت بهم))، وكان عليه الصلاة والسلام قد أمر أن يجمع السبي والغنائم، مما أفاء الله على رسوله يوم حنين، فجمع ذلك كله إلى الجعرانة، فكان بها إلى أن انصرف عليه الصلاة والسلام من الطائف، وكان السبي ستة آلاف رأس، والابل أربعة وعشرين ألف بعير، والغنم أكثر من أربعين ألف شاة، وأربعة آلاف أوقية فضة، وانتظر صلى الله عليه وسلم بهوازن أن يقدموا عليه مسلمين بضع عشرة ليلة، ثم بدأ يقسم الأموال.

وفي البخاري: وطفق صلى الله عليه وسلم يعطي رجالاً المائة من الإبل، فقال ناس من الأنصار: يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي قريشاً ويتركنا، وسيوفنا تقطر من دمائهم! قال أنس: فحدث لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمقالتهم، فأرسل إلى الأنصار، فجمعهم في قبة من آدم، ثم قال لهم: أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال ﷻ وتذهبوا بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى رجالكم؟ فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به. قالوا: يا رسول الله قد رضينا. عن جبير بن مطعم قال: بينما أنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقفلة من

حين علقت برسول الله الأعراب حتى اضطروه الى سمرة فخطفت رداؤه، فوقف صلى الله عليه وسلم وقال: أعطوني ردائي، فلو كان لي عدد هذه العضاء نعماً لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلاً، ولا كذوباً، ولا جباناً. والعضاء شجر ذو شوك. وأحرم صلى الله عليه وسلم بعمره، ودخل مكة، ثم قدم المدينة وقد غاب عنها شهرين وستة عشر يوماً. وبعث صلى الله عليه وسلم قيس بن سعد بن عبادة الى ناحية اليمن في أربعمئة فارس: وأمره أن يقاتل قبيلة صداء حين مرورهم⁽⁵³⁾ عليهم في الطريق، فقدم زياد بن الحارث الصدائي، فسأل عن ذلك البعث، فأخبر فقال: يا رسول الله أنا وافدهم، فاردد الجيش، وأنا لك بقومي، فردهم النبي صلى الله عليه وسلم وقدم الصدائيون بعد خمسة عشر يوماً فأسلموا.

وبعث صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن الفزاري إلى بني تميم بالسقيا وهي أرض بني تميم في محرم⁽⁵⁴⁾ سنة تسع، في خمسين فارساً من العرب، ليس فيهم مهاجري ولا انصاري، وكان يسير بالليل، ويكمن بالنهار، فهجم عليهم في صحراء قد حلوا وسرحوا مواشيهم. فلما رأوا الجمع ولوا، فأخذوا منهم أحد عشر رجلاً وإحدى عشرة امرأة وثلاثين صبياً، فقدم عشرة من رؤسائهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليهم الأسارى والسبي، ثم بعث صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة الى بني المصطلق من خزاعة لصدقته، وكان بينهم وبينه عداوة في الجاهلية، وكانوا قد أسلموا، وبنوا المساجد، ولما سمعوا بدنو الوليد قدم منهم عشرون رجلاً يتلقونه بالجزر والغنم فرحاً به، وتعظيماً لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله، فرجع من الطريق قبل أن يصلوا إليه، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنهم لقوه بالسلاح يحولون بينه وبين الصدقة، فهم عليه الصلاة والسلام أن يبعث إليهم من يغزوهم،، وبلغ ذلك القوم، فقدم منهم الركب الذين لقوا الوليد، فأخبروا النبي الخبير على وجهه، فنزلت هذه الآية: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا...** □

<166>

⁽⁵³⁾ في المخطوط مروره

⁽⁵⁴⁾ في المخطوط المحرم

إلى آخر الآية. وبعث معهم عبادة بن بشر بأخذ صدقات أموالهم، ويعلمهم شرائع الإسلام، ويقرئهم القرآن.

وبعث صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عوسجة إلى بني عمرو ابن حارثة، في مستهل صفر يدعوهم إلى الإسلام، فأبوا أن يجيبوا واستخفوا بالصحيفة، فدعا عليهم صلى الله عليه وسلم بذهاب العقل، قال راوي الحديث: فهم إلى اليوم أهل رعدة وعجلة وكلام مختلط!

سرية قطبة بن عامر رضي الله عنه -

إلى خثعم، قريباً من تربة من أعمال مكة سنة تسع، وبعث معه عشرين رجلاً، وأمره أن يشن الغارة عليهم، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى كثر الجرحى في الفريقين جميعاً، وقتل قطبة من قتل، وساقوا النعم والشاء والنساء إلى المدينة.

سرية علقمة بن مجزر المدلجي

إلى ناس من الحبشة في ربيع الآخر سنة تسع في ثلاثمائة، فأنتهى إلى جزيرة في البحر، فلما خاض إليهم هربوا، فلما رجع تعجل بعض القوم إلى أهليهم، فأمر عبد الله بن حذافة علي من تعجل، وكانت فيه دعاة، فنزلوا ببعض الطريق وأوقدوا ناراً يصطلون عليها، فقال: عزمت عليكم إلا توابتم على هذه النار، فلما هم بعضهم بذلك، قال: اجلسوا إنما كنت أمزح، فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: من أمركم بمعصية فلا تطيعوه. وفي رواية: لو دخلوها ما خرجوا.

سرية علي ابن ابي طالب

إلى الغلس، وهو صنم طي لهدمه في ربيع الآخر سنة تسع، وبعث معه مائة وخمسين رجلاً من الأنصار على مائة بغير خمسين فرساً، فهدمه، وغنم سبياً ونعماً وشاءً، وكان في السبي سفانة بنت حاتم فأطلقها النبي صلى الله عليه وسلم، فكان ذلك سبب إسلام أخيها عدي بن حاتم.

سرية عكاشة بن محصن رضي الله عنه

الى الحباب⁽⁵⁵⁾ موضع بالحجاز، وهو أرض عذرة وبلي اسم قبيلتين وقيل أرض فزارة وكلب.

قصة كعب بن زهير مع النبي صلى الله عليه وسلم -

وكانت في ما بين رجوعه صلى الله عليه وسلم من الطائف وغزوة تبوك، وكان من خبره وأخيه بجير، أن بجيرا قال لأخيه: اثبت حتى آتي هذا الرجل يعني النبي صلى الله عليه وسلم فأسمع كلامه، وأعرف ما عنده، فأقام كعب ومضى بجير حتى أتى⁽⁵⁶⁾ النبي صلى الله عليه وسلم فسمع كلامه وآمن به، وذلك أن زهيراً كان يجالس أهل الكتاب، فسمع منهم أنه قد آو مبعثه صلى الله عليه وسلم ورأى زهير في منامه أنه قد مُد سبب من السماء وأنه قد مَدَّ يده ليتناوله، ففاته، فتأوله بالنبي يبعث في آخر الزمان، وأنه لا يدركه، فأخبر بنيه بذلك، وأوصاهم إن أدركوه أن يسلموا. وكتب بجير الى كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رجالاً بمكة ممن كان يهجوهم، وأن من بقي من شعراء قريش هربوا، فإن كانت لك في نفسك حاجة فطِر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لا يقتل أحد جاءه تائباً، وإن كنت لم تفعل، فانج الى نجائك، فكتب له أبياتا لأمه فيها على إسلامه: فأنشدها النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: من لقي منكم كعب بن زهير فليقتله. فلما بلغ كعبا ضاقت به الأرض، وأشفق على نفسه فخرج حتى قدم المدينة، فوضع يده في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يعرفه فقال: يا رسول الله إن كعب بن زهير جاء ليستأمنك تائباً مسلماً، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به؟ قال رسول الله: نعم. قال: أنا يا رسول الله كعب بن زهير، فوثب عليه رجل من الأنصار. فقال: يا رسول الله دعني وعدو الله أضرب عنقه، قال صلى الله عليه وسلم دعه عنك.

<168>

⁽⁵⁵⁾ في المخطوط الحباب

⁽⁵⁶⁾ في المخطوط اتي الى

فقد جاء تائباً ثم قال قصيدته (بانث سعاد)، قال أبو بكر بن
الانباري لما وصل إلى قوله:

إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله

رمي إليه صلى الله عليه وسلم بُردةً كانت عليه، وإن معاوية
بذل له فيها عشرة آلاف. فقال: ما كنت لأوثر بثوب رسول الله
صلى الله عليه وسلم أحداً، فلما مات كعب، بعث معاوية إلى
ورثته بعشرين ألفاً، فأخذها منهم، قال: وهي البردة التي عند
السلطين الى اليوم.

غزوة تبوك

مكان معروف وهو نصف طريق المدينة إلى دمشق وهي
(غزوة العسرة) كان يوم الخميس في رجب سنة تسع من
الهجرة، وكان حراً شديداً، وجداً كثيراً، فلذلك لم يُور عنها
كعادته صلى الله عليه وسلم في سائر الغزوات، وخرجوا في
قِلَّةٍ من الظهر، وفي حر شديد حتى كانوا ينحرون البعير
فيشربون مافي كرشه من الماء، فكان ذلك عسرة في الماء،
وفي الظهر والنفقة فسميت (غزوة العسرة) وسببها أنه صلى
الله عليه وسلم بلغه صلى الله عليه وسلم من الأنباط الذين
يُقدِّمون الزيت من الشام الى المدينة أن الروم تجمعت بالشام
مع هرقل، فندب ﷺ صلى الله عليه وسلم الناس الى الخروج،
وأعلمهم بالمكان الذي يريد، ليتأهبوا لذلك. وقال عثمان: يا
رسول الله هذه مائتا بعير بأقتابها وأحلاسها، ومائتا أوقية. فقال
صلى الله عليه وسلم: ما على عثمان، لا يضر عثمان ما عمل
بعدها.

وروي عن قتادة: أنه قال: حمل عثمان في جيش العسرة على
ألف بعير، وسبعين فرساً، وعن عبد الرحمن بن سمره، قال:
جاء عثمان رضي الله عنه بألف دينار في كُمه حين جهز جيش
العسرة، فنثرها في حجره صلى الله عليه وسلم فرأيت رسول
الله يقلبها في حجره، ويقول: ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم.
رواه الترمذي.

وروى الطبراني عن حذيفة: أن عثمان بعث في جيش العسرة بعشرة آلاف دينار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم - فصبت بين يديه، فجعل صلى الله عليه وسلم يقول بيده ويقلبها ظهراً ببطن، ويقول: غفر الله لك يا عثمان ما أسررت، وما أعلنت، وما هو كامن الى يوم القيامة، ما يبالي ما عمل بعدها. ولما تاهب صلى الله عليه وسلم للخروج، قال قوم من المنافقين: لا تنفروا في الحر، فنزل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾. وأرسل صلى الله عليه وسلم إلى مكة وإلى قبائل العرب يستنفرهم.

وجاء البكاؤون يستحملونه، فقال عليه الصلاة والسلام ما أجد ما أحملكم عليه، وهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿تَوَلَّوْا وَأَعْيَيْتُهُمْ تَفِيضٌ مِّنَ الدَّمَعِ حَرًّا أَلَا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾. وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم في التخلف، فأذن لهم، وهم إثنان وثمانون رجلاً، وقعد آخرون من المنافقين بغير عذر وإظهار علة جراءة على الله ورسوله. واستخلف على المدينة، وعلى عياله علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وقال له يومئذ: أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي.

وتخلف نفر من المسلمين من غير شك، ولا ارتياب منهم: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية. وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا..﴾ الآية، وأبو ذر وأبو خيثمة، ثم لحقاه بعد ذلك، وأمر صلى الله عليه وسلم لكل بطن من الأنصار، والقبائل من العرب أن يتخذوا لواءً وراية، وكان معه عليه الصلاة والسلام ثلاثون ألفاً، وكانت الخيل عشرة آلاف. فلما قدموا تبوك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ستهب عليكم الليلة ريحٌ شديدة، فلا يقيم أحد منكم، فمن كان له بغير فليشد عقاله، فقام رجل فحملته الريح حتى ألقت به جبل طيٍّ رواه مسلم.

ولما مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر سجدى ثوبه على وجهه. واستحث راحلته، ثم قال: ((لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا أنفسهم إلا وأنتم باكون خوفاً أن يصيبكم ما أصابهم)). رواه الشيخان. والحجر ديار ثمود الذين غضب الله عليهم، ولما كان صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق ضلت ناقته. فقال زيد بن اللصيت، وكان منافقاً: أليس محمد يزعم انه نبي، ويخبركم بأخبار السماء، وهو لا يدري أين فاقتة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن رجلاً يقول كذا وكذا، وذكر مقالته، وإني والله لا أعلم إلا ما علمني الله سبحانه وتعالى، وقد دلني الله تعالى عليها، وهي في الوادي في شعب كذا وقد حبستها شجرة بزمامها، فانطلقوا فجاءوا بها رواه البيهقي، وأبو نعيم.

وفي مسلم عن معاذ بن جبل: أنهم وردوا عين تبوك وهي تبض بشيء من ماء، وأنهم غرفوا منها قليلاً حتى اجتمع في شن، ثم غسل صلى الله عليه وسلم به وجهه ويديه، ثم أعاده فيها فجرت بماء كثير، فاستقى الناس، ولما انتهى صلى الله عليه وسلم الى تبوك أتاه صاحب أيلة فصالحه وأعطاه الجزية. وأتاه أهل جرباء وأدرج، وهما بلدان بالشام، فأعطوه الجزية، وكتب لهم كتاباً.

ووجد هرقل بحمص، فأرسل خالد بن الوليد الى أكيدر ابن عبد الملك النصراني بدومة الجندل، في اربعمائة وعشرين فارساً في رجب سريةً، وقال له عليه الصلاة والسلام إنك ستجده ليلاً يصيد البقر، فانتهى إليه خالد رضي الله عنه وقد خرج من حصنه في ليلة مقمرة إلى بقر يطاردها هو وأخوه حسان، فشدت عليهم خيل خالد، فأستأسر أكيدر، وقتل أخوه حسان، وهرب من كان معهم، فدخل الحصن، ثم أجار خالد أكيدراً من القتل حتى يأتي به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يفتح له دومة الجندل، ففعل، وصالحه على ألفي بغير، وثمانمائة فرس، وأربعمائة

درع، وفي هذه الغزوة كتب صلى الله عليه وسلم كتاباً في تبوك الى هرقل يدعوهم إلى الإسلام، فقارب الإجابة ولم يجبه. رواه ابن حبان.

وفي مسند أحمد أن هرقل كتب من تبوك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أني مسلم فقال: صلى الله عليه وسلم: كذب هو على نصرانيته، ثم انصرف صلى الله عليه وسلم من تبوك بعد أن أقام بها بضعة عشرة ليلة، وقيل عشرين، ولم يلق كيداً، وبنى في طريقه مساجد، وأقبل صلى الله عليه وسلم حتى نزل بذي أوان بينها وبين المدينة ساعة جاءه خبر مسجد الضرار من السماء، فأرسل من هدمه وحرقه بعد أن أنزل الله فيه: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا﴾ الآية. وكان الذين اتخذوه اثني عشر رجلاً يضارون به مسجد قباء، وذلك أنهم قالوا في طائفة من المنافقين: نبني فنقيل فيه، ولا نحضر خلف محمد، ولما دنا صلى الله عليه وسلم من المدينة خرج الناس لتلقيه، وخرج النساء والصبيان، والولائد يقلن:

طلع البدر علينا من ثنيات
وجب الشكر علينا مادعا لله
وقال صلى الله عليه وسلم - ((إن في المدينة أقواماً، ما سرتهم مسيراً، ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم، حبسهم العذر))، ولما دخل صلى الله عليه وسلم قال العباس: يا رسول الله أتأذن لي امتدحك؟ قال: قل، لا يفضض الله فاك، فقال قصيدة منها:

وأنت لما ولدت اشرقت الأر
وضاءت بنورك الافق

فنحن في ذلك الضياء وفي
ر وسبل الرشد نخترق

وجاءه صلى الله عليه وسلم من كان تخلف عنه، فحلفوا له، فعذرهم واستغفر لهم، وأرجأ أمر كعب بن مالك وصاحبيه هلال بن أمية، ومرارة بن الربيع حتى نزلت توبتهم.

وعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَأَخْرُوجُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ قال: كانوا عشرة رهط تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوثق سبعة منهم أنفسهم بسواري المسجد، وكان ممر النبي صلى الله عليه وسلم إذا رجع في المسجد عليهم، فقال: من هؤلاء؟ قالوا: هذا أبو لبابة وأصحاب له تخلفوا عنك يا رسول الله حتى تطلقهم وتعذرهم، فقال: أقسم بالله لا أطلقهم، ولا أعذرهم حتى يكون الله هو الذي يطلقهم؛ رغبوا عن الغزو فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَخْرُوجُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾، فلما نزلت أرسل إليهم النبي صلى الله عليه وسلم وأطلقهم وعذرهم.

حجة أبي بكر الصديق رضي الله عنه -

بالناس سنة تسع ف، ي ذي القعدة، وكان معه ثلاثمائة رجل من المدينة وعشرون بدنة، بعثه صلى الله عليه وسلم يؤذن في الناس يوم النحر؛ أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ثم أردفه صلى الله عليه وسلم بعلي رضي الله عنه وأمره أن يؤذن ببراءة، فقرأها على الناس حتى ختمها، وأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾. فلم يحج في العام القابل الذي حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع مشرك. ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا موسى ومعاذا إلى اليمن قبل حجة الوداع كل واحد منهم على خلاف، أي إقليم. واليمن مخلافان، ثم قال: يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وقال لمعاذ: إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم، فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم

صدقة تؤخذ من اغنيائهم وترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب. وكانت جهة معاذ العليا الى صوب عدن، وكانت جهة أبي موسى السفلى، ثم أرسل خالد بن الوليد قبل حجة الوداع في ربيع الأول سنة عشر الى بني عبد المدان قبيلة بنجران وأسلموا.

ثم أرسل علي بن أبي طالب الى اليمن في رمضان سنة عشر وعقد له لواءً وعممه بيده. وقال علي رضي الله عنه: بعثني النبي صلى الله عليه وسلم الى اليمن، فقلت: يا رسول الله تبعثني الى قوم أسن مني، وأنا حديث السن لا ابصر القضاء. فوضع يده في صدري، وقال: اللهم ثبت لسانه واهد قلبه، وقال: يا علي إذا جلس المتخاصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر، فخرج في ثلاثمائة فارس، ففرق أصحابه فأتوا بنهب وغنائم ونساء وأطفال، ونعم وشاء وغير ذلك. ثم لقي جمعهم فدعاهم إلى الإسلام، فأبوا، ورموا بالنبل ثم حمل عليهم علي رضي الله عنه بأصحابه فقتل منهم عشرين رجلاً فتفرقوا وانهزموا، فكف عن طلبهم ثم دعاهم إلى الإسلام، فأسرعوا وأجابوا، ثم قفل، أي رجع فوافى النبي صلى الله عليه وسلم في مكة قد قدمها للحج سنة عشر.

حجة الوداع

حج صلى الله عليه وسلم حجة الوداع، وتسمى حجة الإسلام وحجة البلاغ، فخرج صلى الله عليه وسلم من المدينة يوم السبت لخمس ليال بقين من ذي القعدة وخرج معه تسعون ألفاً، ويقال مائة ألف وأربعة عشر ألفاً، ويقال أكثر من ذلك. قال ابن الأثير: كان صلى الله عليه وسلم يحج كل سنة قبل أن يهاجر، وفي حديث جابر عن مسلم، مكث صلى الله عليه وسلم تسع سنين في المدينة لم يحج، ثم أذن في الناس في العاشرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خارج، فقدم المدينة بشر كثير،

كلهم يلتبس أن يأتى برسول الله صلى الله عليه وسلم ويعمل مثل عمله، فخرجنا معه حتى أتينا ذا الحليفة، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد، ثم ركب القصواء حتى إذا استوت به ناقته على البيداء نظرت مد بصري بين يديه من راكب وماش، وعن يمينه مثل ذلك، وعن يساره مثل ذلك، ومن خلفه مثل ذلك، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا، وعليه ينزل القرآن، وهو يعرف تأويله وما عمل من شيء عملنا به. وكان خروجه صلى الله عليه وسلم من المدينة بين الظهر والعصر، فنزل بذي الحليفة، فصلى بها العصر ركعتين، ثم بات بها وصلى بها المغرب والعشاء والصبح والظهر. وكان نساؤه كلهن معه فطاف عليهن تلك الليلة، ثم اغتسل غسلًا ثانيًا لإحرامه غير غسل الجماع الأول.

وفي الصحيحين: أن عائشة طيبته صلى الله عليه وسلم (بزيرة) وهي نوع من الطيب يجعل فيه المسك.. قالت: طيبته عند إحرامه، ثم طاف في نسائه، ثم أصبح محرماً، وثبت في الصحيحين عن ابن عمر: أنه صلى الله عليه وسلم كان يركع بذي الحليفة ركعتين، ثم إذا استوت به الناقة قائمة عند مسجد ذي الحليفة أهل (أي رفع صوته بالتلبية). واختلفت روايات الصحابة في حجه صلى الله عليه وسلم حجة الوداع هل كان مفرداً، أو قارناً أو متمتعاً.

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: صلى النبي صلى الله عليه وسلم الظهر بذي الحليفة، ثم دعا بناقته، فأشعرها في صفحة سنامها الأيمن، وسلت الدم عنها، وقلدها نعلين، رواه مسلم. أي ليعلم أنها هدي، وأشعرها أي شقها وكان حجه صلى الله عليه وسلم على رجلٍ رثٍ يساوي أربعة دراهم رواه الترمذي.

ولما مر صلى الله عليه وسلم بوادي عسفان، قال: يا أبا بكر أي وادٍ هذا؟ قال: وادي عسفان، قال: لقد مر به هود وصالح على بكرين

أحمرين خطامهما الليف، وأزرهما العباء، وأرديتهما النمار،
يلبون بالحج يحجون البيت العتيق رواه أحمد (والنمار جمع
نمرة بُردة من صوف تلبسها الأعراب) وفي رواية مسلم من
حديث ابن عباس: لما مر صلى الله عليه وسلم بوادي الأزرق
قال: ((كأنني أنظر الى موسى هابطاً من الشية واضعاً إصبعيه
في أذنيه، ماراً بهذا الوادي، وله جوار الى الله بالتلبية)).

ولما بلغ صلى الله عليه وسلم ذا طوى عند آبار الزاهر بات بها
بين الشيتين، فلما أصبح صلى الله عليه وسلم صلى الغداة، ثم
اغتسل رواه البخاري.

وفي حديث ابن عمر كان صلى الله عليه وسلم يدخل مكة من
الشية العليا، التي ينزل منها الى المعلاة (مقبرة مكة)، ويقال
لها الكداء والحجون . ودخل صلى الله عليه وسلم مكة لأربع
خلون من ذي الحجة، ودخل المسجد الحرام ضحى من باب
بني عبد مناف (وهو باب بني شيبة) لأن باب الكعبة في جهة
ذلك الباب. وروى الطبراني عن حذيفة بن أسيد كان صلى
الله عليه وسلم إذا نظر البيت قال: اللهم زد بيتك هذا تشريفاً
وتعظيماً وتكريماً وبراً ومهابةً، وزد من عظمته⁽⁵⁷⁾ وشرفه، ممن
حجه واعتمره تعظيماً وتشريفاً وبراً ومهابةً.

ولم يركع صلى الله عليه وسلم تحية المسجد إنما بدأ بالطواف
لأنه تحية البيت، ثم استلم صلى الله عليه وسلم الحجر الأسود
بالمحجن، وروى الشافعي عن ابن عمر رضي الله عنهم قال:
استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجر الأسود
فاستلمه، ثم وضع شفتيه⁽⁵⁸⁾ عليه طويلاً، وكان إذا استلم الركن
قال: بسم الله والله أكبر. وكلما أتى الحجر قال: الله أكبر رواه
الطبراني، ولما استلم صلى الله عليه وسلم الحجر مضى على
يمينه، فرمل ثلاثاً ومشى أربعاً، ولما فرغ صلى الله عليه وسلم
من طوافه أتى المقام وقرأ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ
مُصَلًّى﴾ فصلى ركعتين،

<176>

⁽⁵⁷⁾ في المخطوط عظمه

⁽⁵⁸⁾ في المخطوط شفته

والمقام بينه وبين البيت، فقرأ فيهما: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾⁽⁵⁹⁾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾. ثم رجع الى الركن الذي فيه الحجر فاستلمه. ثم خرج من الباب الى الصفا فلما دنا من الصفا قرأ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾⁽⁶⁰⁾ أبداً بما بدأ الله به، فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت، واستقبل القبلة فوحد الله وكبره، وقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز⁽⁵⁹⁾ وعده، ونصر عبده. وهزم الأحزاب وحده. ثم دعا بين ذلك. قال مثل هذا ثلاث مرات ثم نزل الى المروة (أي توجه إليها) حتى إذا انصبت قدماه في بطن الوادي رمل حتى إذا صعدنا مشى حتى أتى المروة. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كثر عليه الناس يقولون هذا محمد، هذا محمد، حتى خرجت العواتق من البيوت، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يضرب الناس بين يديه، فلما كثر عليه الناس ركب، والمشى في السعي أفضل. هذا لفظ رواية مسلم.

وكان صلى الله عليه وسلم مدة مقامه بمنزله الذي نزل فيه بظاهر مكة، يقصر الصلاة فيه بالمسلمين، وكانت مدة إقامته قبل الخروج الى منى أربعة أيام، وقدم علي رضي الله عنه من اليمن على رسول الله صلى الله عليه وسلم - فقال⁽⁶⁰⁾: بم اهلت؟ فقال: بما اهل به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: لولا أن معي الهدى لأحللت، رواه الشيخان من حديث أنس.

وكان مجموع الهدى الذي قدم به علي من اليمن، والذي أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة. ولما كان يوم التروية، وهو الثامن من ذي الحجة، وكان يوم الخميس ضحى ركب صلى الله عليه وسلم وتوجه بالمسلمين إلى منى، وقد أحرم بالحج من كان أحل منهم، فصلى صلى

<177>

⁽⁵⁹⁾ في المخطوط نجز
⁽⁶⁰⁾ في المخطوط فقال له

الله عليه وسلم بمني الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس، وأمر بقبة من شعر، فضربت له بنمرة من عرفة، فلما بلغها نزل بها حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء، فرحلت له، فركب فأتي بطن الوادي.

فخطب الناس وقال: ((إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا. ألا إن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع))، ووضع أي اسقط أمر الجاهلية ورباها، وأوصى بالنساء خيراً، وقال في آخر خطبته صلى الله عليه وسلم: ((وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله، وأنتم تسألون عني، فما أنتم قائلون؟))، قالوا: نشهد أنك قد بلغت، وأديت، ونصحت. فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء، وينكتها إلى الناس ويقول: ((اللهم اشهد (ثلاث مرات)))، ثم أذن بلال، ثم أقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر، ولم يصل بينهما شيئاً.

ولما فرغ صلى الله عليه وسلم من صلاته ركب حتى أتى الموقف، فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات وجعل حبل الشاة بين يديه، واستقبل القبلة، وكان أكثر دعائه صلى الله عليه وسلم يوم عرفة في الموقف: ((اللهم لك الحمد كالذي نقول وخيراً مما نقول، اللهم لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي، وإليك مآبي ولك ربي ترائي، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ووسوسة الصدر، وشتات الأمر، اللهم إني أسألك من خير ما تجيء به الريح، وأعوذ بك من شر ما تجيء به الريح)). رواه الترمذي من حديث علي. وفي الترمذي: أفضل الدعاء يوم عرفة: أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك⁽⁶¹⁾ وله الحمد وهو على كل شيء قدير. وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم يوم عرفة في عرفة أيضاً كما رواه الطبراني من رواية ابن عباس رضي الله عنهما: ((اللهم إنك تسمع كلامي،

<178>

وترى مكاني، وتعلم سري وعلايتي، ولا يخفى عليك شيء من أمري، أنا البائس الفقير المستغيث المستجير، الوجل المشفق، المقر المعترف بذنوبه. أسألك مسألة المسكين، وأبتهل إليك ابتهاال المذنب الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير خضعت⁽⁶²⁾ لك رقبتك، وفاضت لك عبرتك، وذل لك جسمه، ورغم لك أنفه، اللهم لا تجعلني بدعائك ربي شقياً، وكن بي رؤف رحيماً، يا خير المسؤولين، ويا خير المعطين)).

وأتاه ناس من أهل نجد وهو بعرفة، فسأלוه كيف الحج؟ فأمر منادياً ينادي: (((الحج عرفة) من جاء ليلة جمع أي قبل طلوع الفجر، فقد أدرك الحج. أيام مني ثلاثة، فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه)) رواه الترمذي. وجمعُ هي المزدلفة وليلتها ليلة العيد، وفي رواية جابر عند أبي داود قال صلى الله عليه وسلم - بعرفة: ((وقفت هاهنا، وعرفة كلها موقف، وها هنا أنزل عليّ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)) كما في الصحيحين عن عمر بن الخطاب. ولما غربت الشمس بحيث ذهبت الصفرة قليلاً حين غاب القرص أفاض صلى الله عليه وسلم من عرفة، وأردف أسامة خلفه، وقد شنق القصواء الزمام حتى إن رأسها ليصيب مورك رجله، ويقول بيده اليمنى: أيها الناس السكينة، السكينة. وكلما أتى حبلاً من الحبال أرخى لها قليلاً حتى تصعد، وأفاض من طريق المأزمين. ومعنى الحبل التل اللطيف من الرمل، وطريق المأزمين بين عرفة والمشعر الحرام.

وفي رواية ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم سمع وراءه زجراً شديداً، وضرباً للإبل فأشار بسوطه، وقال: ((أيها الناس عليكم بالسكينة، فإن البر ليس بالإبضاع أي الإسراع)).

وفي رواية أسامة بن زيد عند الشيخين كان يسير العنق، وإذا وجد فجوة نص، والعنق سير بين الإبطاء والإسراع، والنص فوق العنق. والفجوة

<179>

المكان الواسع. ولما كان صلى الله عليه وسلم في أثناء الطريق نزل فبال وتوضأ وضوءاً خفيفاً، فقال له أسامة: الصلاة يا رسول الله؟ قال: الصلاة أمامك. فركب حتى أتى مزدلفة، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بها المغرب والعشاء كل واحد منهما بإقامة. وترك صلى الله عليه وسلم قيام الليل تلك الليلة، ونام حتى أصبح مع كونه عليه الصلاة والسلام كان يقوم الليل حتى تورمت قدماه، لكنه أراح نفسه الشريفة لما تقدم في عرفة، ولما هو بصدده يوم النحر من كونه نحر بيده المباركة ثلاثاً وستين بدنةً. وذهب الى مكة لطواف الإفاضة ومشى الى منى كما نبه عليه في شرح تقريب الأسانيد.

وعن عباس بن مرداس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لأمة عشية عرفة بالمغفرة، فأجيب إني قد غفرت لهم ما خلا الظالم، فإني آخذ للمظلوم منه. قال: ((أي رب إن شئت أعطيت للمظلوم⁽⁶³⁾ من الجنة، وغفرت للظالم))، فلم يجب عشيته، فلما أصبح بالمزدلفة أعاد الدعاء فأجيب الى ما سأل. قال: فضحك صلى الله عليه وسلم أو قال تبسم. فقال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما بأبي أنت وأمي لهذه الساعة ما كنت تضحك فيها، فما الذي أضحكك. أضحك الله سنك؟ قال: ((إن عدو الله إبليس لما علم أن الله قد استجاب دعائي وغفر لأمتي أخذ التراب فجعل يحثوه على رأسه ويدعو بالويل والثبور، فأضحكني ما رأيت من جزعه)). رواه ابن ماجه وأبو داود.

وقد جاء في بعض الروايات من غير عباس أن المراد من الأمة من وقف بعرفة. وقال الطبري: أنه محمول بالنسبة الى المظالم على من تاب، وعجز عن وفائه. وقال الترمذي في الحديث: من حج فلم يرفث، ولم يفسق، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وهو مخصوص بالمعاصي المتعلقة بحقوق الله تعالى خاصة دون العباد، ولما طلع الفجر صلى النبي الفجر حين تبين الصبح بأذان وإقامة.

<180>

⁽⁶³⁾ في المخطوط المظلوم

وفي سنن النسائي، قال عليه الصلاة والسلام للفضل بن العباس غداة النحر، وهو عليه الصلاة والسلام على راحلته: هات ألقط لي، فلقط حصيات مثل حصى الخذف، أي الرمي، والمراد الحصى الصغار، فلما وضعهن في يده، قال: بأمثال هؤلاء، وإياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين.

ثم ركب النبي صلى الله عليه وسلم القصواء حتى أتى المشعر الحرام، فرقى عليه فاستقبل القبلة، فحمد الله وكبره، وهله ووحده، فلم يزل واقفا حتى اصفر جداً، فدفع قبل أن تطلع الشمس، وفي حديث علي عند الطبري: لما أصبح صلى الله عليه وسلم بالمزدلفة غدا فوقف على قزح واردف الفضل، ثم قال: هذا الموقف وكل المزدلفة موقف حتى إذا أصفر دفع. وفي رواية ابن عباس: أن أسامة قال: كنت ردف النبي من عرفة إلى المزدلفة، ثم أردف الفضل من المزدلفة إلى منى، فكلاهما قال: لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يلبي حتى رمى جمرة العقبة رواه الشيخان وغيرهما.

وفي رواية جابر فلما أتى عليه الصلاة والسلام بطن محسر حرك ناقته، وأسرع السير قليلاً، ومحسر موضع بين مزدلفة ومنى، وهو مكان نزل فيه العذاب على أصحاب الفيل ثم سلك صلى الله عليه وسلم الطريق الوسطي التي تخرج على الجمرة الكبرى، حتى أتى الجمرة التي عند الشجرة فرماها بسبع حصيات يكبر من كل حصة رمى من بطن الوادي، وجعل البيت من يساره ومنى عن يمينه، واستقبل الجمرة، وكان رمية صلى الله عليه وسلم يوم النحر ضحى، كما قاله جابر في رواية مسلم وغيره. وفي رواية أم الحصين عند أبي داود: رأيت أسامة وبلالا، وأحدهما أخذ بخطام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم والآخر رافع ثوبه يستتره من الحر حتى رمى جمرة العقبة. وعن أم جندب رأته عليه الصلاة والسلام يرمي الجمرة من بطن الوادي، وهو راكب يكبر مع كل حصة، ورجل من

خلفه يستره أي من الحر، فسألت عن الرجل، فقالوا: فضل بن العباس، فازدحم الناس فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((يا أيها الناس لا يقتل بعضكم بعضاً، وإذا رميتم الجمرة فارموا بمثل حصى الخذف، وفي رواية جابر عند مسلم وأبي داود قال: رأيته صلى الله عليه وسلم يرمي على راحلته يوم النحر، وهو يقول: خذوا عني مناسككم، لا أدري لعلني لا أحج بعد حجتي هذه))).

وفي رواية قدامة عن⁽⁶⁴⁾ الترمذي: رأيته صلى الله عليه وسلم يرمي الجمار على ناقة له صهباء ليس ضرب، ولا طرد، ولا إليك إليك. ثم انصرف صلى الله عليه وسلم ب إلى المنحر، فنحر ثلاثاً وستين بدنة، ثم أعطى علياً فنحر ما غير، وأشركه في هديه، ثم أمر من كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر فطبخت فأكل من لحمها، وشرب من مرقها.

قوله فنحر ما غير أي ما بقي من البدن، وكانت مائة. وفي رواية جابر عند مسلم، نحر عليه الصلاة والسلام عن نسائه بقرة، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم منزله بمنى، ثم قال للحلاق: خذ، فبدأ بالشق الأيمن فوزعه الشعرة والشعرتين بين الناس، ثم قال بالأيسر، ففعل مثل ذلك، ثم قال: ههنا أبو طلحة، فدفعه إليه، وعند الإمام أحمد: وقلم صلى الله عليه وسلم أظفاره وقسمها بين الناس، وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: اللهم اغفر للمحلقين، قالوا: يا رسول الله وللمقصرين، قال: اللهم اغفر للمحلقين. قالوا: يا رسول الله وللمقصرين، قال: اللهم اغفر للمحلقين. قالوا: يا رسول الله وللمقصرين، قال: وللمقصرين، رواه الشيخان.

وفي رواية عبد الله بن عمر: فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بمنى، للناس يسألونه، فجاء رجل فقال: يا رسول الله لم أشعر فحلقت قبل أن أنحر. قال: اذبح، ولا حرج، ثم جاء رجل آخر

<183>

فقال: يا رسول الله لم أشعر فنحرت قبل أن أرمي فقال: ارم، ولا حرج.

قال: فما سئل عن شيء قدم أو آخر إلا قال: افعل، ولا حرج. رواه مسلم. وعن أبي بكر قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر فقال: إن الزمان قد استدار كهيأته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثني عشر شهراً منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادي وشعبان. وقال: أي شهر هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس ذا الحجة؟ قلنا: بلى. قال أي بلد هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس البلد الحرام؟ قلنا: بلى. قال: فأى يوم هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس يوم النحر؟ قلنا: بلى. قال: فإن دماءكم، وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، ألا لا ترجعوا بعدي كفاراً ضللاً يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد، فليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع. رواه الشيخان. وفي رواية للبخاري فودع الناس.

وقد روى أبو داود، والنسائي عن عبد الرحمن بن معاذ التميمي، قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بمنى ففتحت أسماعنا حتى كنا نسمع ما يقول، ونحن في منازلنا، فطفق يعلمهم مناسكهم حتى بلغ الجمار، فوضع أصبعيه السبابتين، ثم قال بحصى الخذف، ثم أمر المهاجرين فنزلوا في مقدم المسجد، وأمر الأنصار أن ينزلوا وراء المسجد، قال: ثم نزل الناس بعد ذلك، ثم ركب قبل الظهر، فأفاض إلى البيت، فطاف طواف الإفاضة، وهو طواف الزيارة، والركن، والصدر. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يزور البيت كل ليلة ما أقام

بمنى (الحديث) وأتى صلى الله عليه وسلم زمزم، وبنو عبد المطلب يسقون عليها، فقال: انزعوا بني عبد المطلب، فلو أن يغلبكم الناس على سقايتكم، لنزعت معكم، فناولوه دلوًا، فشرب منه. وفي رواية ابن عباس فشرب وهو قائم، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر يومئذ بمكة وقيل بمنى. وفي كل حديث صحيح.

ثم رجع إلى منى فمكث بها ليلتي أيام التشريق يرمي الجمرة إذا زالت الشمس، كل جمرة بسبع حصيات، يكبر مع كل حصاة، ويقف عند الأولى والثانية، فيطيل القيام فيهما، ويتضرع، ويرمي الثالثة فلا يقف عندها. رواه أبو داود عن حديث عائشة.

وعن ابن عمر عند الترمذي: كان صلى الله عليه وسلم إذا رمى الجمار مشى إليها ذاهباً وراجعاً، وفي رواية أبي داود: وكان يستقبل القبلة في الجمرتين الدنيا والوسطى، ويرمي جمرة العقبة من بطن الوادي.

ثم أفاض صلى الله عليه وسلم بعد الظهر يوم الثلاثاء بعد أن أكمل رمي أيام التشريق، ولم يتعجل في يومين إلى المحصب (وهو الأبطح وحده ما بين الجبلين إلى المقبرة، وهو خيف بني كنانة)، فوجد مولاه أبا رافع قد ضرب قبة⁽⁶⁵⁾ هناك، وكان على ثقله، وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم. صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم رقد رقة بالمحصب ثم ركب إلى البيت وطاف به رواه البخاري، وهذا هو طواف الوداع ثم ارتحل صلى الله عليه وسلم راجعاً إلى المدينة فخرج من كداء وهي عند باب شبكة وفي صحيح مسلم وغيره من حديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم لقي ركباً بالروحاء فقال: من القوم فقالوا المسلمون فقالوا: من أنت قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفعت امرأة صبيلاً لها في محفة، فقالت: يا رسول الله ألهذا حج؟ قال: نعم، ولك أجر.

<184>

ولما وصل بذى الحليفة بات بها لئلا يدخل المدينة ليلاً فلما رأى المدينة كبر ثلاثاً، وقال: ((لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير آيئون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده))، ثم دخل المدينة نهاراً من طريق المعرس (مكان معروف) وفي رجوعه صلى الله عليه وسلم الى المدينة لما وصل إلى موضع معروف باسم (خم) من ديار مضر واقع بين الحرمين جمع الناس الذين معه وخطب فيهم خطبة بليغة جامعة لسعادة الدارين، ورغب الناس في اتباع الكتاب والسنة، وحثهم على المودة والألفة. والتأخي بينهم لاسيما عترته وآله الكرام، وبالأخص في محبة سيدنا الإمام علي ابن أبي طالب رضي الله عنه واهتم بذلك لمكانة علي رضي الله عنه عنده في مواقفه وبالأخص تربي هو في بيت أبيه وعمه أبي طالب، واقتضاء ذلك مزيد من العناية⁽⁶⁶⁾ به، وقد استشهد أخوه جعفر بن أبي طالب في غزوة مؤتة، وبالأخص للدفاع عن كرامة علي حيث قدم ناس من اليمن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكوه عنده بأمور كان علي بريئاً منها، وأراد بذلك تبرئة ساحته عن التهم الغير المناسبة له.

ولم يذكر عليه الصلاة والسلام أنه هو الخليفة مباشرة بعده، وإلا لو كان نص هكذا، كيف كان يهمله كرام خير الأمة، وخيارهم؟ وكيف يقبل غير ذلك؟ وكيف كان الناس يقدمون على إطاعة أبي بكر بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة؟ علاوة على كل ذلك فإن سيدنا عليا كان أعلم الصحابة في القضاء وأحكمهم فيه، وأشجع الناس وممتازا في الدين والخوف من رب العالمين، وعنده من القرشيين مئات الأقارب، فكيف يترك العمل بالنص ويدع أمره ويسلمه الى غيره؟ وكيف نقبل التقية من شخصية علية عالمية مثله في إطاعة النص؟ وكيف يطيع أبا بكر ويبايعه ويعاونه في أمور خلافته الهامة؟ أم كيف يقبل استخلاف أبي بكر لعمر بن الخطاب

<185>

بعده؟ وكيف يبائع عمر ويقبل خلافته؟ بل كيف يزوجه بنته الشريفة أم كلثوم رضي الله عنها؟ ولو كان كل ذلك الأمور لخوف منه، كيف يلتئم لمقامه الرفيع؟ وكيف يهمل النص في أمر الشورى عندما جعل عمر بن الخطاب أمر خلافته شورى بينه وبين رفاقه الكرام؟ سبحانه يا رب نعوذ بك من شرور الناس الناسين لمقامات الصادقين المخلصين فعليكم أيها المسلمون بالبقاء والارتضاء لما ارتضاه الصحابة السلف الصالحون الذين كانوا خير أمة أخرجت للناس رضي الله عنهم أجمعين.

سرية أسامة بن زيد

إلى أهل ابني بالشرارة ناحية باللقاء وكانت يوم الاثنين لأربع ليال بقين من صفر سنة إحدى عشرة، وهي آخر سرية جهزها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأول شيء جهزه أبو بكر الصديق رضي الله عنه لغزو الروم مكان قتل أبيه زيد. فلما كان يوم الأربعاء بُدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم وَجَّعَهُ فحَمَّ وَضِدَّعَ، فلما أصبح يوم الخميس عقد الأسامة لواء بيده، فخرج بلوائه معقوداً فدفعه إلى بُريدة الأسلمي، فعسكر بالجرف، فلم يبق أحد من المهاجرين⁽⁶⁷⁾ والأنصار إلا انتدب، فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما اجمعين وجاء المسلمون الذين يخرجون مع أسامة يودعون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخرجون إلى المعسكر بالجرف.

فلما كان يوم الأحد اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه، فدخل أسامة معسكره⁽⁶⁸⁾ والنبي صلى الله عليه وسلم مغموراً، فطأطأ أسامة فقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتكلم فجعل يرفع يديه إلى السماء ثم يضعهما على أسامة. قال أسامة: فعرفت أنه يدعو لي، فرجع أسامة إلى معسكره، ثم دخل يوم الاثنين، وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم مفيقاً، فودعه أسامة وخرج إلى معسكره، فأمر الناس بالرحيل،

<186>

⁽⁶⁷⁾ في المخطوط وجوه المهاجرين

⁽⁶⁸⁾ في المخطوط من معسكره

فبينما هو يريد الركوب، إذا رسول أمّه أم أيمن قد جاء، يقول:
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يموت. فأقبل هو، وعمر،
وأبو عبيدة، فتوفي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين حين
زاغت الشمس لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول.

من حجة الوداع الى رجوعه منها إلى وفاته صلى الله عليه وسلم

أثناء حجته في موقف عرفه	نزل إكمال دين الله ذي
اليوم أكملت فيه الرمز	إكمال تشريعه يأتي بمختتم
وفي مني سورة النصر أتتهم	في آية (واتقوا يوما)
وفي المدينة قرب آخر	عقد لواء أسامة سيد الأمم
وفي خواتمه حدث وجع	يوما فيوما تزيد صولة الألم
في يوم الاثنين من ربيعنا	ثانيه كانت وفاة سيد الأمم
دفن في بيته غرفة عائشة	على حديث أتى من صاحب
صلى عليه اله العالمين كما	أمرنا في الكلام الهادي

صورته ولباسه صلى الله عليه وسلم

إِذْ غَابَ عَنَّا جَمَالُ صُورَةٍ
حُبُّ الرِّسُولِ الْحَبِيبِ فَرَضُ
وَكَلَّمَا ابْتَعَدَتْ أَنْوَارُ طَلْعَتِهِ
فَوَاجِبٌ فِي اللَّيَالِي السُّودِ
وَشَخْصُهُ كَانَ نُورَ الدَّهْرِ
قَامَتِهِ بَيْنَ طَوْلِ الْمَدِّ وَالْقَصْرِ
فِي ضَخْمِ هَامَتِهِ تَبْدُو مَهَابَتِهِ
مَوْسِعِ الْجَبْهَةِ فِي الْحَسَنِ
مَنْعَرَقِ الْحَاجِبِينَ كَادَ يَتَصَلَا
مَشْرَبِ لَوْنِهَا بِحُمْرَةٍ وَتَرَى
وَوَاضِحِ الْخَدِّ أَقْنَى الْأَنْفِ
مَعَ لَحْيَةٍ كَثَّةٍ مَعَ عَارِضٍ قَدْ
<188>

فَلِنَذْكُرِ الْوَصْفَ لِلذِّكْرِ
وَعِلْمُ أَوْصَافِهِ مِنْ وَاجِبِ
بَدَا عَلَيْنَا سِوَاءَ الْقَلْبِ
تَكُونُ نُورًا يَنْيرُ لَمْعَةَ الْهَمِّ
بَعَثَ بِالرَّحْمَةِ لِكَافَةِ الْأُمِّ
أَحْسَنَ بِمَعْتَدِلِ فِي الشَّانِ
وَكَبِيرِ السِّنِّ يَنَادِينَا عَلَى
وَحَسَنِ وَجْهِ يَنَادِينَا عَلَى
وَوَاسِعِ الْعَيْنِ فِي لِحْظٍ إِلَى
فِيهَا نَمُودِجُ حَسَنِ الْعَاهِلِ
فِيهِ بَرِيقُ صَفَاءِ اللَّوْنِ
كَالْبَدْرِ إِذْ يَطْلُعُ لَيْلًا عَلَى

ضخم الكراديس. يعني كان
من اليدين كذا من ركبتيه
على تناسب أعضاء ومقربة
في علو رقبته ترى لها مثلاً
وشعره في سواد المسك
مادام غاب عن الألفاظ
حب الرسول الحبيب فرض
أما اللباس فلم ينظر لأحسنه
وكان يلبس ما قد كان صادفه
ويستحب الثياب البيض ان
وكان يعجبه الخضر كذا
له قميص على الجسم
<189>

كبير رأس عظام الظهر
كتف وسائر خصلات من
كأنه صبّ بالقالب في صمم
كأنها درة مصبوبة الرقم
بل يأخذ المسك منه نفحة
فليعلم الوصف للذكرى لدى
وعلم أوصافه من واجب
ولا للبس علا في القدر
مع الشكر لله على النعم
له وللغير من عرب ومن
من اليماني مهما جاء من
فرجية وقباء حائر القيم

له كساء وسيع يشمل البدنا
له سراويل حسب النقل إذ
له قلنسوة بيضاء يلبسها
أما عمامته فالحجم معتدل
على القلنسوة أو وحدها
أرخی ذوائبها في وسط ظهر
سوداء في المنبرء صفراء
في فتح مكة كان اللون
وعندما جاءه وفد من العرب
وجبة من طراز الروم يلبسها
والكم لا يتعدى الرسغ من
وقد يرى حلة حمراء يلبسها
<190>

له ازار لنصف الساق لا
وأنكر البعض ذاك القول
وقد يكون لها الأذنان في
من اذرع ستة او زاد في
له اقتناع بها في البرد
قد أرخيت عند اليمنى الكتف
بيضاء صورتها إذ راح في
إذ فيه مهابة قدر لأولي
يلبس ما قد يليق بأولي
على مناسبة في وقت
وذاك في اعتدال حائر
فتعجب الناس في الحسن

وطيلسان على الأكتاف
وشعر رأسه في اوسط
أوسطه جمة يصل أذنيه قد
ولم يحلق سوى في نسك
يقص شاربه، يترك لحيته
كان له خاتم من فضة
واتخذوا خاتماً له وقد
محمد^(٦٩) فرسول فوقه، وترى
وكان في الخنصر اليمني له
وخفه كان من جلد ويلبسه
وكان خشناً قوياً قابلاً لادنى
ونعله كان من جلد وقد
أ^١
<191>

أحسن بلبس يزين صاحب
فلمة تصل المنكب في
أدناه في خده فخذة وافتهم
وذا شعار يوري ناسك
لا يأخذ من عرضها وطولها
وفصه الجزع من حبش بلا
فيه اسمه للمكاتيب على
لفظ الجلالة فوق الكل
جواز ذلك في اليسرى بلا
للمسح بعد اغتسال الرجل
تتابع المشي في حل وفي
مثاله للتشفي من أذى
..

وكلما وضعوا في موضع
وجانب الجبة الحسنى إذا
نمّوج من لباس المصطفى
يا أيها العاقل الموصوف
خذ الحقائق واسلك مسلك
الأرض تشرق بالذكر الحكيم
وكعبة الله أرض شرفت
والحجر مادة جامدة شرفت
تابوت موسى له من ربنا
فيها عصاه وتوراة لها شرف
فهل أذاك دليل في جمودك
محاسن شعره في نشرها
<192>

أتى النجاة لمعلول من
في الماء يشربه المرضى
وقس على الباب ما في
بالعقل بالعلم بالانصاف
ولا تكن مائلا للجهل والنقم
تلاه جمع أولو الاخلاص
مستقبلها من الحل ومن
تناله شفة من كل ملتئم
سكينة ودواء لأولي السقم
من نشرها ذكريات الخير
مخلفات الرسول سيد الأمم
سجادة بسطها التوسيع

لهم محنة أو هجمة السقم
وامسح بجلدهما العينين في
نَعْلَاهُ كي تتعالى بالخير

وقد تشفى بها الأصحاب
فاجعل على رأسك النعلين
يا لَيْتَنِي مسني إذ مسني

بحث معجزاته صلى الله عليه وسلم

يعجز عن دركها أفهام
ورافعاً لغبار الظلم والظلم
تعجز عن نيلها مقام ذي
جَهِدٍ على محنة الأيام
لَحْدٍ الإعجاز للإنسان ذي
فصارت مصابيح نور الكون
رَاحُ الهوى وأتى الأنوار
رَاحَ خوار العجايل على

وجودك الأنور المعجب
خلقت نوراً منيراً رافعاً لهوى
وخلقك الأكمل الأعلى
صبر، وصدق، وعلم، ثم عهد
وإستقامة حال المصطفى
وتلك أركان بيت الفضل في
خمود نار المجوس من شعار
طاح مدار للأصنام المشركة

<193>

تبدیلِ اُقدار اتباعِ الهوی
فی ملة استمرت بالمئات
أكبر معجزة فی عالم البشر
وشق صدرک أيام الصبا کرم
أمانة الشخص بین الناس
ورفع خلف قریش کان فی
تمزیک أصحاب فیل الهدم
وغيرها من کرامات لکم
لاسیما خارق القرآن إذ نزل
وشرع الأحکام علما كانت أو
ونشر توحید رب العالمین
وشرح اعمال قوم قد مضوا
<194>

تحويل الأھواس بالأقدار
عبادة الوثن المحروم
بشرى السعادة بالتخلید
مثال معجزة تأتي على قیم
یشرح صدرک للأحکام
الأسعد الأسود الموضوع
إرهاص قدرکم الأعلى لدى
ظهور نار القرى لیلاً على
لفضل الإرشاد والإیقاظ
ونزع الأوهام بالإهلاك للأمم
بما أفاد من البرهان والحکم
ونصرة الحق والأخلاق

وثبت الإيمان بالله وبالملك
وبالقضاء من الله وبالقدر
وبالعبادة لله العظيم على
شهادتان وخمس صلوات لنا
وصوم رمضان قمعاً لهوى
زكاة الأموال حج البيت
والذكر لله في الأحوال
وكل ذلك بالإخلاص في
وبحث أحوال هذا الكون إذ
وخلقك اللامع النافع معجزة
ولم يكن طاقة الإنسان
صبرت عند الازدي، غمضت
<195>

والكتب والرسل أهل
واليوم الآخر والإحياء للأمم
أصول الإسلام في الحرب
مع الخشوع والإخلاص لذي
لمن له طاقة الصوم بلا ألم
للمستطيع على التفصيل
سراً وجهراً ما مكان لمغتنم
إن الخلاص من الإخلاص
بدقة ونظام كل منتظم
سرت نتائجها لكافة الأمم
فإنها قد أتت من مخزن
سامحت عند الجفا من ثلة

هَجَرْتُ أَصْحَابَ دِينِ الْحَقِّ
هَجَرْتُ رَاحَةَ نَفْسٍ أَلْقَيْتُ
هَاجَرْتُ عِنْدَ وَفَاقِ الْقَوْمِ عَنْ
قَبْلْتُ اتْعَابَ غَارِ الثَّوْرِ
وَصَلْتُ طَبِيبَهُ عَنْ طَيْبِ
وَجَاءَ إِذْنُكَ لِلْحَرْبِ وَقَدْ
طَهَرْتُ مَكَّةَ مِنْ رَجَسِ
ضَحْتُ صَحَابَتَكُمْ بِالْمَالِ
جَزَاكَ رَبُّ الْبِرَايَا كُلِّ مُوَهَّبَةٍ
يَا سَيِّدِي سِنْدِي يَا ثِقَةَ
يَا سِنْدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ يَا
مَقَامَ مَحْمُودِكُمْ عَلَى
<196>

بِهَجَرَتَيْنِ إِلَى مُوَاطِنِ الْغَمِّ
هَجَرْتُ قَوْمَكَ لِلشَّعْبِ مِنْ
لَقِيتُ شَخْصًا أَتَى هَدِيَّةَ الْأُمِّ
أَقْبَلْتُ دَرْبًا خَلَا عَنْ مَعْبَرِ
وَأَسْتَقْبَلْتُكَ كَرَامِ الْقَوْمِ
أَعَدَّادَ جَيْشِكَ عِنْدَ الْحَلِّ
مَحَلَّهُ نَوْرَ فَيْضِ الْحَقِّ
لِنَصْرَةِ الدِّينِ وَالْإِيمَانِ لِلْأُمِّ
يَلِيقُ مِنْ فَضْلِهِ لِسَيِّدِ الْأُمِّ
نَحْنُ بِكُمْ مَهْتَدُونَ فِي الْبَدْءِ
كُنْ لِي شَفِيعًا رَفِيعَ الْقَدْرِ
كَبُرَى شَفَاعَتُكُمْ لِكَاثَةِ الْأُمِّ

عبد الكريم عبيد الرب
أَنْتَ الْحَبِيبُ الَّذِي تَرْجَى
مُعْجَزَةُ الْأَنْبِيَاءِ مُوهَبَةٌ نَزَلَتْ
تُظْهِرُ عِنْدَ التَّحْدِي فِي
كُرَامَةٍ غَيْرِهَا بَعْدَ الرِّسَالَةِ إِذْ
وَمَا أَتَى قَبْلَ ذَا إِرْهَاصٍ
وَكُلُّ مَا تَنْجَتْ مِنْ كَسْبٍ
مُحَمَّدُ اسْمُكَ الْأَوْفَى لِكُلِّ ثَنَا
تَوْفَرَتْ مُعْجَزَاتُ سَيِّدِ الْبَشَرِ
مِنْ مُعْجَزَاتِكَ شَقَّ الْقَمَرُ فِي
غَفْلٍ عَنْهُ الْوَرَى لِذَلِكَ اسْتَتَرَا
وَمِنْهُ شَقَّ الثَّرَى لِشَجَرٍ إِذْ
<197>

يَا سَيِّدِي جَدُّ لَنَا بِالْفَضْلِ
لِكُلِّ هَوْلٍ مِنَ الْأَهْوَالِ
مَنْ رَبُّهُمْ مِنْ سَمَاءِ الْجُودِ
تَبْدُو بِهَا صَدَقَهُمْ فِي الْقَدْرِ
بِهَا انْقِيَادُ أَوْلَى الْأَفْكَارِ
بِوَادِرِ الْخَيْرِ وَالْأَفْضَالِ
صَنِيعَةٌ سَهْلَةٌ مِنْ كَافَةِ الْأُمَمِ
ذَلِكَ إِرْهَاصُكُمْ فِي الْعِلْمِ
فَلَا مَجَالَ لِتَحْرِيرِ لَدَى قَلَمٍ
فِي أَفْقِ الْعَالَمِ الْمَكِّي
إِلَّا فَلَا يَخْتَفِي قِطْعًا عَلَى
تَأْتِي إِلَيْكَ بِتَسْلِيمٍ مِنَ الْكَلَمِ

تسبيح عين الحصى في
ونبع ماء حديبية خارقة
تكثيركم لطعام قلت مادته
شكوى البعير لدى البشير
إجابة الدعاء معجزة إذ سعى
وهذه معجزات قد بدت
والبر والبحر والأجواء عالية
والدوران وميزان لدورتها
وما يكون بها من شهب
ووضع كرسية والعرش من
ومن سباحة سيارات بأفلاكها
بحيث يحترق عقل العاقلين
<198>

وراحة الخلفا من معدن
وقد ظهرت بين جمع
حيث وفى بجميع الصحب
قد لا يرى مثلها في العرب
به لدفع الأذى والوجع
وشهدت كافة الأصحاب
ثم السماوات والتزيين
والكل في فلك خاص على
راجمة للشياطين على نقم
وبحث لوح مع البيان للقلم
والاهتداء لأهل الأرض
فضلا عن العاجز الأمي في

وفيه أصل النظام للإدارة
إِطاعة الله مع طوع الرسول
وَالأمر بالعدل والإحسان
وَرَدُّ كُلِّ أمانات إلى أهلها
كذا بإعداد كل قوة ممكنة
والاعتصام وتوحيد الصفوف
وَفَرْضُ تقوى من الله
وصحبة الصادقين في
لَا فِرْقَ في حكمة من بين
يَأْمُرُ بالسبب المربوط
وَرَغْبُ المؤمنين المستعدين
لِيُنْذَرُوا قومهم عند الرجوع
<199>

ما يجري بين الوري في
قَرَر طوع أولي الأمر من
وَالأمر بالخير والصلة للرحم
وَالسعي في العلم والتعليم
لَرَدِّ كُلِّ عدو جائر ظالم
فيه التشاور مع ذي دقة
بَعْدَ من الكفر والعصيان
حَتَّى تنالوا رضاء الله ذا
إِلَّا بتقوى وسوق النفع للأمم
وبالتوكل وفق الحق والنظم
تفقه الدين حسب قوة
وَلِيَقْتَدِ الناس بالأعلام

وفوق كل عليم أعلم وترى
الدين والنفس والأعراض
ورغب الناس في الأخلاق
هذا نظام كتاب الله محترماً
آمن به واحفظن دستوره
وارع الأصول تنل أعلى
وذاك مدلول قرآن وشرعته
يعني كتاب هداه سنة ويلى
وما عدا ذاك شر فاجتنبه ولا
حسب الأنام كتاب باء أوله
هذا الرسول رسول الله
وسيد المرسلين المصطفى
<200>

نظام عالمنا بالفرق منسجم
والعقل والمال بين الناس
الصبر، والصدق، والانصاف
فأعلمه واعمل به، عليه
إن الشرافة في القرآن
وأرع الفروع تكن في منتهى
بطبق سنة مولى كافة
الاجتهاد والاجماع من الأمم
تتبع أولى فكرة بالسم
مع سين آخرها بسنا بمختتم
للجن والإنس من عرب
دلت عليه براهين على حكم

أخلاقه جمعت أخلاق كل نبي
دعوته عامة لكافة الأمم
إرساله رحمة للعالمين كما
خلود معجزة القرآن ذا حكم
الشور والفقه حقا كافيان لنا
مادام ذاك الرسول سيد
الأمر بالعرف والنهي عن
فَالصَّحْبِ وَالْأَلْ أَهْلَ الْبَيْتِ

كتابه جامع الكتب إلي الأمم
للجن والانس من عرب
وكتبه أرسلت لسادة الأمم
صلوحه لعصور الناس كلهم
في أخذ حكم لكل الأمر
فَأَمَّةُ السَّيِّدِ أَعْلَى مِنْ الْأُمَمِ
دليل خيرية لكل مفتهم
وغيرهم من أولي التقوى

الاصحاب الكرام

أصحابه كالنجوم في سماء
بهم سما دين الإسلام لصدر
لهم مناصب علو في
<201>

وذاته الشمس إذ بدت على
بهم نما علم الاعلام مع
لهم عليها شهود دونما نقم

هناك آيات قرآن تدل على
كذا أحاديث خير المرسلين
بهم سما دين الإسلام إلى
أثارهم آية لصدق أعمالهم
فما الذي بعدها في ذكر

صعودهم سلم الأحكام
يفرقها أهل علم الدين في
وانتشر الدين في العرب
رأياتهم تخفق على ذرى
أصدق بهم في جميع القول

من فضله الفضل لنوع أمته

من فضله الشرف لنوع أمته
الصحب حفاظ قرآن على
من بلغوا ديننا عيناً بلا خلل
تشى عليهم نصوص الدين
لهم مباشرة خطاب حضرته
آيات آخر فتح في مناقبهم
<202>

الصحب والآل أهل البيت
وضابطو سنة المولى بلا
وبالغوا في بلاغ العلم
لكل أهل كمال حاد عن
بأنهم خير أهل الدين كلهم
إعلام الانجيل والتوراة من

وزميرة رضي الله من
وسورة التوبة سور لكافتهم
للفرد والجمع آيات مناقبهم
تمت لهم حسنات لا حساب
وحسبهم أنهم اختارهم بالوفا
لاسيما السابقون هجرة إنهم
وأهل بدر بدور في سما
فحضرة المصطفى شمس
والخلفاء وهم أهل الصفا
بهم سما دين الإسلام لوجه
أثارهم آية لضوء أنوارهم
فما لنا حاجة تأتي ببينة
<203>

توصلها رتبة تدنو من العصم
تكفي الأنام لفوز القدر
تهدي لهم نجمة النجاة
ومدهم أحد في القدر
لحضرة المصطفى المختار
قد سبقوا بالرضا والفضل
لا كسف لا خسف فيهم في
بدورها نورهم أعلى من
والجهد والرشد والإرشاد
وانتشر الحق بين العرب
رأياتهم رفرفت في كافة
لصدقهم في مجال العلم

والسابقون تراهم صادقين
وكل ذلك من جاه الرسول
وهم أبو بكر الصديق أولهم
مضحياً بحياة النفس في
وهو الرفيق الشفيق
عِثْنَه مقتدى في حال حوبته
وصحَّ إن الرسول صار
بعد الوفا أجمع الناس بلا
وهو الذي قام بالأمر على
بجيشه زال أهل الردة
وهو الذي جهز الجيش
وهو الذي جهز الجيش
<204>

ومن يخالف أهل الفهم
بجاهه وصلوا لذروة القسم
صديق حضرته في الحل
مفدياً بجميع المال والحشم
لذاك قد خصه لقدوة الأمم
ليستقر له فضل مع الكرم
ليقتدي غيره من عليّة الأمم
على خلافته العليا على
وهو الذي خدم الدين بلا
وأنتصر الحق في الدنيا بلا
جيش مسيلمة المحروم من
جيش أسامة حسب الأمر

وهو الذي جمع القرآن عن
من حسن أعماله استخلافه
عمر من عمر الدين بحكمته
جهز جيشاً لسعد نحو
فتح أطرافها وجوف أكنافها
واحتل عاصمة الحكم لدولته
وجاء جيش المثنى لمعوتته
فتح أرض عبادان بكاملها
وقف أرض السواد للعراق
واحتل أرض نهاوند بقوته
واحتل مملكة الفرس
وفتح الشام والأطراف منها
<205>

من موت حفاظه في
بعده في فراش الموت مع
وصار في منهج المختار ذي
أقام في كوفة الجند على
محارباً جيش كسرى صاحب
وبعد الشر والعدوان عن
طوبى لمن عاون الأرباب
وأرض حلوان والأكراد في
قد صح نقل من أهل العلم
نداء سارية منه إلى العجم
شكيمة ذات ابراق من
قرب الحدود من الروم

وفتح المسجد الأقصى على
كذا فلسطين ارض الخير
وأرض مصر مصير النيل
ورتب الأمر للجيش العظيم
ودار فتوى كذا دار القضاء
وأرسل العالمين للبلاد هدى
وابن مسعوده في كوفة
فصارت البصرة العليا
قد استقام على دين الهدى
فصار مستشهدا من
وبعد جرحه قبل الموت قد
وبعد ما شاوروا في الأمر
<206>

راعى حقوق الأنام عند
وكان للمسلمين أوفر النعم
فصارت الأرض أرض الجود
منهاجه الكامل المستوعب
ما اقتضى الدين للتسهيل
لمصر للشام للعراق بالهمم
كان إماماً لأهل الفقه
للعلم للجيش للأرباح والنعم
وكان في عهده الناس على
قضاء من عنده الأحكام
الأمر شورى لست من
أختير عثمان للحكم على

عثمان كهف الحيا قلبه عين
فأستنهض الناس للإخلاص
فأكمل الفتح في إيران عن
فصار فيها اختلاف من
فعاد بالفور من باكو على
مستنهضا فكر عثمان على
مطالباً جمع قرآن على نمط
فقام عثمان في تطبيق ذاك
فأستجمعوا ما لدى الأصحاب
فأستنسخوا ست نسخات
وأثبتوا باقي اللهجات
لمصر، للشام، للحرمين
<207>

وصاحب البذل والإحسان
وفي الجهاد وفي الإرشاد
وأوصل الجيش باكو من علا
حذيفة خاف منه فتنة الأمم
إلى المدينة للتدبير بالحكم
يفيد دفع العنا في العرب
عليه يتفق القراء من أمم
تشكيل لجنة أهل العلم
بخيرة الحيدر الكرار ذي
على وفاق قريش أشرف
حفظاً لها بدوام الدهر في
وللعراق، وللبحرين ملتئم

وأحرقوا ما عداها للحفاظ
بذاك قد اشترى عثمان ثالثة
قد ترأس تلك اللجنة الشرفا
فذلك الأمر بالإجماع كان
واستشهد الشيخ عثمان على
وقام من بعده باب العلوم
من أعلم القوم أو من كان
أعان أهل الهدى في كل
ودّ أبا بكر الصديق منذ بدا
في رد أهل ارتداد بالمكابرة
وقمع كذاب أهل الجور
وفي زمان ابن خطاب أعانه
<208>

تطبيقهم وحدة الإقراء في
خلود جنته بالفوز للنعم
علي العالي بالعلم وبالحكم
رضى الجميع من الأصحاب
من ربه خطه في اللوح
ببيعة الكل أهل الحل
من كان أتقى وأنقى الناس
أهان أهل العدى من
إعانة في تشئون الحرب
ودفع أهل عناد من أولي
أعني مسيلمة الفتان للأمم
أموره كأخ بالأخ منسجم

لذاك زوجه البنت الشريفة
أغان عثمان أيضا في خلافته
وكان في عهده يشني على
ويشهد الشاهد المقبول
إياك أن تنسب القول
لا تسمعن غير ما قلناه من
لأشك في علمه، وفي
من كان منبع اوصاف
لو كان نص ببدء في خلافته
والحق للعلوي اتباع علي
فرضي الله عنه وعن الخلفا
بعد الشهادة من طعن
<209>

رأى له العدل والإيمان
وجمعه المصحف المبروك
في كل مجتمع فيه أولو
في كوفة الجند أو في
ان الكرام براء من جفا
لا تجرحن قلب أهل الصدق
وفي تقاه، وفي التوصيف
تأبى طبيعته ماشان من كلم
ما خالف النص من خوف
في ما ارتضاه له من دونما
مضوا على أمر مولاهم من
سليل ملجم المحروم من

قام ابنه الحسن الأحسن في
في أشهر ستة وبعدها قد
نال السيادة من إصلاحه
على تنازله عن عرش خدمته
رب ارض عنه وعمن قد
أولئك القوم قاموا بالحقائق
رب ارحمن بنا نحن الضعاف
وأختم لنا عمرا على
أولئك الصّحب أصحاب

بأمر الإسلام بالعهد من
بخبر المصطفى ذي الفضل
أحسن به سيداً من سادة
علا على عرش عز الجود
أو يمضي من خلف بالبعد
دين لسيدنا الموصوف
ما عندنا من معاص أو من
توحيدنا يا إله الحل والحرم
جميع من سبقوا في كافة

الآل

وآله المؤمنون الأكرمون
أشرفهم أنور عليّ الحيدر
<210>

من نسل مطلب أو عنصر
نسله الحسان صاحباً كرم

محمد أمه جارية عالية
ومنهم قد أتى سلاسل
تضيء أنوارهم تظهر
من منبع الأصل والنسل
من زبدة الآل جل الأولياء
أقطابنا الكمل الأربعة
أولها البار في أوج العلا أبدا
والأحمدان هما الرفاعي
والشاذلي أبو الحسن
وهو الأدليسي فضلا
أكرم بهم نسبا أكرم بهم
وأهل بيت خير الناس خير
<211>

أخذها من يد الصديق في
من حسن أو حسين ثابتي
تنشر آثارهم في الجود
يوم القيامة في الخير على
إرشاد أمته لذروة القمم
مثل الدور إذا لاحت على
العبد للقادر القيوم ذي
ثم الدسوقي إبراهيم ذو
محمد النقشبند الفرد في
وطنه عم إرشادا لدى أمم
أكرم بهم أدبا للعرب
أختارهن لبيت سيد الحرم

فإن بيته بيت فيه يشتعل
فيه نساء وأزواج مطهرة
معلومات كتاب الله ذا حكم
سجى إليهن أهل البدو
فالبيت مدرسة للعلم والأدب
وتلك بالحق إحدى حكمة
كذلك منها اكتساب النصر
وإن منها وفاة زوج بعض
ومن مهماتها تشريع حل لهم
من حكمة الشارع الأعلى
وكن هن نساء صاحبات هدى
إذ (يا نساء النبي) قول الإله
<212>

مصباح زيت مصفى من جفا
وأمهات لخيار الخلق في
معلومات أحاديث على قيم
يسألن حكم النساء في الحل
الطالبات نساء القدر والقيم
وكثرة الأمهات خذه وافتهم
في عادة العرب العرباء
ممن لهم صلة الأرحام
في زوجة المتبنى من دين
فيه اتساع على الناس بلا
في عفة ووفاء العهد
أكرم منهج خطاب الله

حتى يلقن بيت سيد الأمم

فأذهب الرجس عنهن

ويحتذين حذاء المشي

وسترهن حجاب الستر

قولي: (أثناء حجه... الى آخر الآيات) شروع في ظهور بوادر قرب وفاة حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم من نزول آيات تدل على قربها، منها ما نزل في عرفة من قوله تعالى:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، فإنه لما أعلن إكمال آيات الأحكام، أظهر أنه لم يبق للرسول بلاغ، ومن ذلك انتهى الأمر، ومنها نزول سورة النصر في منى، فإنه روي أن هذه السورة آخر سورة من القرآن الكريم نزلت يوم النحر، وهو صلى الله عليه وسلم بمنى في حجة الوداع، وقيل عاش صلى الله عليه وسلم بعدها واحداً وثمانين يوماً، وفي حديث ابن عباس عند الدارمي: لما نزلت (إذا جاء نصر الله)؟؟؟ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة، وقال: ((نعت إلي نفسي)) (! فبكت، قال صلى الله عليه وسلم) لا تبكي، فإنك أول اهلي لحوقا بي ((. فضحكت.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس على المنبر فقال: إن عبداً خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء، وبين ما عنده، فاختار ما عنده، فبكى أبو بكر رضي الله عنه وقال: يا رسول الله فديناك بابائنا وأمهاتنا. فعجبنا له. وقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده. وهو يقول فديناك بابائنا وأمهاتنا. قال: فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا به. فقال النبي صلى الله عليه

وسلم إن آمن الناس عليّ بصحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام. لا يبقى في المسجد خوخة إلا سدت إلا خوخة أبي بكر. رواه الشيخان.

وكانت هذه الخطبة في ابتداء مرضه الذي مات فيه صلى الله عليه وسلم فإنه خرج كما رواه الدارمي معصوب الرأس حتى أهوى الى المنبر، ثم بعد الخطبة هبط عنه فما رؤي عليه حتى الساعة. فما زال صلى الله عليه وسلم يعرض باقتراب أجله في آخر عمره.

قال الحافظ ابن رجب: وكان ابتداء مرضه عليه الصلاة والسلام في أواخر شهر صفر، وكانت مدة مرضه ثلاثة عشر يوماً، في المشهور..

وذكر الخطابي: إنه ابتداء مرضه يوم الاثنين إذ اختلف في مدة مرضه، فالأكثر أنها ثلاثة عشر يوماً. وفي البخاري: قالت عائشة رضي الله عنها لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد به وجعه استأذن أزواجه أن يُمرّض في بيتي فأذن له، فخرج وهو بين رجلين تخط رجلاه في الأرض: بين العباس بن عبد المطلب، وبين رجل آخر وهو علي بن أبي طالب. ولما اشتد به، وجعه صلى الله عليه وسلم قال: مروا أبا بكر فليصل بالناس، فقالت عائشة: إن أبا بكر رجل رقيق إذا قام مقامك لا يسمع الناس من البكاء. قال مروا أبا بكر فليصل بالناس فعاودته مثل مقالتها. فقال: ((إنكن صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصل بالناس)). رواه الشيخان.

وفي الأنوار المحمدية: ونقل الدمياطي أن الصديق صلى بالناس سبع عشرة صلاة، وقد ذكر الفاكهاني في الفجر المنير مما عزاه لسيف الدين بن عمر في كتاب الفتوح أن الأنصار لما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يزداد وجعاً أطافوا بالمسجد. فدخل العباس فأعلمه عليه الصلاة والسلام بمكانهم واشفاقهم. ثم دخل عليه الفضل فأعلمه بمثل ذلك، ثم دخل عليه علي ابن أبي طالب كذلك فخرج صلى الله عليه وسلم متوكئاً على علي

والفضل، والعباس أَمَامَهُ والنبي صلى الله عليه وسلم معصوب الرأس يخط برجليه، حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر، وثار إليه الناس، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: ((أيها الناس بلغني أنكم تخافون من موت نبيكم- هل خلد نبي قبلي في من بعث إليه فأخلد فيكم، ألا وإني لاحق بربي، ألا وانكم لاحقون به فأوصيكم بالمهاجرين الأولين خيراً، وأوصي المهاجرين فيما بينهم فإن الله تعالى يقول: ﴿وَالْعَصْرُ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3)﴾ وإن الأمور تجري بإذن الله تعالى فلا يحملنكم استبطاء أمرٍ على استعجاله فإن الله عز وجل لا يعجل بعجلة أحد، فمن غلب الله غلبه، ومن خادع الله خدعه ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ وأوصيكم بالأنصار خيراً فإنهم الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلكم، أن تحسنوا إليهم، ألم يشاطروكم في الثمار؟ ألم يوسعوا لكم في الديار؟ ألم يؤثروكم على أنفسهم، وبهم خصاصة؟ ألا فمن ولي أن يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم، وليتجاوز عن مسيئهم. ألا ولا تستأثروا عليهم، ألا وأناي فَرَطَ لكم وأنتم لاحقون بي، ألا وأن موعدكم الحوض، ألا فمن أحب أن يردّه عليّ غداً فليكفف يده ولسانه إلا فيما ينبغي، يا أيها الناس إن الذنوب تغير النعم، وتبدل القسم، فإذا برّ الناس برهم أمتهم، وإذا فجروا عقوهم ((.

وذكر الواحدي بسند وصله بعبد الله بن مسعود: نعى لنا رسول الله نفسه قبل موته بشهر فلما دنا الفراق جمعنا في بيت عائشة، فقال: ((حياكم الله بالسلام، رحمكم الله، جبركم الله، رزقكم الله، نصركم الله، رفعكم الله، آواكم الله، أوصيكم بتقوى الله، وأستخلفه عليكم وأحذركم الله إني لكم منه نذير مبين، ألا تعلوا على الله في بلاده وعباده فإنه قال لي ولكم ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾، وقال: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ ((قلنا: يا رسول الله

متي أجلك؟ قال: ((دنا الفراق والمنقلب الى الله والى جنة المأوى)) قلنا يا رسول الله من يغسلك؟ قال: ((رجال أهل بيتي الأدني فالأدني)) قلنا: يا رسول الله فيم نكفئك؟ قال: ((في ثيابي هذه، وإن شئتم في ثياب بيض مصر أو حلة يمنية)) قلنا: يا رسول الله من يصلي عليك؟ قال: ((إذا أنتم غسلتُموني وكفنتُموني، فضعوني على سريري هذا على شفير قبري. ثم اخرجوا عني ساعة. فإن أول من يصلي علي جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت ومعه جنود من الملائكة، ثم ادخلوا علي فوجاً فوجاً فصلوا عليّ وسلموا تسليمًا، وليبدأ بالصلاة عليّ رجال أهل بيتي ثم نساؤهم، ثم أنتم وقرأوا؟؟؟ واقرأوا السلام على من غاب من أصحابي ومن تبغني على ديني من يومي هذا الى يوم القيامة)) قلنا: يا رسول الله ومن يدخلك قبرك؟ قال: أهلي مع ملائكة ربي. وكذا رواه الطبراني.

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صحيح يقول: إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير، فلما اشتكي وحضره القبض ورأسه على فخذي غشي عليه، فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال: اللهم في الرفيق الأعلى، فقلت: إذا لا يختارنا. فعرفت أنه حديثه الذي كان يحدثنا وهو صحيح.

وفي رواية أنها أصغت إليه قبل أن يموت، وهو مستند الى ظهره يقول: ((اللهم اغفر لي وارحمني وألحني بالرفيق الأعلى)) رواه البخاري.

ولأحمد من حديث أبي بويه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ((أوتيت مفاتيح خزائن الأرض والخلد ثم الجنة فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة فاخترت لقاء ربي والجنة))

ولما تغشاه صلى الله عليه وسلم الكرب، قالت فاطمة رضي الله عنها: وأكرب أبتاه. فقال صلى الله عليه وسلم أنها: ((لا كرب على أبيك بعد اليوم)) رواه البخاري. وفي البخاري من حديث أنس: أن

المسلمين بينما هم في صلاة الفجر يوم الاثنين، وأبو بكر يصلي بهم لم يفجأهم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كشف ستر حجرة عائشة، فنظر اليهم وهم في صفوف الصلاة، ثم تبسم بضحك، فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف، وظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يخرج إلى الصلاة. قال أنس: وهم المسلمون أن يفتتوا في صلاتهم فرحاً برسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار إليهم بيده صلى الله عليه وسلم أن أتموا صلاتكم، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر، وتوفي صلى الله عليه وسلم في⁽⁷⁰⁾ يومه ذلك.

وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال: لما بقي من أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث نزل عليه جبريل فقال: يا محمد إن الله قد أرسلني إليك إكراماً لك وتفضيلاً لك وخاصة لك.

ولما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أجزع الناس كلهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأخذ بقائم سيفه وقال: لا أسمع أحداً يقول مات رسول الله إلا ضربته بسيفي هذا. قال: فقالت الناس: يا سالم اطلب لنا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجت إلى المسجد فإذا أنا بأبي بكر، فلما رأيته أجهشت بالبكاء أي تهيأت فقال: يا سالم أمات رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقلت: إن هذا عمر بن الخطاب يقول: لا أسمع أحداً يقول مات رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ضربته بسيفي هذا. قال: فأقبل أبو بكر حتى دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مسجى فرفع البرد عن وجهه، ووضع فاه على فيه، واستنشق الريح، ثم سجاه، والتفت إلينا فقال: **﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾** الآية، وقال تعالى: **﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾**، يا أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. قال عمر: فوالله لكأنني لم أتل هذه الآيات قط. رواه الترمذي.

<217>

وقد كانت وفاته صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين بلا خلاف، ووقت دخول المدينة في هجرته حين اشتد الضحاء. ودفن يوم الثلاثاء، وقيل ليلة الأربعاء⁽⁷¹⁾، وسبب تأخير دفنه ما وقع من الاختلاف في موته، وفي محل دفنه.

وغسل صلى الله عليه وسلم ثلاث غسلات الأولى بالماء القراح، والثانية بالماء والسدر، والثالثة بالماء والكافور. وغسله عليّ والعباس وابنه الفضل يعينانه، وقثم وأسامة وشقران مولاه صلى الله عليه وسلم يصبون الماء من وراء الستر. وروى الحاكم عن علي قال: غسلته صلى الله عليه وسلم فذهبت أنظر ما يكون من الميت، فلم أر شيئاً، وكان طيباً حياً وميتاً، وجعل علي على يده خرقة، وأدخلها تحت القميص، ثم اعتصروا قميصه، وحنطوا مساجده، ومفاصله ووضئوا منه ذراعيه ووجهه وكفيه وقدميه وجمروه عوداً وندا. وكفن صلى الله عليه وسلم في ثلاثة أثواب بيض سحولية من كرسف ليس فيها قميص ولا عمامة، (والسحولية أي منسوبة إلى السحول قرية من اليمن).

وعن ابن عبد ابن ماجه لما فرغوا من جهازه صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء فوضع على سريره في بيته ثم دخل الناس عليه أرسالا يُصلون عليه حتى إذا فرغوا دخل النساء، حتى إذا فرغن دخل الصبيان، ولم يؤم الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد.

ثم قالوا: أين تدفونه صلى الله عليه وسلم؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما هلك (أي مامات) نبي قط إلا يدفن حيث تقبض روحه. وقال علي: وأنا أيضاً سمعته، وحضر أبو طلحة لحد رسول الله صلى الله عليه وسلم، مس في موضع فراشه حيث قبض، وقد اختلف فيمن أدخله قبره، وأصح ما روي: أنه نزل في قبره علي وعمه العباس وابناه الفضل وقثم، وكان قثم آخر الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم.

<218>

⁽⁷¹⁾ في المخطوط وقيل ليلة الأربعاء وقيل يوم الأربعاء

وروي أنه بنى في قبره تسع لبنات، وفرش تحته قطيفة نجرانية كان يتغطى بها فرشها شقران في القبر، وقال: والله لا يلبسها أحد بعدك.

وفي كتاب (تحقيق النصرة) قال ابن عبد البر: ثم أخرجت أي⁽⁷²⁾ القطيفة من القبر لما فرغوا من وضع اللبنات التسع في قبره صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين.

شرح قولي: (إذ غاب عنا جمال صورة طلعت) هذه الأبيات بيان صورة جسده الشريف.

قال في الأنوار المحمدية: ثم اصطفاه حبياً باري
منزه عن شريك في فجوه الحسن فيه غير

أما وجه الشريف صلى الله عليه وسلم فقد روى الشيخان عن البراء قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه ما رأيت أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه. رواه الترمذي. وسئل البراء أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف؟ فقال: لا، بل مثل القمر. رواه البخاري. وفي رواية مسلم من حديث جابر بن سمرة قال له رجل: أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف؟ فقال: لا، بل مثل الشمس والقمر، وكان مستديراً، وعن ابن

<219>

سمرة قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة أضحيان (أي مقمرة) وعليه حلة حمراء، فجعلت أنظر إليه وإلى القمر، فلهو في عيني أحسن من القمر.

وروى الترمذي وغيره عن علي رضي الله عنه أنه نعته صلى الله عليه وسلم فقال: لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم وكان في وجهه تدوير، والمطهم الكثير السمن المدور⁽⁷³⁾ الوجه، أي لم يكن شديد تدوير الوجه، بل في وجهه تدوير قليل، وقال أبو هريرة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسيل الخدين. (والأسيل هو ما فيه استطالة غير مرتفع الوجنة).

وأخرج البخاري عن كعب بن مالك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سُر استنار وجهه كأنه قطعة قمر، فكنا نعرف ذلك منه. وقالت عائشة رضي الله عنها: كان صلى الله عليه وسلم إذا سر تبرق أسارير وجهه كأنه قطعة قمر.

وفي حديث جبير بن مطعم عند الطبراني: التفت إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجه مثل شقة القمر. فهذا محمول على صفته. عند الالتفات عن أبي بكر الصديق، وكعب بن مالك كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه دارة قمر. وروى البيهقي عن أبي اسحاق الهمداني، عن امرأة من همدان قالت: حججت مع النبي صلى الله عليه وسلم فقلت لها: شبيهه. قالت: كالقمر ليلة البدر لم أر قبله ولا بعده مثله. وروى الدارمي وغيره عن أبي عبيدة قال: قلت لربيع بنت معوذ: صف لي رسول الله. قالت: لو رأيته قلت الشمس طالعة. وروى مسلم عن أبي طفيل أنه قيل له: صف لنا رسول الله. فقال: كان أبيض مليح الوجه وكان عليه الصلاة والسلام إذا سر فكأن وجهه المرأة، وكان الجدر تُرى في وجهه، يريد الجدر المقابلة لوجه الشريف. وفي حديث ابن أبي هالة: يتلأأ وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر. وأما بصره الشريف صلى الله

<220>

عليه وسلم فقد وصفه الله تعالى في كتابه العزيز، بقوله: ﴿مَا رَأَى الْبَصَرُ وَمَا طَعَى﴾.

وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى في الليل في الظلمة كما يرى في النهار في الضوء. وعن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال: ((هل ترون قبلي ها هنا؟ فوالله ما يخفي علي ركوعكم ولا سجودكم، إني لأراكم من وراء ظهري))، رواه البخاري ومسلم. وعند مسلم عن رواية أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال: ((يا أيها الناس إني إمامكم فلا تسبقوني بالركوع والسجود فإني أراكم من أمامي ومن خلفي)).

وعني مجاهد في قوله تعالى: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ (218) وَتَقْلَبُكَ فِي السَّاجِدِينَ، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى من خلفه من الصفوف كما يرى من بين يديه. وذكر القاضي عياض في الشفاء: أنه صلى الله عليه وسلم كان يرى في الثريا أحد عشر نجما، وعند السهيلي اثنا عشر. وفي حديث ابن أبي هالة: فإذا التفت التفت جميعا، فأفضى الطرف نظره إلى الأرض اطول من نظره إلى السماء، وجُلَّ نظره الملاحظة. وهي مفاعلة من اللحظ، وهو النظر بشق العين الذي يلي الصدغ.

وعن علي رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم العينين، أهدب الأشفار مشرب العينين بحمرة، رواه البيهقي. وعن جابر بن سمرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضليع الفم أشكل العينين، منهوس القدمين، رواه مسلم. (والشكلة: الحمرة تكون في بياض العين وهو محمود محبوب. وأما الشهلة: فإنها حمرة في سوادها) وعند الدارمي في حديث عن علي رضي الله عنه أنه نعت رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم قال: كان في وجهه تدوير، أبيض مشرب. أدعج العينين، أهدب الأشفار (وهي شعر العين).
وعنده أيضا عن علي - رضي

الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسود الحدقة: أهدب الأشفار. وعن علي رضي الله عنه قال: بعثني النبي صلى الله عليه وسلم الى اليمن. فرآني حبر من أحبار اليهود فقال لي: صف أبا القاسم. فقلت: ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير الحديث، وفيه قال علي: ثم سكت، وقال الحبر: وماذا؟ قلت: هذا ما يحضرني. قال الحبر: في عينيه حمرة، حسن اللحية، ثم قال علي: هذه والله صفته. قال الحبر: فإني أجد هذه الصفة في سيفر آبائي، وأنا أشهد أنه نبي، وأنه رسول الله الى الناس كافة.

وأما سمعه الشريف فقد قال صلى الله عليه وسلم: ((إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون، اطلت السماء وحق لها أن تئط، ليس فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجد لله تعالى)) . رواه الترمذي عن أبي ذر.

وروى أبو نعيم عن حكيم بن حزام بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه إذ قال لهم: تسمعون ما أسمع؟ قالوا: ما نسمع من شيء قال: إني لأسمع أطيظ السماء، ولا تلام أن تئط ما فيها موضع شبر إلا وفيه، ملك ساجد أو قائم، (والأطيظ الصوت).

وأما جبينه الكريم فقد كان صلى الله عليه وسلم واضح الجبين، مقرون الحاجبين، بهذا وصفه عليُّ فقال: مقرون الحاجبين صلت الجبين (أي واضحة) وعند البيهقي عن رجل من الصحابة قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا رجل حسن الجسم عظيم الجبهة دقيق الحاجبين. وقال ابن أبي هالة: أزج الحواجب، وفسر بالمقوس الطويل الوافر الشعر، ثم قال: سواغ من غير قرن، بينهما عرق يدره الغضب.

وعن مقاتل بن حبان قال: أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام: اسمع وأطع يا ابن الطاهرة البكر البتول: إني خلقتك من غير فحل: فجعلتك

آية للعالمين فايي فاعبد، وعليّ فتوكل، فسر لأهل سوران إني أنا الله الحي القيوم لا أزول، صدقوا النبي الأمي صاحب الجمل والمدرعة والعمامة والنعلين والهرادة، الجعد الرأس، الصلت الجبين، المقرون الحاجبين، الأهدب الأشفار، الأدعج العينين، الأنجل العينين، الأقني الأنف الواضح الجبين، الكث اللحية، عرقه في وجهه كاللؤلؤ، وريح المسك ينفج منه كان عنقه إبريق فضة. الحديث. (والأنجل الواسع شق العين، والقرن بالتحريك التقاء الحاجبين).

قال ابن الأثير: والصحيح في صفته صلى الله عليه وسلم أن حواجه سواغ من غير قرن كما وصفه صلى الله عليه وسلم به ابن أبي هالة والقني في الأنف طوله، ودقة أرنبته مع حدب قليل في وسطه. وقد وصفه ابن أبي هالة وغيره بأنه كان عظيم الهامة (أي الرأس)، وقال علي كرم الله وجهه: ضخم الرأس. وقال أنس: كان النبي صلى الله عليه وسلم ضخم الكراديس، (وهي رؤوس العظام) وفي رواية الترمذي: جليل المشاش والكند، وفسر برؤوس العظام كالركبتين والمرفقين، والمنكبين (أي عظيمهما). والكند مجتمع الكتفين. وكان صلى الله عليه وسلم دقيق العرنين أي أعلى الأنف كما وصفه به علي رضي الله عنه. ووصفه أيضا بأقني الأنف، ووصف بالسائل المرتفع الوسط. وقال ابن أبي هالة: أقنى الأنف له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله اشم، والأشم الطويل قصبة الأنف.

وأما فمه الشريف صلى الله عليه وسلم فعن جابر رضي الله عنه: أنه كان ضليع الفم. قال ابن أبي هالة: يفتح الكلام ويختمه باشداقة. يعني لسعة فمه والعرب تمدح به وتذم بصغر الفم.

ووصفه ابن أبي هالة فقال: أشنب مُفلج الأسنان والشنب رونق الأسنان وصفائها (ومفلج الأسنان أي متفرقها). وقال علي: مبلج

الثنايا. وفي رواية عنه براق الثنايا. وعن ابن عباس قال: كان رسول الله أفلج الثنيتين إذا تكلم رُئي كالنور يخرج من بين ثناياه. رواه الترمذي. وروى الطبراني وغيره: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن عباد الله شفتين، وألطفهم ختم فم.

عن أبي قرصاص قال: بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا، وأمي وخالتي. فلما رجعنا قالت لي أُمِّي وخالتي: يا بني ما رأينا مثل هذا الرجل احسن وجهاً، ولا أنقى ثوباً، ولا ألين كلاماً، ورأينا كالنور يخرج من فيه. وأما ريقه الشريف صلى الله عليه وسلم ففي الصحيح عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر: لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يده، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله. فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها، قال: أين علي بن أبي طالب؟ قالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه قال: فأرسلوا إليه، فأتى به، فبصق رسول الله في عينيه، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع. ومج رسول الله في بئر، ففاح منها رائحة المسك وبصق في بئر في دار أنس فلم يكن في المدينة بئر أعذب منها. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عاشوراء يدعو برضعائه، ورضعاء ابنته فاطمة، فيتفل في أفواههم، ويقول للأمهات: لا ترضعنهم إلى الليل، فكان ريقه صلى الله عليه وسلم يجزيهم، رواه البيهقي، ودخلت عليه عميرة بنت مسعود هي وأخواتها يبايعنه وهن خمس فوجدته يأكل قديداً، فمضغ لهن قديداً، فمضغنهما كل واحدة قطعة، فلقين الله وما وجد لأفواههن خلوف. رواه الطبراني. (والخلوف تغير رائحة الفم)، ومسح صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة بعد أن نفث فيها من ريقه على ظهر عتبة -وكان به شرى- فما كان يشم أطيب منه رائحة. وأعطى الحسن لسانه، وكان قد اشتد ظمؤه. فمصه حتى روي.

وأما فصاحة لسانه صلى الله عليه وسلم فكان أفصح خلق الله، وأعذبهم كلاماً حتى كأن كلامه يأخذ بالقلوب.

قالت عائشة رضي الله عنها: ما كان صلى الله عليه وسلم يسرد سردكم هذا، كان يحدث حديثاً لو عدّه العاد لأحصاه، وكان يعيد الكلمة ثلاثاً لفهم عنه، وكان يقول: أنا أفصح العرب، وإن أهل الجنة يتكلمون بلغة محمد صلى الله عليه وسلم. وقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله ما لك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا؟ قال: ((كانت لغة إسماعيل قد درست، فجاءني بها جبريل فحفظنيها)) رواه أبو نعيم. وعن علي رضي الله عنه قلنا: يا رسول الله نحن بني أب واحد ونشأنا معاً وإنك تكلم العرب بلسان ما نفهم أكثره. فقال: ((إن الله عز وجل أدبني فأحسن تأديبي، ونشأت في بني سعد بن بكر)) قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله لقد طفت في العرب، وسمعت فصحاءهم، فما سمعت أفصح منك. قال: ((أدبني ربي، ونشأت في بني سعد)) وأما ما يروى (أنا أفصح من نطق بالضاد)، فقال ابن كثير: لا أصل له، لكن معناه صحيح. وأما صوته الشريف صلى الله عليه وسلم فعن أنس رضي الله عنه قال: ما بعث الله نبياً قط إلا بعثه حسن الصوت⁽⁷⁴⁾، حتى بعث الله نبيكم صلى الله عليه وسلم فبعثه حسن الوجه، حسن الصوت.

وعن علي رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا تكلم رُئي كالنور يخرج من بين ثناياه، وقد كان صوته عليه الصلاة والسلام يبلغ حيث لا يبلغه صوت غيره. وعن البراء قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اسمع العواتك في خدورهن. قالت عائشة رضي الله عنها جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة، فقال للناس: اجلسوا، فسمعه عبد الله بن رواحة وهو في بني غنم، فجلس في مكانه، وقال عبد الرحمن بن معاذ التيمي: خطبنا رسول

<220>

الله صلى الله عليه وسلم بمنى ففتح الله أسماعنا حتى ان كنا لنسمع ما يقول ونحن في منازلنا.

وعن أم هانئ رضي الله عنها قالت: كنا نسمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم في جوف الليل عند الكعبة وأنا على عريش. وأما ضحكه فعن البخاري عن عائشة رضي الله عنها: ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعاً قط ضاحكاً حتى أرى لهواته انما كان يتسم. (واللهوات جمع لهات وهي اللحمية التي بأعلى الحنجرة من أقصى الفم). عن أبي هريرة رضي الله عنه في قصة المواقع أهله في رمضان، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه. رواه البخاري (والنواجد الأضراس). وقال ابن أبي هالة: جلّ ضحكه صلى الله عليه وسلم التبسم، ويفتر عن مثل حب الغمام. قال الحافظ ابن حجر والذي يظهر في مجموع الأحاديث: أنه صلى الله عليه وسلم كان في معظم أحواله لا يزيد على التبسم، وربما زاد على ذلك فضحك. قال ابن بطال: والذي ينبغي أن يقتدى به من أفعاله ما واطب عليه من ذلك. وعن أبي هريرة رضي الله عنه: وإذا ضحك صلى الله عليه وسلم يتلأأ في الجدر (أي يشرق نوره عليه إشراقاً كإشراق الشمس عليها). وكان صلى الله عليه وسلم إذا كان حديث العهد بجبريل لم يتبسم ضاحكاً حتى يرتفع عنه، بل إذا كان خطب أو ذكر الساعة اشتد غضبه، وعلا صوته كأنه منذر جيش يقول: صبحكم ومساكم. رواه مسلم. وكان بكأؤه عليه الصلاة والسلام من جنس ضحكه لم يكن بشهيق ورفع صوت. كما لم يكن ضحكه بقهقهة، ولكن تدمع عيناه حتى تهملان، ويسمع ل صدره أزيز يبكي لرحمة ميت، وجزناً على أمه وشفقة ومن خشية الله عند سماع القرآن، وأحياناً في صلاة الليل، وقد حفظه الله تعالى من التأؤب وما تئأب نبي قط.

وأما يده الشريفة صلى الله عليه وسلم فقد وصفها غير واحد بأنه⁽⁷⁵⁾ ششن الكفين -أي غليظ أصابعهما- وبأنه عَبلُ الذراعين. رحب الكفين. وقد مسح صلى الله عليه وسلم خد جابر ابن سمرة. قال: فوجدت ليديه برداً وريحاً كأنما أخرجها من جونة عطار، رواه مسلم. وقال وائل بن حجر: لقد كنت أصافح رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يمس جلدي جلده، فأتعرفه⁽⁷⁶⁾ بعد في يدي وإنه لأطيب رائحة من المسك. وقال يزيد بن الأسود: ناولني رسول الله يده فإذا هي أبرد من الثلج، وأطيب ريحة من المسك. وفي البخاري عن أنس رضي الله عنه ما مسكت حريراً ولا ديباجاً ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال ابن بطال: كانت كفه ممثلةً لحماً غير أنها مع ضخامتها كانت لينة. وعن معاذ قال: ردفتي رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في سفر فما مسست شيئاً قط ألين من جلده. وأصيب عائذ بن عمرو في وجهه يوم حنين فسال الدم على وجهه وصدره، فسلت النبي صلى الله عليه وسلم الدم بيده عن وجهه وصدره، ثم دعا له فكان أثر يده عليه الصلاة والسلام بمنتهى ما مسح من صدره غرة سائلة كغرة الفرس رواه الحاكم وغيره.

ومسح صلى الله عليه وسلم رأس مدلوك أبي سفيان فكان ما مرت عليه يده أسود، وشاب ما سوى ذلك! رواه البخاري في تاريخه. وعن أبي زيد الأنصاري قال: مسح عليه الصلاة والسلام بيده على رأسي ولحيتي ثم قال: اللهم جمله. قال الراوي عنه: فبلغ بضعا ومائة سنة وما في لحيته بياض، ولقد كان منبسط الوجه، ولم ينقبض وجهه حتى مات. رواه البيهقي وغيره. ومسح عليه الصلاة والسلام رأس حنظلة بن خذيم بيده وقال له: بورك فيك. فكان يؤتى بالشاة الوارم ضرعها والبعير، والإنسان به الورم فيتفل في يده، ويمسح بطلعته، ثم يقول: بسم الله على أثر يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمسحه، ثم يمسح موضع الورم، فيذهب

<227>

⁽⁷⁵⁾ في المخطوط بأنه كان
⁽⁷⁶⁾ في المخطوط ثم أتعرف

الورم. رواه أحمد وغيره. وقد جاء في بعض الأحاديث عن جماعة من الصحابة بياض إبطيه.

فعن أنس قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع يديه في الدعاء حتى رأيت بياض إبطيه. قال الطبري: ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم أن الإبط من جميع الناس متغير اللون غيره. وعن رجل من بني حَرَشِيش قال ضَمَّنِي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال عليّ من عرق إبطه مثل ريح المسك. رواه البزار. ووصفه علي كرم الله وجهه فقال: ذو مسربة، وفُسر بخيط الشعر بين الصدر والسرة. وعند البيهقي: له شعرات من لبتة إلى سرتة تجري كالقضيب ليس على صدره ولا على بطنه غيرها، ووصفت بطنه أم هانئ فقالت: ما رأيت بطن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ذكرت القراطيس. المثني بعضها علي بعض. وقال أبو هريرة: كان صلى الله عليه وسلم أبيض، كأنما صيغ من فضة، رجل الشعر، مفاض البطن، عظيم مشاش المنكبين، ومفاض البطن واسعه. والمشاش رؤوس العظام، وأخرج الإمام أحمد عن محرّش الكعبي قال: اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم من الجعرانة ليلاً، فنظرت إلى ظهره كأنه سبيكة فضة. وروى البخاري كان صلى الله عليه وسلم بعيد ما بين المنكبين، وعن أبي هريرة: رحب الصدر.

وأما قلبه الشريف صلى الله عليه وسلم فقد صح أن جبريل شقه، واستخرج منه علقه، فقال له: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه فأعاده في مكانه. قال أنس: فلقد كنت أرى أثر المخيط في صدره. رواه مسلم. وهذا الشق روي أنه وقع له عليه الصلاة والسلام مرات.

وأما قدمه الشريف صلى الله عليه وسلم فقد وصفه غير واحد بأنه شثن القدمين (أي غليظ أصابعهما) وعن ميمونة بنت كروم قالت: رأيت

رسول الله صلى الله عليه وسلم فما نسيت طول أصبع قدميه السبابة على سائر أصابعه، رواه الإمام أحمد وغيره، وقال ابن أبي هالة: خمسان الأخمسين، مسيح القدمين. (والأخمص من القدم الموضع الذي لا يلصق بالأرض منها عند الوطء، والخمسان البالغ منه. ومسيح القدمين أي ملساوتان لينتان ليس فيهما تكسر ولا شقاق). وعن عبيد الله بن بريدة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن البشر قدماً. وأما طوله الشريف صلى الله عليه وسلم فقد قال علي رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا قصير ولا طويل، وهو إلى الطول أقرب. رواه البيهقي، ووصفه غيره بأنه ليس بالطويل البائن ولا بالقصير، والمراد بالطويل البائن المفرط في الطول مع اضطراب القامة. وقال ابن أبي هالة: أطول من المربع، واقصر من المُشَدَّب. (والمشذب البائن الطول في نحافة) وهو مثل قوله في الحديث الآخر: لم يكن بالطويل الممغط (أي المتناهي الطول). وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطويل البائن، ولا بالقصير المتردد، وكان ينسب إلى الربعة إذا مشى وحده، ولم يكن على حال يماشيه أحد من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله صلى الله عليه وسلم ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما، فإذا فارقه نسب صلى الله عليه وسلم إلى الربعة. رواه البيهقي وغيره، وزاد ابن سبيع في الخصائص: أنه كان إذا جلس يكون كتفه أعلى من جميع الجالسين صلى الله عليه وسلم، ووصفه ابن أبي هالة: بأنه بادن متماسك، أي معتدل الخلق كأن أعضاءه يمسك بعضها بعضاً.

وأما شعره الشريف صلى الله عليه وسلم فعن قتادة قال: سألت أنساً عن شعره صلى الله عليه وسلم فقال: شعر بين شعرين لا رَجْلٌ ولا سبطٌ، لا جَعْدٌ ولا قَطِيطٌ، كان بين أذنيه وعاتقه. وفي رواية: كان

رجلاً ليس بالسبط ولا الجعد بين أذنيه وعاتقه. وفي أخرى الى أنصاف أذنيه رواه البخاري ومسلم وغيرهما. وعن عائشة رضي الله عنها كان له صلى الله عليه وسلم شعر فوق الجمة ودون الوفرة. رواه الترمذي. وفي حديث أنس كان الى أذنيه. وفي حديث البراء يضرب الى منكبيه وفي حديث أبي رمثة يبلغ الى كتفيه، وفي رواية: ما رأيت من ذي لمة أحسن منه. (والجمة هي الشعر الذي نزل الى المنكبين، والوفرة: ما نزل الى شحمة الأذنين، واللمة: التي ألمت بالمنكبين).

قال القاضي عياض: والجمع بين هذه الروايات: أن ما يلي الأذن هو الذي يبلغ شحمة أذنيه، وما خلفه هو الذي يضرب منكبيه، قال: وقيل بل ذلك لاختلاف الأوقات، فإذا غفل عن تقصيرها بلغت المنكب، وإذا قصرها كانت الى أنصاف الأذنين، فكانت تطول وتقصر بحسب ذلك.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسدل شعره، وكان المشركون يفرقون رؤوسهم، وكان أهل الكتاب يسدلون رؤوسهم، وكان يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء، ثم فرق رأسه رواه الترمذي وفي صحيح مسلم نحوه، (وسدل الشعر: إرساله، والمراد هنا إرساله إلى الجبين واتخاذة كالقصة). (وأما الفرق: فهو فرق الشعر بعضه من بعض). قال العلماء: والفرق سنة، لأنه هو الذي رجع إليه صلى الله عليه وسلم والصحيح جواز الفرق والسدل. لكن الفرق أفضل، والقصة شعر الناصية، يقص حول الجبهة. وعن أم هانئ رضي الله عنها قالت: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وله أربع غدائر. رواه الترمذي. (والغدائر هي الذوائب، واحدها غديرة) وفي مسلم عن أنس: كان في لحيته صلى الله عليه وسلم شعرات بيض. وفي رواية عنده لم ير من الشيب إلا قليلا، وفي أخرى له لو شئت أن أعد شمطات كن في رأسه، ولم يخضب. وعنده أيضا لم

يخضب عليه الصلاة والسلام إنما كان البياض في عنفقه، وفي الصدغين، وفي الرأس نبذا (أي شعرات متفرقة). وعن أنس ما كان في رأسه ولحيته إلا سبع عشرة، أو ثماني عشرة شعرة بيضاء. وعن أبي عمر نحو عشرين، وفي الصحيحين: أن ابن عمر رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصيغ بالصفرة. قال النووي المختار أنه صيغ في وقت، وتركه في معظم الأوقات، فأخبر كل بما رأى وهو صادق. وعن أنس كان صلى الله عليه وسلم يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته. رواه البغوي.

وعن أنس قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه، وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل رواه مسلم. ولم يرو أنه عليه الصلاة والسلام حلق رأسه الشريف في غير نسك حج أو عمرة، فتكون تبقية الشعر في الرأس سنة، ومن كرهه مع علمه يجب تأديبه، ومن لم يستطع التبقية يباح له إزالته. وعن محمد ابن سيرين قال: قلت لعبيدة: عندنا من شعر النبي صلى الله عليه وسلم أصبناه من قبل أنس، لأن تكون عندي شعرة منه أحب إلي من الدنيا وما فيها، وكان صلى الله عليه وسلم يأخذ من لحيته من عرضها وطولها رواه الترمذي. وروي عن ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم يقص شاربه.

وأما العانة ففي حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يتنور، وكان إذا كثر شعره حلقه. وفي حديث أم سلمة: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا طلى بدأ بعانته وطلاها بالنورة وسائر جسده أهله، وحديث دخوله الحمام موضوع. وأخرج البيهقي من مرسل⁽⁷⁷⁾ أبي جعفر الباقر، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحب أن يأخذ من أظفاره وشاربه، يوم الجمعة.

وعن عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفارق سواكه ومشطه، وكان ينظر في المرآه إذا سرح لحيته،

<231>

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كانت له مكحلة يكتحل بها كل ليلة قبل أن ينام ثلاثة في هذه، وثلاثة في هذه. رواه الترمذي وغيره، وزاد أحمد يكتحل بالأثمد، (والأثمد حجر الكحل، اسود يضرب إلى الحمرة⁽⁷⁸⁾). وعن محمد بن علي قال: سألت عائشة: كان النبي صلى الله عليه وسلم يتطيب؟ قالت: نعم بذكارة الطيب المسك والعنبر (والذكارة جمع ذكر ما يصلح للرجال وهو مالا لون له).

وأما مشيه الشريف صلى وفي سبيل الله ما لقيت رواه أبو داود. ولم يكن له ظل في شمس ولا قمر. رواه الترمذي الحكيم. قال ابن سيع: كان صلى الله عليه وسلم نوراً، فكان إذا مشى بالشمس أو القمر لا يظهر له ظل.
<232>

⁽⁷⁸⁾ في المخطوط حمرة
⁽⁷⁹⁾ ططط مشيه

وأما لونه الشريف صلى الله عليه وسلم فقد وصفه عليه الصلاة والسلام جمهور أصحابه بالبياض. فمن عباراتهم: كان أبيض مليحاً، كان أبيض مليح الوجه ما أنسى شدة بياض وجهه مع شدة سواد شعره. روى هذا الطبراني عن أبي الطفيل. وفي شعر أبي طالب:

وأبيض يستسقى الغمام ثمال اليتامى عصمة

وقال علي كرم الله وجهه أبيض مشرب بحمرة. وفي صحيح مسلم: أظهر اللون. وفي رواية البخاري عن حديث أنس: ليس بأبيض أمهق. وعن أنس: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض بياضه، إلى السمرة. قال البيهقي يقال: إن البياض المشرب⁽⁸⁰⁾ بحمرة، وإلى السمرة ما ضحى للشمس والريح كالوجه والعنق، وأما ما تحت الثياب فهو الأزهر الأبيض.

وأما طيب ريحه وعرقه صلى الله عليه وسلم فقد كانت الرائحة الطيبة صفته وإن لم يمس طيباً. قال أنس: ما شممت ريحاً قط ولا مسكاً ولا عنبراً أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم. رواه الإمام أحمد. وعن أم عاصم، امرأة عتبة بن فرقد السلمي، قالت: كنا عند عتبة اربع نسوة، فما منا امرأة إلا وهي تجتهد في الطيب، لتكون أطيب من صاحبها، ولا يمس عتبة الطيب إلا أن يمس دهنًا يمسح به لحيته، ولهو أطيب ريحاً منا. وكان إذا خرج إلى الناس قالوا: ما شممنا ريحاً أطيب من ريح عتبة، فقلت له يوماً: إنا نجتهد في الطيب، ولأنت أطيب ريحاً منا فمم ذلك؟ فقال: أخذني الشرى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته فشكوت إليه ذلك. فأمرني أن أتجرد فتجردت، وقعدت بين يديه. وألقيت ثوبي على فرجي، فنفت في يده، ثم مسح ظهري وبطني بيده فعبق بي هذا الطيب من يومئذ. رواه الطبراني.

وروي أيضاً قصة الذي استعان به صلى الله عليه وسلم على تجهيز ابنته فلم يكن عنده شيء، فاستدعى بقارورة، فسلت له فيها من عرقه، وقال

<233>

⁽⁸⁰⁾ في المخطوط المٌشرب منه

له: مرها فلتطيب به، فكانت إذا تطيبت به شم أهل المدينة ذلك الطيب. فسُموا بيت المطيبين.

وعن أنس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مر في طريق من طرق المدينة وجدوا منه رائحة الطيب، وقالوا: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الطريق، وعن جابر بن عبد الله نحوه. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهاً، وأنورهم لوناً، لم يصفه واصف قط إلا شبه وجهه بالقمر ليلة البدر، وكان عرقه في وجهه مثل اللؤلؤ، وأطيب من المسك الأذفر. رواه أبو نعيم. وعن أنس قال: دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قيلولَة عندنا، فعرق، وجاءت أمي (وكانت محرماً له من رضاع) جاءت بقارورة، فجعلت تسلت العرق فيها، فاستيقظ صلى الله عليه وسلم فقال: يا أم سليم ما هذا الذي تصنعين؟ قالت: عرقك نجعله في طيبنا وهو أطيب الطيب. رواه مسلم.

وعن جابر بن سمرة: أنه صلى الله عليه وسلم مسح خده، قال: فوجدت ليده برداً وريحاً كأنما أخرجها من جونة عطار. قال غيره: مسها بطيب أم لم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها، ويضع يده على رأس الصبي، فيعرف من بين الصبيان بريحها (أي بريح يد رسول الله صلى الله عليه وسلم التي مس بها رأسه).

لباسه صلى الله عليه وسلم

كان صلى الله عليه وسلم يتجوز في اللباس يعني يتوسع، فلا يضيق بالاختصار على صنف بعينه، ولا يطلب النفيس الغالي، بل يستعمل ما تيسر. وكانت سيرته صلى الله عليه وسلم في ملبسه أتم وأنفع للبدن، وأخف عليه، فإنه لم تكن عمامته بالكبيرة التي تؤذي⁽⁸¹⁾ حملها، ولا بالصغيرة التي تقصر عن وقاية الرأس من الحر والبرد. وكذلك الأردية

<234>

⁽⁸¹⁾ في المخطوط يؤذي

والأزر أخف على البدن من غيرها، ولم يكن صلى الله عليه وسلم يطول أكمامه ويوسعها، بل كان كمه إلى الرسغ (وهو منتهي الكف عند المفصل) وكان ذيل قميصه وردائه إلى أنصاف الساقين لم يتجاوز الكعبيين.

أخرج الترمذي عن الأشعث ابن السليم قال: سمعت عمتي تحدث عن عمها قال: بينا⁽⁸²⁾ أنا أمشي بالمدينة إذا انسان خلفي يقول: ارفع ازارك فإنه أتقى وأنقى. فإذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله انما هي بردة. قال أما لك في أسوة؟ فنظرت فإذا إزاره الى نصف ساقيه. وكان له عليه الصلاة والسلام عمامة تسمى السحاب يلبس⁽⁸³⁾ تحتها القلانس اللاطئة، (والقلانس جمع قلنسوة، وهي غشاء مبطن يستر الرأس).

وروى الترمذي عن جابر رضي الله عنه قال: دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء، وفي رواية أنس عند البخاري: دخل صلى الله عليه وسلم عام الفتح وعلى رأسه مغفر⁽⁸⁴⁾ (وهو زرد ينسج من الدرع على قدر الرأس) ويجمع بينهما بأن العمامة كانت فوق المغفر. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتنق يدي كور عمامته ويغرسها من ورائه، ويرخي لها ذؤابة بين كتفيه. رواه ابن حبان في كتاب أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم. وروى ابن أبي شيبه عن علي رضي الله عنه قال: عممني رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمامة سدل طرفها على منكبي، وقال: إن الله أمدني يوم بدر ويوم حنين بملائكة معممين هذه العمة، وقال: إن العمامة حاجز بين المسلمين والمشركين. وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له كمة بيضاء. رواه الدمياطي، (والكمة القلنسوة). وعن أبي كبشة الأنماري قال: كانت كمام، وفي رواية اكمة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بطحا. رواه الترمذي. وهي جمع كمة القلنسوة، يعني أنها كانت مسطحة غير منتصبة، وكان أحب الثياب إليه صلى الله عليه

<235>

⁽⁸²⁾ في المخطوط بينما

⁽⁸³⁾ في المخطوط ويلبس

⁽⁸⁴⁾ في المخطوط المغفر

وسلم القميص رواه الترمذي عن أم سلمة رضي الله عنها، وعن معاوية ابن قرة عن أبيه قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من مزينة لنبايعه، وإن قميصه لطلق الأزرار، أو قال: زر قميصه مطلق. قال: فأدخلت يدي في جيب قميصه، فمسست الخاتم. رواه الترمذي.

وعن أنس قال: كان أحب الثياب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسه الحبرة. رواه الترمذي. (والحبرة ضرب من البرود فيه حمرة). وعن أبي رزمة قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه بردان أخضران. رواه الترمذي. وعن أبي يعلى عن أبيه قال: رأيته صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت مضطجعاً برد أخضر (رواه أبو داود) وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم لبس جبة رومية ضيقة الكمين رواه الترمذي. وعن أبي ذر رضي الله عنه أتيت النبي وعليه ثوب أبيض رواه البخاري. وعن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يلبس الصوف، وكان له صلى الله عليه وسلم كساء ملبد يلبسه ويقول: إنما أنا عبد ألبس كما يلبس العبد. رواه الشيخان. وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: رأيت النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم في ليلة أضحيان، فجعلت أنظر إليه وإلى القمر وعليه حلة حمراء، فإذا هو أحسن عندي من القمر، رواه الدارمي والترمذي.

وعن أبي جحيفة قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وعليه حلة حمراء كأنني⁽⁸⁵⁾ أنظر إلى بريق ساقيه. وعن البراء بن عازب قال: ما رأيت أحداً أحسن في حلة حمراء من رسول الله صلى الله عليه وسلم رواهما الترمذي. وفي رواية البخاري ومسلم: رأيته صلى الله عليه وسلم في حلة حمراء لم أر شيئاً قط أحسن منه. وفي رواية لأبي داود: ما رأيت من ذي لمة في حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم

<236>

(واللثة شعر الرأس دون الجملة). وفي رواية النسائي: ما رأيت رجلاً أحسن في حلة حمراء من رسول الله صلى الله عليه وسلم (والحلة أزار ورداء ولا تكون حلة إلا من ثوبين أو ثوب له بطانة).

وأما صفة إزاره صلى الله عليه وسلم فعن أبي بردة ابن أبي موسى الأشعري قال: أخرجت إلينا عائشة كساء وإزاراً غليظاً فقالت: قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين. رواه البخاري. وفي رواية كساء ملبداً. قال ابن الأثير: أي مرقعاً، وقيل الملبد الذي ثخن وسطه وشفق حتى صار يشبه اللبد. عن عائشة أيضاً قالت: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط مرحل بشعر⁽⁸⁶⁾ أسود رواه مسلم. (والمرط كساء من صوف أو خز يؤتزر به) قال النووي: والصواب الذي رواه الجمهور وضبطه المتقنون بالحاء المهملة. أي عليه صور رجال الإبل. ولا بأس بهذه الصور وإنما يحرم تصوير الحيوان. وعن عروة أن طول رداء النبي أربعة أذرع، وعرضه ذراعان وشبر. وعنه أيضاً: أن ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يخرج فيه رداء أخضر في طول أربعة أذرع، وعرضه ذراعان وشبر.

وعن محمد بن هلال قال: رأيت على هشام ابن عبد الملك برد النبي من حبرة له حاشيتان. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه أزار يتقعقع. وعن يزيد ابن أبي حبيب أنه صلى الله عليه وسلم كان يرخي الإزار بين يديه، ويرفعه من ورائه. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتزر تحت سترته وتبدو سترته، ورأيت عمر يأتزر فوق سترته. رواها كلها الدمياطي.

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها: أنها أخرجت جبة طيالة كسروانية لها لبنة ديباج. وفرجها مكفوفان بالديباج، وقالت: هذه جبة

<237>

⁽⁸⁶⁾ في المخطوط من شعر

رسول الله كانت عند عائشة، فلما قبضت قبضتها، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلبسها ونحن نغسلها للمرضى ونستشفى بها. رواه مسلم. وقولي جبة طيالة بإضافة جبة الى طيالة وكسروانية نسبة الى كسرى، ولبنة رفعة في جيب القميص، ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدر منه إلا طيب، كان آية ذلك في بدنه، الشريف أنه لا يتسخ له ثوب، وقيل: ولم يقمل ثوبه، ونقل الفخر الرازي: أن الذباب لا يقع على ثيابه صلى الله عليه وسلم، وأنه لا يمتص دمه البعوض، وعن أنس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان يكثر القناع. وفي رواية يكثر التقنع. قال العراقي: التقنع تغطية الرأس بطرف العمامة أو برداء أو نحو ذلك.

خاتمه صلى الله عليه وسلم

ففي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتماً من ورق، فكان في يده، ثم كان في يد أبي بكر، ثم كان في يد عمر، ثم كان في يد عثمان رضي الله عنهم حتى وقع في بئر أريس. وفي الصحيحين أيضاً عن أنس رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم لبس خاتم فضة فيه فص حبش، وكان يجعل فسه مما يلي كفه، وعن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى كسرى، وقيصر، والنجاشي ف قيل له: إنهم لا يقبلون كتاباً إلا بختم، فصاغ خاتماً ونقش عليه محمد رسول الله، وإنما لبسه أبو بكر لأجل ولايته، فإنه كان يحتاج إليه كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يحتاج إليه، وكذلك عمر، وعثمان رضي الله عنهم.

وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتماً من ذهب، فجعله في يمينه وجعل فسه مما يلي باطن كفه، فاتخذ الناس خواتم الذهب. قال: فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر؛ فألقاه، ونهي عن التختم بالذهب.

وأما فص خاتمه عليه الصلاة والسلام فعن أنس: أن النبي صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتماً من فضة فضه منه. أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما، وفي صحيح مسلم: أن خاتمه صلى الله عليه وسلم كان فضه حبشياً، أي من جزع أو عقيق ومعدنهما بالحبشة واليمن.

وأما نقش خاتمه عليه الصلاة والسلام ففي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع خاتماً من ورقٍ نقش فيه محمد رسول الله، وقال للناس: إني اتخذت خاتماً من فضة ونقشت فيه: محمد رسول الله فلا ينقش أحد على نقشه. وفي رواية الترمذي والبخاري: كان نقش الخاتم ثلاثة أسطر، محمد سطر، ورسول سطر، والله سطر. وفي صحيح مسلم عن أنس قال: كان خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه وأشار إلى الخنصر من يده اليسرى. وعن حماد بن أبي سلمة قال: رأيت ابن أبي رافع يتختم في اليمين، وقال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يتختم في يمينه رواه الإمام أحمد وغيره.

وكان عليه الصلاة والسلام يتختم وربما خرج وفي خاتمه خيط مربوط ستذكر⁽⁸⁷⁾ به الشيء رواه ابن عدي وغيره.

وأما السراويل: فقد جزم بعض العلماء بأنه صلى الله عليه وسلم لم يلبسها، لكن قد ورد في حديث عند أبي يعلى الموصلي بسند ضعيف عن أبي هريرة قال: دخلت السوق يوماً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس إلى البزازين، فاشترى سراويل بأربعة دراهم، وكان لأهل السوق وزان يزن، فقال له صلى الله عليه وسلم: اتزن وأرجح. فقال الوزان: إن هذه الكلمة ما سمعتها من أحد. قال أبو هريرة: فقلت له كفى بك من الوهن والجفاء في الدين أن لا تعرف نبيك. فطرح الميزان، ووثب إلى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يقبلها. ف جذب يده صلى الله عليه وسلم منه وقال: يا هذا إنما يفعل هذا الأعاجم وملوكها،

<239>

ولست بملك إنما أنا رجل منكم- فَوَزِن فَأَرْجَح، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السراويل. قال أبو هريرة: فذهبت لأحمله عنه. فقال: صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله، إلا أن يكون ضعيفاً يعجز عنه فيعينه أخوه المسلم. قال: يا رسول الله (88) فإنك لتلبس السراويل؟ فقال: في السفر والحضر، وبالليل والنهار. فإني أمرت بالستر. فلم أجد شيئاً أستر منه. وقد صح شراء الرسول للسراويل.

وأما الخف: فروى الترمذي عن بريدة أن النجاشي أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم خفين أسودين ساذجين فلبسهما ثم توضأ فمسح عليهما. وعن مغيرة بن شعبة قال: أهدى دحية للنبي صلى الله عليه وسلم خفين فلبسهما.

وأما نعله فعن أنس: أن نعل النبي صلى الله عليه وسلم كان لهما قبالان (والقبالان تشية قبال، وهو زمام النعل، وهو السير الذي يكون بين الأصبعين) وعن عبد بن جريح أنه قال لابن عمر: رأيتك تلبس النعال السبتية، قال: إني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يلبس النعال التي ليس فيها شعر، ويتوضأ فيها، فأنا أحب أن ألبسها. وعن عمرو ابن حريث قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في نعلين مخصوفتين.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التيامن ما استطاع في ترجله وتنعله وطيوره. رواه الترمذي. وأفردَ تمثال نعله صلى الله عليه وسلم بالتأليف غير واحد.

وبعد ما ذكر من فضلها وجرب من نفعها وبركتها ما ذكره أبو جعفر أحمد بن عبد المجيد، وكان شيخاً صالحاً، قال: حذوت هذا المثل لبعض الطلبة، فجاءني يوماً فقال لي: رأيت البارحة من فضيلة هذا النعل عجباً: أصاب زوجتي وجع شديد كاد يهلكها، فجعلت النعل على موضع الوجع وقلت: اللهم أرني بركة صاحب هذا النعل، فشفأها الله للحين.

<240>

وممن أفرد التمثال الشريف بالتأليف أبو إسحاق السلمي
الأندلسي المشهور بابن الحاج قال: قال أبو القاسم ابن محمد:
ومما جرب من بركته أنه من أمسكه عنده متبركاً به كان له
أماناً من بغي البغاة، وغلبة العداة، وحرزا من كل شيطان
مارد، وعين كل حاسد، وأن أمسكته المرأة الحامل بيمينها وقد
اشتد عليها الطلق تيسر أمرها بحول الله وقوته. ولأبي بكر
القرطبي رحمه الله.

ونعل خضعنا هيبة لبهائها	وانا متى نخضع لها أبدا نعل
نضعها على أعلى المفارق	حقيقتها تاج وصورتها نعل
بأخص خير الخلق حازت	على التاج حتى باهت
طريق الهدى عنها استنارت	وإن بحار الجود من فيضها
سلونا ولكن عن سواها وإنما	نهيم بمعناها الغريب وما
فما شاقنا مذكرا رسم	حميم ولا مال كريم ولا
شفاء لذي سقم، رجاء	أمان لذي خوف كذا يحسب
وأما فراشه صلى الله عليه وسلم فقد كان عليه الصلاة	
والسلام أخذ من ذلك بما تدعو ضرورته إليه. فعن عائشة رضي	
الله عنها: إنما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم	
الذي ينام عليه أدما حشوه ليف. رواه الشيخان وروى البيهقي	
من حديثها قالت: دخلت عليّ	

امرأة من الأنصار فرات فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم قطيفة مثنية فبعثت إليّ بفراش حشوه الصوف. فدخل عليّ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما هذا يا عائشة؟ قلت: يا رسول الله فلانة الأنصارية دخلت فرأت فراشك، فبعثت إليّ. فقال: ((رُديه يا عائشة فوالله لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة)).

وروى الطبراني عن عبد الله بن مسعود قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في غرفة كأنها بيت حمام، وهو نائم على حصير قد أثر بجنبه، فبكيت. فقال: ما يبكيك يا عبد الله؟ قلت: يا رسول الله كسرى وقيصر يطأون على الخز والديباج والحريز، وأنت نائم على هذا الحصير قد أثر في جنبك. فقال: ((لا تبك يا عبد الله. فإن لهم الدنيا ولنا الآخرة))). وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على حصير قال: فجلست فإذا عليه أزاره وليس عليه غيره، وإذا الحصير قد أثر في جنبه، وإذا بقبضة من الشعير نحو الصاع، وإذا إهاب معلق فابتدرت عيناى. فقال: ما يبكيك يا ابن الخطاب؟ فقلت: يا نبي الله ومالي لا أبكي وهذا الحصير قد أثر في جنبك، وهذه خزائنك لا أرى فيها إلا ما أرى، وذاك كسرى، وقيصر في الثمار، والأنهار، وأنت نبي الله وصفوته، وهذه خزائنه! قال: يا ابن الخطاب أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا؟ رواه ابن ماجه بإسناد صحيح، والحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم ولفظه قال عمر: رضي الله عنه استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه في مشربة، وإنه لمضطجع على خصفة، وإن بعضه لعلى تراب، وتحت رأسه وسادة محشية ليفاً، وإن فوق رأسه لأهاب عطين، وفي ناحية المشربة قرظ، فسلمت عليه، وجلست وقلت: أنت نبي الله وصفوته، وكسرى، وقيصر على سرير⁽⁸⁹⁾ الذهب وفرش الديباج والحريز؟ فقال: أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الدنيا، وهي وشيكة الانقطاع، وإنا قوم أخرت لنا طيباتنا في آخرتنا.

<242>

(والمشربة الغرفة يصعد إليها بدرجة، والخصفة وعاء من خوص للتمر، والإهاب الجلد، والعطين المنتن. والقرظ ورق السلم الذي يدبغ به) ورواية الإهاب والعطين بدون الف مع كونهما منصوبين على لغة ربيعة، إنتهى.

وأما نومه فقد كان عليه الصلاة والسلام ينام أول الليل ويستيقظ في أول النصف الثاني، فيقوم فيستاك، ولم يكن يأخذ من النوم فوق القدر المحتاج، ولا يمنع نفسه إليه منه، وكان ينام على جنبه الأيمن. ذاكراً لله تعالى حتى تغلبه عيناه غير ممتلئ بطنه من الطعام والشراب.

معجزاته عليه الصلاة والسلام

إعلم أن المعجزة أمر خارق للعادة يخلقه الله تعالى لرسوله عند التحدي، ويقصد به إثبات صدق دعواه للرسالة، وأما ما عدا ذلك من الخوارق الظاهرة المخلوقة له بدون التحدي، فإن كان بعد الرسالة فكرامة وليست تسمى معجزة، وإن كان قبلها فيسمى إرهاباً (أي تأسيساً وبناءً لظهور الرسل وإرسال الباري تعالى لهم إلى الأمة). وقد تطلق المعجزة على ما ظهر في غير مقام التحدي ونحن نمشي على ذلك. وعلى كل حال فالخوارق الظاهرة على أيدي الرسل ليس للاكتساب فيها مجال، وإنما هي موهبة لهم وإعلاء درجاتهم وإثبات رسالتهم، ومعجزات الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرة من أهمها القرآن الكريم، وقد ذكرنا نبذة من بيان كونه معجزة.

وأما غيره منها فكثير، ذكر أصحاب السير ما أمكنهم ووفقهم الله تعالى لبيان كنبع الماء من بين أصابعه، وتكثير الطعام القليل وانشقاق القمر، ونطق الجماد فممه ما وقع التحدي به، ومنه ما وقع دالا على صدقه من غير سبق تحدٍ، ومجموع ذلك يفيد القطع بأنه ظهر على يده صلى الله عليه وسلم معجزات كثيرة.

أما معجزة انشقاق القمر فقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿اَفْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾، والمراد وقوع انشقاقه، ويؤيده قوله تعالى بعد ذلك

وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ، واعلم أن القمر لم ينشق لأحدٍ غير نبينا صلى الله عليه وسلم وهو من أمهات معجزاته عليه الصلاة والسلام وقد أجمع المفسرون وأهل السنة على وقوعه لأجله صلى الله عليه وسلم فإن كفار قريش لما كذبوه، ولم يصدقوه طلبوا منه آية تدل على صدقه في دعواه فأعطاه الله تعالى هذه الآية العظيمة التي لا قدرة لبشر على إيجادها دالة على صدقه في دعواه الوجدانية لله تعالى.

قال الخطابي: انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعادلها شيء من آيات الأنبياء، وذلك أنه ظهر في ملكوت السماوات خارجة من جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع، فليس مما يطمح في الوصول إليه بحيلة، فلذلك صار البرهان به أظهر. فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كفار قريش: هذا سحر ابن أبي كبشة. قال: فقالوا: انظروا ما يأتيكم به. السفار فإن محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم. قال: فجاء السفار فأخبروهم بذلك. رواه أبو داود وغيره.

وعن ابن عباس لما اجتمع المشركون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم الوليد بن المغيرة، وأبو جهل ابن هشام، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، والنضر بن الحارث ونظراؤهم، فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: إن كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين، فسأل ربه، فانشق. رواه أبو نعيم، ورواه البخاري مختصراً من حديث ابن عباس بلفظ: إن القمر انشق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه: أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر شقتين، حتى رأوا حراء بينهما. قال ابن عبد البر قد روي هذا الحديث يعني حديث انشقاق القمر عن جماعة كثيرة من الصحابة. وروى عنهم أمثالهم من التابعين ثم نقله عنهم الجم الغفير إلى أن انتهى إلينا. وتأيد بالآية الكريمة انتهى.

وقال العلامة ابن السبكي في شرحه لمختصر ابن الحاجب: والصحيح عندي أن انشقاق القمر متواتر منصوص عليه في القرآن مروي في الصحيحين وغيرهما، وله طرق شتى بحيث لا يمتري في تواتره.

وأما ما روي من طاعات الجمادات وتكليمها له صلى الله عليه وسلم وبالتسبيح والسلام ونحو ذلك مما وردت به الأخبار، فمنها تسبيح الطعام والحصى في كفه الشريف صلى الله عليه وسلم ففي حديث أبي ذر قال: تناول النبي صلى الله عليه وسلم سبع حصيات فسبحن في يده حتى سمعت لهن حنينا، ثم وضعهن في يد أبي بكر فسبحن، ثم وضعهن في يد عمر فسبحن ثم وضعهن في يد عثمان فسبحن. رواه البزار والطبراني. وفي رواية الطبراني: فسمع تسبيحهن من في الحلقة ثم دفعهن إلينا فلم يسبحن مع أحد منا، وقد أخرج البخاري من حديث ابن مسعود قال: كنا نأكل مع النبي صلى الله عليه وسلم الطعام، ونحن نسمع تسبيح الطعام، وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال: مرض النبي فأتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فأكل منه النبي صلى الله عليه وسلم فسبح رواه القاضي عياض في الشفاء.

ومن ذلك تسليم الحجر عليه صلى الله عليه وسلم خرّج مسلم من حديث جابر بن سمرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن. وقد اختلف في هذا الحجر فقليل هو الحجر الأسود، وقيل حجرٌ غيره بزقاق يعرف به بمكة والناس يتبركون بلمسه، ويقولون: إنه هو الذي كان يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم كلما اجتاز به. وروى الترمذي وغيره عن علي رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله حجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم ((لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله)) . رواه البزار وأبو نعيم .

ومن ذلك تسليم اسكفة الباب وحوائط البيت على دعائه عليه الصلاة والسلام عن أبي أسيد الساعدي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس بن عبد المطلب: ((يا أبا الفضل لا ترم منزلك أنت وبنوك غداً حتى آتيكم، فإن لي فيكم حاجة. فانتظروا حتى جاء بعدما أضحي، فدخل عليهم فقال: السلام عليكم. قالوا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته. قال: كيف أصبحتم؟ قالوا: أصبحنا بخير بحمد الله. فقال لهم: تقاربوا، فتقاربوا يزحف بعضهم إلى بعض، حتى إذا أمكنوه اشتمل عليهم بملاءة. فقال: يا رب هذا عمي وصنو أبي وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كستري إياهم بملاءتي هذه)) . فأمنت اسكفة البيت، وحوائط البيت فقالت: آمين آمين رواه البيهقي وغيره

ومن ذلك كلامه للجبل وكلام الجبل له: عن أنس رضي الله عنه قال: صعد النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر، وعمر، وعثمان أحداً، فرجف بهم، فضربه النبي صلى الله عليه وسلم برجله وقال: أثبت أجد، فإنما عليك نبي، وصديق، وشهيدان. رواه البخاري وغيره. وأحد جبل بالمدينة وهو الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم: ((أجد جبل يحبنا ونحبه)) . رواه البخاري، ومسلم. وأخرج الحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فأقبل أعرابي فلما دنا منه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أين تريد؟ قال: إلى أهلي. قال: هل لك إلى خير؟ قال: وما هو؟ قال: تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله. قال: هل لك من شاهد على ما تقول؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذه الشجرة، فدعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي بشاطئ الوادي فأقبلت تخذ الأرض خداً،

فقامت بين يديه فاستشهدها ثلاثاً فشهدت، ثم رجعت الى منبتها. رواه الحاكم وغيره.

ومن ذلك حنين الجذع شوقاً إليه صلى الله عليه وسلم وهي آية كبرى من أكبر الآيات والمعجزات الدالة على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال الإمام الشافعي رضي الله عنه ما أعطى الله تعالى نبياً ما أعطاه نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم ف قيل له أعطى عيسى إحياء الموتى. قال: أعطى محمد صلى الله عليه وسلم حنين الجذع حتى سمع صوته. فهي اكبر من ذلك. قال القاضي عياض: حديث حنين الجذع مشهور مستشر⁽⁹⁰⁾ والخبر به متواتر أخرجه أهل الصحيح، ورواه من الصحابة بضعة عشر منهم أبي بن كعب، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وسهل بن سعد، وأبو سعيد الخدري، وبريدة، وأم سلمة، والمطلب ابن أبي وداعة، انتهى

والقصة واحدة وإن تغايرت بعض ألفاظها، وهي أن مسجد النبي صلى الله عليه وسلم كان مسقوفاً على جذوع نخل، فكان صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقوم إلى الجذع⁽⁹¹⁾ منها، فصنع له المنبر ثلاث درجات ليسمع الناس خطبته لما كثروا، فلما قعد صلى الله عليه وسلم عليه خار الجذع حتى تصدع وانشق. وفي رواية: فصاحت النخلة فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وضمها إليه فجعلت تن أنين الصبي الذي يشكي. وفي رواية فسمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار. وفي رواية: اضطربت تلك السارية كحنين الناقة الخلوع. (وهي التي انتزع منها ولدها) فما زالت تحن حتى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنبر فمشى إليها فاحتضنها فسكتت. وفي رواية خار الجذع كخوار الثور حزناً على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتج المسجد لخواره. فنزل إليه رسول

<247>

⁽⁹⁰⁾ في المخطوط منتشر

⁽⁹¹⁾ في المخطوط جذع

الله صلى الله عليه وسلم من المنبر فالتزمه وهو يخور فلما التزمه سكتت، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((والذي نفسي بيده لو لهم التزمه لما زال هكذا حتى تقوم الساعة حزناً على رسول الله)) . فامر به صلى الله عليه وسلم فدفن.

وقد روى حديث حنين الجذع عن جماعة من الصحابة من طرق كثيرة- تفيد القطع بوقوع ذلك، وقال العلامة التاج ابن السبكي: الصحيح عندي. إن حديث الجذع متواتر. وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: حنين. الجذع، وانشقاق القمر كل منهما نقل نقلاً مستفيضاً، نقلاً يفيد القطع عند من يطلع على طرق الحديث، وقال البيهقي: قصة حنين الجذع من الأمور الظاهرة التي حملها الخلف عن السلف. قال أبو القاسم البغوي: كان الحسن إذا حدث بهذا الحديث بكى. ثم قال: يا عباد الله الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقاً الى الله لمكانه منه، فأنتم أحق أن تشناقوا إليه.

وأما كلام الحيوانات وطاعتها له صلى الله عليه وسلم فمنها سجود الجمل وشكواه إليه صلى الله عليه وسلم: عن أنس بن مالك - رضي الله عنه قال: كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون عليه، فاستصعب. عليهم، ومنعهم ظهره، وأن الأنصار جاؤا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: إنه كان لنا جمل نسني عليه، وإنه استصعب علينا، ومنعنا ظهره، وقد عطش النخل والزرع. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه، قوموا، فقاموا فدخل الحائط والجمل في ناحية فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه فقالت الأنصار: يا رسول الله قد صار الجمل مثل الكلب الكلب، وأنا نخاف عليك صولته. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس عليّ منه بأس، فلما نظر الجمل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل نحوه حتى خرّ ساجداً بين يديه، فأخذ رسول الله

صلى الله عليه وسلم بناصيته أذلّ ما كان قط حتى أدخله في العمل، فقال له: يا رسول الله هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ونحن نعقل فنحن أحق أن نسجد لك. فقال صلى الله عليه وسلم: لا يصلح لبشر أن يسجد البشر، لو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها رواه أحمد والنسائي. (والحائط هو البستان. وقوله نسني أي نسقي عليه).

وفي حديث يعلى ابن مرة الثقفي بينا نحن نسير مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ مررنا ببعير يسني عليه، فلما رآه البعير جرجر فوضع جرائنه، فوقف عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أين صاحب هذا البعير؟ فجاءه فقال: بعنيّه. فقال: بل نهبه لك يا رسول الله وإنه لأهل بيت مالهم معيشة غيره. فقال: أما إذا⁽⁹²⁾ ذكرت هذا من أمره، فإنه شكا كثرة العمل وقلة العلف فأحسنوا إليه. رواه البغوي في شرح السنة. (والجران مقدم عنق البعير من مذبحة الى منحرة).

وأخرج ابن شاهين عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل حائط رجل من الأنصار فإذا جمل فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم حنّ فذرفت عيناه فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فمسح ذفراه فسكن، ثم قال: من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟ فأتاه فتى من الأنصار فقال: هذا لي يا رسول الله. فقال: ((ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها فإنه شكى إلي أنك تجيعه وتُدئبه))). قال في المصابيح وهو حديث صحيح. (وذفراه تشية ذفري، وهو الموضع الذي يعوق من قفا البعير عند أذنه).

ومن ذلك حديث الصَّبِّ ذكره القاضي عياض في الشفاء. وقد روى من حديث عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محفل من أصحابه إذ جاء أعرابي من بني سليم قد صاد ضباً في كفه ليذهب به الى رحله

<249>

فيشويه ويأكله، فلما رأى الجماعة قال: من هذا؟ قالوا: نبي الله صلى الله عليه وسلم فأخرج الضب من كفه وقال: واللوات والعزى لا آمنت بك أو يؤمن هذا الضب، وطرحه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم □ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا ضب. فأجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعاً: لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة. قال: من تعبد؟ قال: الذي في السماء عرشه، وفي الأرض سلطانه، وفي البحر سبيله، وفي الجنة رحمته، وفي النار عقابه. قال: فمن أنا؟ قال: رسول رب العالمين وخاتم النبيين، وقد أفلح من صدقك، وخاب من كذبك. فأسلم الأعرابي.

ومن ذلك حديث الغزاة رواه كثير من أئمة الحديث من طرق كثيرة يقوي بعضها بعضاً، فعن أم سلمة قالت: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحراء من الأرض، إذ هاتف يهتف يا رسول الله ثلاث مرات، فالتفت فإذا طيبة مشدودة في وثاق، وأعرابي منجدل في شملة نائم في الشمس. فقال: ما حاجتك؟ قالت: صادني هذا الأعرابي، ولي خشفان في ذلك الجبل فأطلقني حتى أذهب فأرضعهما وأرجع. قال: وتفعلين؟، قالت: عذبنى الله عذاب العشار إن لم أعد. فأطلقها فذهبت، ورجعت فأوثقها النبي صلى الله عليه وسلم فانتبه الأعرابي وقال: يا رسول الله ألك حاجة؟ قال: تطلق هذه الغزاة، فخرجت تعدو في الصحراء فرحاً وهي تضرب برجليها الأرض وتقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله.

ومن ذلك داجن البيوت وهو ما ألفها من الحيوان كالطير، والشاة وغيرهما. روى قاسم بن ثابت عن عائشة عنها وعن والديها قالت: كان عندنا داجن فإذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قرّ وثبت مكانه فلم يجيء، ولم يذهب وإذا خرج رسول الله جاء وذهب وذكره القاضي عياض بسنده.

وأما نبع الماء الطهور من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم وهو أشرف المياه. فقد روى أحاديثه جماعة من الصحابة منهم

أنس وجابر، وابن مسعود وابن عباس، ففي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقَد حانت صلاة العصر، والتمس الناس الوضوء فلم يجدوه، فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء، فوضع يده في ذلك الإناء فأمر الناس أن يتوضأوا من ذلك الإناء حتى توضأ القوم. قال راويه: قلت لأنس: كم كنتم؟ قال: كنا ثلاثمائة.

وعن أنس أيضاً قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقال المسلمون: يا رسول الله عطشت دوابنا وإبلنا. فقال: هل من فضلة ماء؟ فجاء رجل في شن بشيء. فقال: هاتوا صحيفة فصب الماء ثم وضع راحته في الماء. قال: فرأيتها تخلل عيوناً بين أصابعه. قال: فسقينا إبلنا ودوابنا، وتزودنا. فقال: اكتفيتم؟ قالوا: نعم اكتفينا يا نبي الله، فرفع يده فارتفع الماء. رواه ابن شاهين. وأخرج البيهقي عن أنس رضي الله عنه قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى قباء فأتي من بعض بيوتهم بقدر صغير، فأدخل يده فلم يسعه القدر، فأدخل أصابعه الأربعة ولم يستطع أن يدخل إبهامه، ثم قال للقوم: هلموا إلى الشراب. قال أنس: بصر عيني ينبع الماء من بين أصابعه، فلم يزل القوم يَرِدُون القدر حتى رووا منه جميعاً.

وأما حديث جابر: ففي الصحيحين وغيرهما عنه قال: عطش الناس يوم الحديبية، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة يتوضأ منها وجهش الناس نحوه، فقال: مالكم؟ قالوا: يا رسول الله ما عندنا ماء نتوضأ به، ولا ما نشربه إلا ما بين يديك، فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون، فشربنا وتوضأنا. قال راويه: قلت كم كنتم؟ قال جابر: لو كنا مائة ألفٍ لكفانا، كنا خمس عشرة مائة. (والركوة إناء صغير من جلد يشرب فيه، والجهش أن يفزع الإنسان إلى غيره).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: دعا النبي صلى الله عليه وسلم بلالا فطلب الماء، فقال: لا والله ما وجدت الماء. قال: فهل من شئٍ؟، فأتاه بشن فبسط كفه فيه، فانبعثت تحت يده عين، فكان ابن مسعود يشرب وغيره يتوضأ. رواه الدارمي وغيره. قال القرطبي: قصة نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم قد تكررت منه في عدة مواضع، في مشاهد عظيمة من طرق كثيرة، يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي، ولم يسمع بمثل هذه المعجزة من غير نبينا صلى الله عليه وسلم.

ومن ذلك تكثير الطعام القليل ببركته ودعائه صلى الله عليه وسلم فعن أنس قال أبو طلحة الأم سليم: لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟ فقالت: نعم، فأخرجت أقراصاً من شعير، ثم أخرجت خميراً، فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت يدي ولاثنِي ببعضه (أي أدارت بعض الخمار على رأسي مرتين كالعمائم) ثم أرسلتني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبت به فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ومعه الناس، فسلمت عليه، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: أرسلك⁽⁹³⁾ أبو طلحة؟ قلت: نعم. قال: بطعام؟ قلت: نعم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن معه: قوموا، فانطلق، وانطلقت بين أيديهم حتى أتيت أبا طلحة فأخبرته، فقال أبو طلحة: يا أم سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وليس عندنا ما نطعمهم. فقالت: الله ورسوله أعلم. فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل رسول الله وأبو طلحة معه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هلمي يا أم سليم ما عندك. فأتت بذلك الخبز، فأمر به صلى الله عليه وسلم - ففتّ، وعصرت أم سليم عكة فأدمته⁽⁹⁴⁾، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ما شاء الله أن يقول، ثم قال: أذن لعشرة فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا،

<252>

⁽⁹³⁾ في المخطوط أرسلك

⁽⁹⁴⁾ في المخطوط فأدمته

ثم خرجوا ثم قال: أذن لعشرة، ثم لعشرة، فأنت القوم كلهم، فشبعوا، والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة قال: لما كان غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة، فقال عمر: يا رسول الله ادعهم بفضل أزوادهم، ثم ادع الله لهم عليها بالبركة. فقال: نعم. فدعا بنطع، فبسط، ثم دعا بفضل أزوادهم، فجعل الرجل يجيء بكف ذرة، ويجيء الآخر بكسرة، حتى اجتمع على النطع شيء يسير، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة، ثم قال: خذوا في أوعيتكم. فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في المعسكر وعاءً إلا ملأوه. قال: فأكلوا حتى شبعوا، وفضلت فضلة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجز عن الجنة. رواه مسلم.

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عروساً بزينب، فعمدت أمي أم سليم إلى تمر وسمن وأقط فصنعت حيساً، فجعلته في تور. فقالت: يا أنس اذهب بهذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعثت بهذا إليك أمي، وهي تقرأك السلام، فقال عليه الصلاة والسلام: ضعه. ثم قال: اذهب فادع لي فلانا وفلانا، رجلاً سماهم وادع لي من لقيت، فدعوت من ثمة ومن لقيت، فرجعت فإذا البيت غاص بأهله. قيل لأنس: عددكم كانوا⁽⁹⁵⁾ قال: زهاء ثلاثمائة. فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم وضع يده على تلك الحيسة، فتكلم بما شاء الله ثم جعل يدعو عشرة عشرة، يأكلون منه، ويقول لهم: اذكروا اسم الله، وليأكل كل رجل مما يليه. فأكلوا حتى شبعوا، فخرجت طائفة بعد طائفة، حتى أكلوا كلهم. قال لي: يا أنس ارفع. فرفعت فما أدري حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت. رواه البخاري ومسلم (والأقط لبن مجفف، والحيس الطعام المتخذ من التمر والسمن والأقط، والتور إناء من صخر أو حجارة).

<253>

وفي حديث عبد الرحمن بن أبي بكر كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة، وذكر في الحديث أنه عجن صاع، وصنعت شاة فشوى سواد بطنها. قال: وأيم الله ما من الثلاثين ومائة إلا وقد حزه له حَزٌّ من سواد بطنها. ثم جعل منها قطعتين فأكلنا أجمعون، وفضل في القطعتين فحملته على البعير. رواه البخاري. وعن أبي هريرة قال: أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أدعو أهل صفة فتبتعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين أيدينا تحفة فأكلنا ما شئنا، وفرغنا وهي مثلها حين وضعت إلا أن فيها أثر الأصابع رواه الطبراني وغيره. وعن علي كرم الله وجهه جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وكانوا أربعين، منهم قوم يأكلون الجذع فيشربون الفرق، فصنع لهم مداً من طعام فأكلوا حتى شبعوا، وبقي كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا. وبقي كأنه لم يشرب منه شيء رواه في الشفاء، (والجذعة من الضأن ماأتي عليها ثمانية أشهر أو تسعة، والفرق ما يسع اثني عشر صاعاً، والعس قدح من خشب يروي الثلاثة والأربعة).

ومن ذلك ابراء ذوي العاهات، وإحياء الموتى، وكلامهم، وكلام الصبيان وشهادتهم له صلى الله عليه وسلم بالنبوة.

روى البيهقي في الدلائل أنه صلى الله عليه وسلم دعا رجلاً إلى الإسلام، فقال: لا أؤمن بك حتى تحيي لي ابنتي. فقال صلى الله عليه وسلم: أرني قبرها. فأراه. فقال صلى الله عليه وسلم: يا فلانة. فقالت: لبيك وسعديك. فقال صلى الله عليه وسلم: أتحيين أن ترجعي إلى الدنيا؟ فقالت: لا والله يا رسول الله، إني وجدت الله خيراً لي من أبوي ووجدت الآخرة خيراً⁽⁹⁶⁾ من الدنيا.

وروى الطبراني عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل الحجون كئيباً حزيناً فأقام به ما شاء الله عز وجل ثم رجع مسروراً. قال: سألت ربي عز وجل فأحيا لي أُمِّي فأمنت بي ثم ردها. وكذا روي عن حديث عائشة أيضاً أحيا أبويه صلى الله عليه وسلم حتى آمنا

<254>

به. رواه السهيلي والخطيب. قلت: وهذا الإيمان إيمان للتشريف لهما، وإدخالهما في زمرة أمة الرسول صلى الله عليه وسلم لا إيمان التكليف، لان الإنسان بعد موته ينقطع عنه التكليف، وأبواه في حياتهما كانا من أمة عهد الفترة، وكانا غافلين بنص قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾، وبنصوص آيات أخرى على أن رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كانت على فترة من الرسل وانقطاع من الوحي. وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا﴾، وما روي من أنه صلى الله عليه وسلم بين أن أبويه في النار لا يعارض النصوص القاطعة التي تشهد بخلاف ذلك. فمثل ذلك المروي إما لم يثبت، أو أنه كان على ظن من الرسول صلى الله عليه وسلم أنهما في محنة أو على أن غير درجات أهل الإيمان كالعذاب بالنسبة إلى درجاتهم. وعدم عذاب أهل الفترة مطلقاً هو الذي عليه اعتقاد المسلمين.

وعن معيقل⁽⁹⁷⁾ اليماني قال: حججت حجة الوداع، فدخلت داراً بمكة فرأيت فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأيت منه عجباً، جاءه رجل من اليمامة بسلام يوم ولد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا غلام من أنا؟ فقال: أنت رسول الله، قال: صدقت، بارك الله فيك، ثم إن الغلام لم يتكلم بعد ذلك حتى شب، فكنا نسميه مبارك اليمامة. رواه البيهقي، وعن فهد بن عطية أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بصبي قد شب ولم يتكلم قط. فقال: من أنا؟ قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه البيهقي.

وأصيب يوم أحد عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته، فأتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إن لي امرأة أحبها وأخشى إن رأيتني تقذرني. فأخذها رسول الله صلى الله عليه

<255>

وسلم وردّها الى موضعها، وقال: اللهم اكسه جمالاً. فكانت أحسن عينيه. وأحدّهما نظراً، ولا ترمد إذا رمدت الأخرى.

وفي البخاري في غزوة خيبر أنه صلى الله عليه وسلم قال: أين علي بن أبي طالب؟ فقالوا: يا رسول الله إنه يشتكي عينيه. قال: فأرسلوا إليه. فأتى به، فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع. وفي رواية مسلم عن أبياس ابن أبي سلمة عن أبيه قال: فأرسلني النبي صلى الله عليه وسلم فجئت به أقوده أرمده فبصق في عينيه وبرأ. وعند الطبراني عن عليّ: فما اشتكيتهما حتى الساعة. قال: ودعا لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أذهب عنه الحرّ والقرّ. قال: فما اشتكيتهما حتى يومي هذا.

وأصيب سلمة يوم خيبر بضربة في ساقه، فنفت فيها رسول الله ثلاث نفثات فما اشتكاها قط رواه البخاري. ونفت رسول الله في عيني قُديك، وكانتا مبيضتين. لا يبصر بهما شيئاً فكان يدخل الخيط في الأبرة وإنه لابن ثمانين، وإن عينيه لمبيضتان رواه ابن أبي شيبة وغيره.

والحق أن ما ظهر من الخوارق لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم سواء كان من قسم الإرهاص كخمود نار فارس، وغيض بحيرة ساوة، وشق شرف أيوان كسرى، ودحر جيش أبرهة... وسائر ما وقع قبل بعثته وإرساله صلى الله عليه وسلم أو من المعجزات كشق القمر، وسجود الشجر، وتكليم الحجر، والكلام مع الوحوش، أو الآيات البينات التي يحتويها القرآن الكريم أو سائر الكرامات من قبيل تكثير الطعام القليل، ونبع الماء بين أصابعه الشريفة، وطيب الأبيار المالحة، واستجابة الدعوات وصل إلى درجة لا يبقى مجال الشك لأي إنسان منصف عاقل في أن حضرته صلى الله عليه وسلم كان منبع الرسالة والنبوة والفضائل العلمية والعملية بحيث لا⁽⁹⁸⁾ يوازيه فيها أحد، ولا سيما معجزة القرآن، ومعجزة اتصافه

<256>

بالأخلاق الحميدة التي أفادها الباري بقوله الكريم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، بل إن أخلاقه الكريمة السليمة من الصبر، والصدق، والأحلم، والرأفة والترحم، والعهد، والوفاء بالعهود، والاستقامة على الحق القويم، والمنهج المستقيم، وزهده عن الدنيا بحذافيرها لأكبر معجزة من المعجزات العالمية التي لا معجزة فوقها. والله الهادي إلى الصواب.

قول الناظم: (هذا الرسول... إلى آخر الأبيات) معناه هذا الرسول الجليل الذي ذكرنا صورته، وسيرته وشمائله، وأخلاقه العظيمة ونموذجاً من معجزاته هو الرسول الكريم الذي أرسله الله تعالى فضلاً وإحساناً بالعباد لا وجوباً وإيجاباً عليه أو منه أرسله إلى كافة الأنعام من الثقلين الإنس والجن تكليفاً، وللملائكة تشريفاً حيث قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾، وهو سيد المرسلين من آدم ومن سواه إلى الخاتم بأدلة وبراهين قاطعة:

الأول: أنه هو الذي جمع هدي الرسل كلهم، وحاز أخلاقهم، لقوله تعالى بعد ذكر الرسل عليهم السلام: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ افْتَدِهِمْ﴾، ومن استوعب هدى الجميع أفضل ممن حاز هدى بعض منهم، وما روي من قوله صلى الله عليه وسلم: ((لا تخيروني على يونس بن متي))، فإنما ورد لمنع التفضيل والتخير على وجه التعنت، والتعصب والجدال وإلا فقد قال الباري سبحانه وتعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، وروي عنه صلى الله عليه وسلم: ((آدم من سواه تحت لوائي ولا فخر))، وروي عنه: ((أنا سيد ولد آدم ولا فخر))، نعم لا نفرق بين أحد منهم في أصل الرسالة.

الدليل الثاني: أن دعوة الرسل السابقين كانت إلى بعض الأمم، وأما دعوته صلى الله عليه وسلم فكانت لكافة الأنعام، وذلك دليل على علو مقامه عليهم وذلك ثابت بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾، وبقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾، وبدعوى نفسه

المباركة الرسالة الى كافة الخلق، وحجته أنه أرسل مكاتيب الدعوة إلى ملوك العالم من عظيم القبط، وعظيم الروم، وعظيم الفرس، وأمراء الإمارات العربية، ومكاتيبه محفوظة في الخزائن. ومعروفة عند أهل العلم بالسيرة النبوية، وأهل الاطلاع على سفرائه وسفارتهم إليهم.

الثالث: أن معجزات الرسل السابقين كانت مقيدة بزمانهم. أي لم يكن شيئاً عيانياً يبقى بعدهم، وأما لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فبقي أعلى معجزاته وهو القرآن في زمانه وبعده الى يوم القيامة، ويتحدى كافة فصحاء العالم وبلغائه الى الإتيان بمثل الجميع، أو عشر سور، أو أقصر سورة منه، ولم يوجد من يعارضه مع الدواعي على نقله لو كان.

ومما يدل دلالة قطعية على خلود إعجازه والعمل به أنه فيه بيان إكمال الدين للمسلمين، وإتمام النعمة عليهم، حيث أن فيه أصولاً وقواعد إذا طبقت لا تبقى حاجة إلى أي أصل ودستور آخر. فإن جعل أمر المسلمين شورى بينهم، وجعل أولي الأمر من الفقهاء والعلماء محكمين ومراجعين فلا تبقى مشكلة إلا تنحل بفقهاء الفقهاء وشورى أهل الشورى. فيسهل كل أمر بينهم إلا هتك الدين والأعراض، والأموال، والقتل وإزالة العقل. ومادام هذا الرسول الجليل أفضل الرسل تكون أمته أفضل الأمم، لأن كمال المتبوع يقتضي كمال التابع، ولذلك بقيت محاسن الأعمال، والأخلاق، وخوارق العادات ويوازن الطاعات في أمته منذ بعثه رحمة للعالمين الى عصرنا هذا مع أنه وقعت ملة الأسلام وأمته في مشاكل عصيبة من عداة أعدائهم، وتمرد من تمرد من أمته صلى الله عليه وسلم فلا تزال طائفة منهم ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله.

ومن الدليل على أن أمته خير الأمم نص قوله تعالى: ﴿كَنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾، وتلك الأمة الشريفة لها مستويات متفاوتة، فالمستوى الأعلى الأول لأصحابه الكرام،

ولأهل بيته العظام ولآله النجباء الأعلام رضي الله عنهم وبعدهم مستوى التابعين لهم، ثم التابعون للتابعين بدليل الأدلة الدالة على خيرية الأصحاب، ثم التابعين ثم مواليهم⁽⁹⁹⁾، كما روي من قوله صلى الله عليه وسلم: خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، وقوله صلى الله عليه وسلم لا يزال الخير في أمتي إلى يوم القيامة. ولقوله: مثل أمتي مثل المطر لا يُدري أوله خير أم آخره.

فلنذكر نموذجاً من مناقب الأصحاب، ثم أهل البيت، ثم غيرهم من الآل ثم من يتبعهم بإحسان إلى يوم الدين. ويدل على خيرية الأمة أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم: ((لا تجتمع أمتي على ضلالة))). وكون إجماعهم طريق الحق والهدى للمسلمين لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُولِهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۚ وَإِنْ فِيهِمْ الْمُجْتَهِدُونَ الْأَعْلَامُ عُلَمَاءُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِحَقٍّ، الْمَأْمُورِينَ بِالتَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ وَنَصِيحَةِ الْأُمَّةِ بَعْدَ التَّفَقُّهِ بِقَوْلِهِ الْكَرِيمُ: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا تَفَرَّ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾

والمراد بأولي الأمر العلماء الأعلام أهل الضبط والاستنباط بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾، وقوله صلى الله عليه وسلم: من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، ويلهمه رشده. وقوله صلى الله عليه وسلم: إذا حكم الحاكم واجتهد، وأصاب فله أجران، وإذا حكم واجتهد وأخطأ فله أجر، أو كما قال: والأجران للمصيب أجر على الاجتهاد، وآخر على الإصابة، والأجر الواحد للمخطيء على اجتهداه جهد إمكانه. ثم الدليل على شرف الأصحاب الكرام وفضلهم على من سواهم رضي الله عنهم أمور:

<259>

⁽⁹⁹⁾ في المخطوط من يليهم

الأول: إن الله تعالى اختارهم لصحبة من اختاره للرسالة العامة، وجعلهم عوناً له في حفظ الكتاب والسنة ونشرهما، ونصرهم، وقد بذلوا ما في الامكان لذلك.

والدليل الثاني: آيات من القرآن الكريم على فضلهم جميعاً، وفرقة منهم خصوصاً. وبعض أفرادهم. فمن الأول قوله تعالى في آخر الفتح: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلِظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا

وكلمة من البيان لا للتبويض بدليل إخباره تعالى عن فضلها بالجمل الخبرية، ولا مجال للتبدل في أخبار الباري تعالى.

ومن الثاني (أي مما يدل على فضل الفرقة) قوله تعالى في سورة الفتح: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا

وقوله تعالى في أواخر التوبة: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

ومن الثالث: الآيات التي نزلت في شأن أفراد منهم من الخلفاء الراشدين وغيرهم مما يدل على فضلهم ونجاحهم وعلو مقامهم، وقوة إيمانهم، وصبرهم واستقامتهم وإثارهم غيرهم على أنفسهم، ولو كان بهم خصاصة.

ومن الأحاديث الشريفة ما دل على فضلهم جميعاً قوله صلى الله عليه وسلم أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم. وما ورد في شأن إعلاء

درجاتهم في الإخلاص بحيث لو انفق واحد غيرهم مثل جبل أحد لا يبلغ مد أحدهم ولا نصيفه. وما ورد في شأن أصحاب بدر مما يدل على ارتفاع مستوى كرامتهم عند الله رب العالمين.

والبرهان القاطع على علو مقامهم أنه ثبت لكل عاقل منصف أنهم هم الذين سبقوا الأنعام قبول الإسلام، وأنهم أودوا في سبيل الله، وعذبوا أنواع التعذيب، وحرقوا بأنواع التحقير ولوموا بأنواع اللوم والتأنيب ومع ذلك قاموا واستقاموا على هدى من ربهم، وهاجر بعض منهم إلى الحبشة هجرتين ثم هجرة ثالثة إلى المدينة المنورة، وتركوا أموالهم، وأوطانهم لإعزاز دين الله وإعلاء كلمته، وهاجروا إلى المدينة المنورة أخيراً وبقوا في غربة وكربة حتى أذن الله لهم في القتال. فاذوا الكفار، وأودوا منهم، وقاتلوا، وقتلوا حتى نشروا دين الإسلام في العالم، وحفظوا ما نزل من الكتاب الكريم وعملوا به، وأخذوا سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وعملوا بها، ولم يكن لهم هم إلا إعلاء كلمة الله وهذه الصفات الحميدة والأعمال المجيدة تهدينا إلى الإيمان بأنهم من خير خلق الله بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان لهم مستويات مختلفة.

وإن من اشرفهم الخلفاء الراشدين وأفضلهم هو الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فقد كان أول من آمن برسول الله من الرجال، والوحيد في ملازمة الرسول أيام المحنة إلى الهجرة وبعدها، وأنه أول من صاحبه في الاختفاء في الغار والخروج منه إلى الغربة في الديار، والهجرة إلى خارج الوطن وأول من صرف جميع ماله في تجهيز الجيش للجهاد، وأول من لازمه ووافقه في الليل والنهار، وقد جعله الرسول صلى الله عليه وسلم محل ثقته وعينه إماماً في مسجده في حياته واقتدى به وأمر بسد الأبواب الصغيرة المفضية إلى المسجد النبوي إلا الباب المختص بأبي بكر، ومن عينه إماماً في حياته والإمامة أفضل رتبة في الإسلام، فلا مجال لأحد

أن يخالفه فمن أنصف علم أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه هو أول الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين.

وبعد وفاته وقبل دفن الرسول صلى الله عليه وسلم اجتمع الصحابة في السقيفة، وبعد كلمات تكلموا بآيعة⁽¹⁰⁰⁾ عمر بن الخطاب رضي الله عنه وتبعه الناس في البيعة، ولم ينكر عليهم أحد من الأصحاب، وسيدنا علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه لم ينكر خلافته ولا عارضه، ولكنه توقف عن البيعة أياماً لآلام قلبية وردت عليه من وفاته صلى الله عليه وسلم ومن آلام قلب فاطمة الزهراء رضي الله عنها لمفاجأتها لتلك المصيبة الكبرى، وبعد ذلك بايعه علي أيضاً كسائر الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

ولما استخلف أبو بكر الصديق رضي الله عنه خطب في المسلمين خطبة جامعة مانعة، ونبه المسلمين على أن الأنبياء وغيرهم يموتون ولا يبقى إلا الله سبحانه وتعالى وإن العاقبة للمتقين.

ثم عزم على إرسال جيش أسامة بن زيد بن حارثة إلى البلقاء ومؤته من أراضي فلسطين وحدود الشام، وأشار بعض الصحابة بالتريث، فأبى وأرسل جيش أسامة إلى ما أرادته الرسول صلى الله عليه وسلم فذهب وجيشه وانتصر على الكفار وقتل قاتل أبيه زيد بن حارثة، ورجع مع الغنيمة، وتقوى المسلمون بذلك، ولكن كثيراً من العرب والقبائل ارتدوا والعياذ بالله وظهر تفاق المنافقين، واضطربت الأمور، ولكن لم يرتد أحد من قريش، ومن قبيلة ثقيف. أما قريش فثبتهم الله تعالى بخطبة سهيل بن عمرو العامري من أشرف قريش حيث ألقى على أهل مكة خطبة كخطبة أبي بكر رضي الله عنهما في المدينة. وأما ثقيف فثبتهم الله تعالى بعثمان ابن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه وكان كامل الإيمان، والعرفان، وثابتاً

<262>

حازماً، ولما ظهرت الردة وانتشرت واشتهرت، عزم أبو بكر على قتالهم وقد أشار بعض الصحابة بالتريث، ولكنه أبى، وأقسم أنه يقاتلهم ولو كان وحده منفرداً.

وكان كلام المرتدين على أوجه مختلفة فمنهم من يقول: ذهب دور النبوة والإسلام بموت محمد، ومنهم من يقول بقي من الإسلام ما عدا الزكاة. ومنهم من يقول لا سيطرة للإسلام إلا في المدينة فقط فعزم أبو بكر على قتالهم، وأول واقعة كان على بعض المرتدين العازمين على احتلال المدينة ليرجعوا إلى الجاهلية، فتعجل جماعة من قبيلة عبس وذبيان ونزلوا بالأبرق. ونزل آخرون بذى القصة، ومعهم قوم بني أسد وكنانة، فقابلهم أبو بكر وجعل على أنقاب المدينة علي بن أبي طالب، والزبير، وطلحة، وعبد الله بن مسعود، وغيرهم. فنصر الله جنود الإسلام وهزموا المرتدين. وكان المرتدون كثيرين في سائر الأقطار، ولكن الله دحرهم ونصر الإسلام. وعند ذلك ظهرت دعوى مسيلمة الكذاب للرسالة، واجتمع عنده خلق كثير، فأرسل أبو بكر جيشاً من عداد أربعة آلاف وفيهم خالد بن الوليد، والوحشي، وجمع من أبطال الصحابة رضي الله عنهم فنصر الله الإسلام، وقتل وحشي مسيلمة الكذاب، وانتصر المسلمون وبذلك سكت المنافقون وخافوا خوفاً عظيماً من أبي بكر وعزمه وجزمه وجيشه وثباته وإقداماته. واستشهد في حرب مسيلمة الكذاب، من الأنصار والمهاجرين فوق ألف، وفيهم حفاظ القرآن الكريم، وعلى مخافة استشهاد الذين كان لهم إمام بحفظه أشار عمر بن الخطاب بالسعي في جمع القرآن الكريم، فوافق⁽¹⁰¹⁾ سيدنا أبو بكر، وتكلموا مع الكاتب الأمين زيد بن ثابت، فاتفقوا على جمعه بمعونة حضور الحفاظ وكتابته على أوراق من الجلود وفعلوا ذلك، فصار القرآن الكريم مجموعاً غير مفرق الكتابة في كتاب واحد إلى جمعه مرة ثانية في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنهم أجمعين.

<263>

واستمر سيدنا أبو بكر في حرب أهل الردة من الأطراف بسرايا عديدة- لاسيما برئاسة البطل الإسلامي سيف الله المسلول خالد بن الوليد رضي الله عنهم كما أرسل أيضا خالداً الى العراق مع آلاف من الصحابة، وأمر مثنى بن حارثة الشيباني أن يعاون خالداً فجاء هو وأربعة آلاف من المسلمين، وسعوا في الاستيلاء على كثير من أطراف العراق.

وكان السادة عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين وسائر أعيان الصحابة مستشارين له ومتعاونين معه في مهام أمور الخلافة بحيث لا مجال للشبهة في إخلاصهم له في الدين، وبعد سنتين وعشرة أشهر من خلافته جاءه الأجل المحتوم، وكتب في حياته كتاب استخلاف عمر بن الخطاب لما علم منه من الهيبة والمقدرة على تحمل أعباء الخلافة الإسلامية، فقام بعده عمر بما يليق بالدين من تنظيم أمور الجهاد والإرشاد ورد أهل البغي والعناد، وتوسعة رقعة الإسلام، فإنه في عصره فتحت العراق، والشام وفلسطين، ومصر، وبلاد العجم، الى تخوم خراسان. وكانت على يده فتوحات عديدة بعدل، وعزم، وحزم، وثبات على السيرة النبوية حتى أن وافته رتبة الشهادة على أيدي أبي لؤلؤة المجوسي.

ولما لم يكن له طاقة واسعة في الأمة من جرحه جعل أمر الخلافة شورى بين بقية العشرة المبشرة، فاختاروا عثمان بن عفان رضي الله عنه وعثمان كهدف الحياء والإيمان، سعى سعي عمر وأبي بكر في دفع الأعداء وتوسيع دائرة الإسلام، وإكمال الفتوحات في سائر الأطراف من الشرق والغرب، والجنوب والشمال، ووصل الجيش الإسلامي باب الأبواب (باكو) من حدود روسيا القيصرية، وفي الجيش هناك حذيفة ابن اليمان أمين أسرار حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم ووقع اختلاف بين شخصين منهم في قراءة شيء من القرآن، كاد أن يستحيل الخلاف الى ما لا تحمد عواقبه فأسكتوا المتخالفين، ومن ذلك رجع حذيفة إلى المدينة المنورة وأشار

على عثمان رضي الله عنه بجمع القرآن على قراءة واحدة، وكتابة واحدة حذراً من الاختلافات، فشكّل سيدنا عثمان لجنة، وجعل علي بن أبي طالب رئيساً لهم، وجمعوا ما عند الناس من المصاحف كلاً أو بعضاً وكتبوا على لغة قريش سبعة مصاحف، وجعلوا ماعداها على الهامش، وأمر بإحراق غيرها، وتم ذلك بإجماعهم. واستمرت خلافته بأمان وسلام إلى أن جاء القضاء والقدر، وثار بعض المفسدين على سيدنا عثمان بدعوى إرادة خلعه من الخلافة، وكان الأمر بحيث لم يتصور أحد سوء عاقبته، فثبت عثمان على ما كان عليه حتى أن اقتحموا داره، وصار شهيدا على أيديهم، وبعد ذلك بايع المسلمون سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه بإجماع منهم.

إلا أن معاوية بن أبي سفيان تأخر عن البيعة بحجة أنه يجب توقيف العاشين على عثمان ومحاكمتهم، ولكن اقتضى رأي علي بن أبي طالب على تأجيل ذلك إلى وقت خوفاً من توسع الفتنة بين المسلمين، وصارت الفتنة كما سمعنا وآل الأمر إلى جرح معاوية وعلي من جهة الخوارج، واستشهد علي ونجا معاوية، وبعد وفاة سيدنا علي بن أبي طالب بايع الناس الحسن المجتبي، وصار خليفة الرسول على المسلمين، وبعد مدة ستة أشهر من خلافته تفاهم معاوية معه على شروط بينهما فتنازل سيدنا الحسن عن الخلافة وسلمها إليه حفظاً لدماء المسلمين وإصلاحاً بينهم وتحقيقاً لما أخبر به صلى الله عليه وسلم من قوله: ((إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين))). وتمت الخلافة لمعاوية رضي الله عنه وقد قال له صلى الله عليه وسلم: ((إذا ملكت فاعدل)) وكان⁽¹⁰²⁾ أمر الله قادراً مقدوراً.

ويجب علينا أن نكف عن ذكر الصحابة الكرام لأنه مادام كان الخلاف على ما ذكرنا من اختلاف الرأي والطرفان من أهل الاجتهاد فلا مجال لنا إلا الرضاء بقضاء الله تعالى وللمصيب وهو الامام علي رضي الله عنه أجران وللمخطئ أجر واحد، وقد قال تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾، ومما يجب أن يعتقده⁽¹⁰³⁾ المسلمون أن الخلفاء الراشدين هم أفضل الأمة، وأن الفضل بينهم مرتب على ترتيب خلافتهم؛ لأن الفضل إن كان مبنياً على الأجر عند الله تعالى فلا يعلمه إلا الله، وإن كان مبنياً على الظاهر والمواقف الشريفة فقد كانت معلومة عند

⁽¹⁰²⁾ في المخطوط هذا وكان

⁽¹⁰³⁾ في المخطوط يعتقد

جمهور الصحابة، ومشوا على مقتضى علمهم رضي الله عنهم. كما يجب أن يعتقد المسلم أن سيدنا علي بن أبي طالب كان راضياً بخلافة أولئك الخلفاء السابقين بدليل أنه كان وافر العلم، لقوله صلى الله عليه وسلم: أنا مدينة العلم، وعلي بابها. ووافر الدين والشجاعة والغيرة، والشهامة، والأمانة على الأحكام، فلو ورد نص على خلافته مباشرة بعد الرسول ما كان يسكت على ذلك الترتيب، وبالأولى لم يكن معيناً ومعاوناً للخلفاء بقدر إمكانه، وقد عاون أبا بكر، وعمر، وعثمان في مهمات أمور الخلافة، وزوج ابنته السيدة أم كلثوم عمر بن الخطاب، وكل ذلك دليل على ارتضائه بهم وبمناصبهم ونسبة التقية⁽¹⁰⁴⁾ مع طول الزمان وأهمية النصوص لا يناسب مقامه، ولم يثبت عنه في أيام خلافته كلمة لا تناسب مقام الخلفاء السابقين فرضي الله تعالى عنه⁽¹⁰⁵⁾ وعن باقي الصحابة أجمعين وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

زوجاته وأهل بيته الطاهرات

قال الله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾.

لما اختار الله سبحانه وتعالى حبيبه المصطفى وبعثه رحمة للعالمين اختار له أصحاباً من خير أصحاب الرسل، وأزواجاً من خيرة النساء، والله يختص برحمته من يشاء، فاختار له قبل الرسالة كإرهاص بالنسبة إلى مقامه خديجة بنت خويلد الأسدي المعروفة بالعفة والشهامة، والمختصة بالعقل الناضج والإدراك الثاقب، والثروة الوافرة لتعينه في حياته صلى الله عليه وسلم بالعقل والعفة، وصرف المال، ومراعاة الأولاد والأطفال، وتقويم ما يحتاج إليه الرجال. فتزوجها وهو ابن خمس وعشرين سنة، وهي بنت أربعين،

<266>

⁽¹⁰⁴⁾ في المخطوط التقية إليه

⁽¹⁰⁵⁾ في المخطوط عنهم

والمتفق عليه أن عدد زوجاته كان إحدى عشرة، والسر في ذلك الكثرة أمور كثيرة:

الاول المهم: نشر تعليمات الإسلام من قبل النساء بين النساء حيث لا يمكن عادة للنساء أخذ أحكامهن من الرجال غير المحارم إلا برعاية أدب كامل في الدين.

الثاني: توسيع دائرة المصاهرة المفيدة للتعاون بين الأصهار على ما هو المعتاد بين الأشراف.

الثالث: تشريع جواز الزواج من زوجة الرجل المتبنى، أي من لم يكن إبناً وصار في⁽¹⁰⁶⁾ العادة من الأبناء.

الرابع: حاجة بعض الأراامل الى المؤونة والنفقة ممن مات أزواجهن ولهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم علاقة الرضاع أو الصداقة الزائدة. علاوة على ما ذكرنا فالمبيح الواقعي هو تشريع الباري سبحانه وتعالى ما يشرعه لعباده من الأحكام كما يعلم كل من له علم بأحكام الرسل السابقين عليه الصلاة والسلام من الأحكام المختلفة، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم مختصاً بواجبات عليه خاصة كصلاة التهجد، وأداء ديون المعسرين قبل دفنهم، ووجوب المضي في أمر الجهاد بعد لبس لأمة الحرب، فلا مجال لأي خيال أو مقال في مقابلة تشريعات الباري المتعال، ومن أنصف عرف أن في وجود تلك الأزواج حكماً كثيرة علاوة على ما قلنا آنفاً.

فالأولى منهن: خديجة كما ذكرنا، وقد توفيت قبل ثلاث سنوات من الهجرة.

الثانية: سودة بنت زمعة تزوجها صلى الله عليه وسلم بعد وفاة خديجة لرعاية الأطفال، وقد أسلمت قديماً بعد إسلام خديجة رضي الله عنها⁽¹⁰⁷⁾ وبقيت مع الرسول صلى الله عليه وسلم الى أن توفيت في المدينة

<267>

⁽¹⁰⁶⁾ في المخطوط على

⁽¹⁰⁷⁾ في المخطوط عنهما

المنورة في عام خمس وأربعين من الهجرة، ودفنت في البقيع رضي الله عنها.

الثالثة: أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وتزوجها في شهر شوال بمكة بعد وفاة خديجة ولها ست سنين، وأعرس بها في المدينة المنورة في شوال سنة ثلاث من الهجرة، وعمرها تسع سنين، وكانت أعلم أزواجه صلى الله عليه وسلم بأحكام الإسلام وأكثرهن في الرواية وأحبهن إليه صلى الله عليه وسلم ومات عنها صلى الله عليه وسلم ولها ثماني عشرة سنة، ولم يتزوج صلى الله عليه وسلم بكرًا غيرها، وماتت بالمدينة لسبع عشرة خلت من رمضان سنة ثمان وخمسين وعمرها ست وستون سنة ودفنت بالبقيع رضي الله عنها ولم تلد وتكنى بأم عبد الله على اسم عبد الله بن الزبير ابن أختها أسماء ذات النطاقين.

الرابعة: حفصة بنت عمر بن الخطاب تزوجها بالمدينة وهي أرملة في السنة الثالثة من الهجرة، وكانت صوامة قوامه، وروى عنها كثير من الصحابة والتابعين ماتت في شعبان سنة خمس وأربعين في خلافة معاوية وهي ابنة ستين سنة، ودفنت بالبقيع رضي الله تعالى عنها

الخامسة: أم سلمة بنت أبي أمية واسمها هند، وكانت قبل الرسول صلى الله عليه وسلم زوجة أبي سلمة عبد الأسد، وكانت هي وزوجها أول من هاجرا من مكة إلى الحبشة، وهي أول طعينة دخلت المدينة مهاجرة، ومات أبو سلمة سنة أربع من الهجرة وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم - وماتت سنة تسع وخمسين ودفنت بالبقيع وعمرها أربع وثمانون سنة.

السادسة: أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنهما واسمها رملة، وهاجرت مع زوجها إلى الحبشة، وتوفي عنها هناك فبعث رسول الله عمرو بن أمية إلى النجاشي ليخطبها عليه فزوجها إياه، وأصدقها أربعمئة دينار من ماله، فوصلت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وماتت بالمدينة سنة أربع وأربعين.

السابعة: زينب بنت جحش، وأمها أميمة بنت عبد المطلب زوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم من زيد بن حارثة، وكان يدعى ابن محمد، فبقيت عند زيد⁽¹⁰⁸⁾ مدة ثم طلقها، فلما انقضت عدتها منه نزلت الآية الكريمة: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ﴾، وكان ذلك سنة خمس من الهجرة، وحاصل ذلك أن الله تعالى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يزوج زينب من زيد، وبعد تطليقه لها يتزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم لتشريع حل نكاح زوجة الولد المتبنى، لأنه أجنبي وليس ابناً حقيقة. وقالت عائشة في شأنها: لم تكن واحدة منا خيراً منها في الدين وأتقى لله، وأصدق حديثاً، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تتصدق به، ويقرب إلى الله رواه مسلم. وهي أول من مات من أزواجه بعده صلى الله عليه وسلم ماتت بالمدينة سنة عشرين ولها ثلاث وخمسون سنة صلى عليها عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

الثامنة: زينب بنت خزيمة الهلالية رضي الله عنها كانت زوجة عبد الله بن جحش، فقتل عنها يوم أحد، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تلبث⁽¹⁰⁹⁾ إلا شهرين أو ثلاثاً، وتوفيت في حياته صلى الله عليه وسلم ودفنت بالبقيع رضي الله عنها

التاسعة: أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها فقد كانت قبل عند أبي رهم بن عبد العزى، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان معتمراً سنة سبع بعد غزوة خيبر جعلت أمرها إلى العباس فأنكحها النبي صلى الله عليه وسلم وهو محرم، فلما رجع بنى بها بسرف حلالاً، وسرف اسم مكان على عشرة أميال من مكة، ثم توفيت بسرف في الموضع الذي بنى بها فيه رسول الله سنة إحدى وخمسين وصلى عليها ابن عباس، ودخل قبرها رضي الله عنها.

<269>

⁽¹⁰⁸⁾ في المخطوط عنده

⁽¹⁰⁹⁾ في المخطوط تلبث عنده

العاشرة: أم المؤمنين جويرية بنت الحارث، كانت تحت مسافع بن صفوان المصطلقى، وكانت قد وقعت في سهم ثابت بن قيس الأنصاري في غزوة المريسيع (وهي غزوة بني المصطلق) في سنة خمس وقيل ست فكاتبته على نفسها، ثم جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله أنا جويرية وكان من أمري ما لا يخفى عليك، ووقعت في سهم ثابت بن قيس ابن شماس، وأني كاتبت نفسي فجئت أسألك في كتابتي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فهل لك الى ما هو خير؟ قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك. قالت: قد فعلت. فتسامع الناس قد تزوج جويرية فأرسلوا ما في أيديهم من السبي، فأعتقوهم، وقالوا: أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة: فما رأينا امرأة أعظم بركة على قومها منها، أعتق في سببها مائة أهل بيت من بني المصطلق، وكانت ابنة عشرين سنة، وتوفيت وعمرها خمس وستون سنة، سنة خمس وخمسين.

الحادية عشرة: أم المؤمنين صفية بنت حيي، فهي من سبط هارون بن عمران عليه السلام كانت تحت كنانة بن أبي الحقيق قتل يوم خيبر. قال أنس: لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وجمع السبي جاءه دحية فقال: يا رسول الله أعطني جارية، فقال: اذهب فخذ جارية. فأخذ صفية بنت حيي. فجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير؟ ما تصلح إلا لك. قال: أدعوه بها. فلما نظر إليها النبي صلى الله عليه وسلم قال: خذ جارية غيرها من السبي، وأعتقها حتى إذا كان بالطريق جهزتها له أم سليم، فأهدتها له من الليل، فأصبح عليه الصلاة والسلام عروساً، فقال: من كان عنده شيء فليجيء به، وبسط نطعا، فجعل الرجل يجيء بالأقط، وجعل الرجل يجيء بالتمر، فحاسوا حيسا فكانت وليمة رسول

الله صلى الله عليه وسلم وماتت في رمضان سنة خمسين في زمن معاوية، ودفنت بالبقيع.

فهؤلاء أزواجه اللائي دخل بهن لا خلاف في ذلك بين أهل السير والعلم بالأثر. وهذه الأمهات ست منهن عربيات من قريش وهن خديجة. وعائشة وحفصة، وأم حبيبة، وأم سلمة، وسودة. وأربع منهن عربيات من غير قريش وهن زينب بنت جحش من بني أسد، وزينب بنت خزيمة الهلالية أم المساكين، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وجويرية بنت الحارث المصطلقية، وواحدة غير عربية من بني إسرائيل وهي صفية بنت حيي من بني النضير. وهذه النساء الطاهرات المطهرات اختارهن الله من بين النساء لصحبة الرسول الكريم حبيبه المختار من صفوة الأنام فيجب على المؤمن أن يعتقد أنهن خير نساء العالم وأن الله تعالى كما اختار حبيبه لأعباء الرسالة واختار أمته وانقذهم من الضلالة، واختار من صفوة العباد أصحابه للجهاد في سبيل الله واشترى منهم أموالهم وأنفسهم بثمان رضوانه، ولقائهم له في الجنة، كذلك اختار أزواجه لأن ينورن بيته الكريم بنور الحكمة وآيات القرآن وتعليم الناس أحكام الدين اعتقاداً وعملاً، وقد نصحن الله تعالى في آيات عديدة، وأعلن أنه تعالى يريد أن يذهب عنهم الرجس اعتقاداً وعملاً وأخلاقاً، ومن اعتقد غير ذلك فقد خرج من المنهج، وابتغى غير سبيل المؤمنين، وأن من خالف براءة الأمهات لاسيما الحميراء، وانحرف عن اعتقاد آيات الثمانية عشر أول سورة النور، فماله في الإسلام من نور. لأن الانحراف عنها انحرف عن سماع شهادة الله، وسمع قول الزور. واعتقدوا أنهم أمهاتنا في الكرامة، وأن من خدم أهل البيت فقد أشعل المصباح من زيت الحكمة: وأوصل نفسه إلى نور الرحمة رضي الله تعالى عنهن وعن باقي الأصحاب من المؤمنين والمؤمنات آمين.

وأن المراد بأهل البيت في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾؛ أزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين، لتصدير الآيات بقوله

تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ﴾، والتفكيك في الإرادة بين صدر الخطاب وآخره لا يناسب بلاغة القرآن، والإتيان بضمير جمع الرجال لوجود الرسول صلى الله عليه وسلم والحسنين في البيت غالباً، وعند نزول الآية، لا آل الرسول، والدليل على هذا عند المحققين هو أن آل الرسول من بضعة الرسول صلى الله عليه وسلم وليس فيها رجس حتى يذهب الله تعالى، وأما الأمهات فلم يكن من تلك البضعة، فيجوز أن يكون فيهن رجسٌ من سوء الطبيعة وما يقرب من ذلك وذلك دليل جليل.

وأما جواريه صلى الله عليه وسلم فهن أربع⁽¹¹⁰⁾:

الأولى: مارية القبطية أم ابنه إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم أهداها له المقوقس صاحب الأسكندرية، وماتت في خلافة عمر رضي الله عنهما في سنة ست عشرة، ودفنت في البقيع.

الثانية: ريحانة القرظية، وماتت قبل وفاته صلى الله عليه وسلم سنة عشر ودفنت في البقيع.

الثالثة: جارية وهبتها له زينب بنت جحش رضي الله عنهما -.

الرابعة: جارية أصابها في بعض السبي.

ومما يجب أن يعلم أن الجواري مما ملكتها الأيمان لم يكن مختصة بعهد رسالة الرسول. ولا بزمان حياته، بل كانت دائرة منذ فجر التاريخ. وقد كان الناس متعودين على أنهم إذا حارب قوم منهم قوماً واستولوا عليهم. استرقوا رجالهم، ونساءهم، وذرائعهم، ويعاملونهم معاملة الملاك لأملاكهم، يتصرفون فيهم كما أرادوا، وحدث ما حدث من الأمور المخالفة لاحترام الإنسان، واستمرت تلك العادة، وبقيت في زمن بني إسرائيل ومحاربتهم مع العمالقة، كما أنه دارت بين كل قوتين متحاربتين⁽¹¹¹⁾ إلى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ولما جاء عهده وغزواته مع الكفار ما كان سهلاً على الإسلام الغاء أصول الجواري وإخراج ما ملكته الأيمان أي قوة الغلبة

<272>

⁽¹¹⁰⁾ في المخطوط أربعة

⁽¹¹¹⁾ في المخطوط قومين متحاربين

والحرب، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم - شرع في حق
الحريين إكرام الأناس منهم، فقال: ((إخوانكم، خولكم جعلهم
الله تحت أيديكم أطعموهم مما تطعمون، واكسوهم مما
تكسون، ولا تكلفوهم ما لا يطيقون وإذا كلفتموهم فأعينوهم)).
وقرر القصاص في جروحهم، وقال: ((من جدد جدهناه ومن
قطع قطعناه))، وشرع زهاء ست وثلاثين مادة لإعتاقهم،
وإطلاق سراحهم بالعتق في كفارة اليمين، وفي وقاع رمضان
للصائم، وفي الظهار، وفي قتل الخطأ، وفي وجوب عتق
نصيب المسلم الموسر إذا عتق شريكه نصيبه. وفي أم الولد،
وفي التدابير أي تعليق العتق بما بعد الموت للمالك، وشرع
سهما من الصدقات للمكاتبين إلى غير ذلك مما يطول بيانه.
وقد أفردت بالتأليف، ثم إن ما ملكته اليمين (أي قوة الدولة
الإسلامية) كان لها مبرر عند الانسان المؤمن بالله ورسوله من
جهتين:

الأولى: إن الكفار إذا غلبوا⁽¹¹²⁾ المسلمين فقيدهم بدون رعاية
انصاف، ورعاية حقوق الانسان، فإذا غلب عليهم المسلمون
أفلا يجوز لهم استملاكهم مع رعاية حقوق الانسان واحترامه.

الجهة الثانية: إن الإنسان مؤمن⁽¹¹³⁾ بأن الله حق، والرسالة
حق، والشريعة سائدة وحاكمة على العباد فكيف لا يجوز ذلك
الاستملاك حتى يثبت التوحيد، ويظهر الحق في العالم، ويعمل
به الناس؟ وإذا قررنا أن الدين حق، والغنائم مباحة، كيف لا
يكون حكم الله بالتملك نافذاً؟ فهل يكون حكم الله أقل نفاذاً
من حق انسان ضعيف عقلاً وعلماً حتى تجوز احكام العباد
ونهمل حكم الله تعالى في الغنائم؟ سبحان الله ما أجهل
الناس إذا خرجوا من⁽¹¹⁴⁾ حكم الله ورفضوه وقبلوا حكم
الإنسان، ورفضوا ما عداه.

ومما يجب أن يعلم أيضاً أن ما ملكت أيماننا من الشركات لا
يجوز وطؤهن حتى يسلمن. وأما الكتابيات فيجوز وطؤهن في
ما عدا وقت الحيض والنفاس والحمل. وإذا اختار مالك تزويج
جاريته من غيره فهو كالولي يحتاج الى العقد والإيجاب
والقبول.

<273>

⁽¹¹²⁾ في المخطوط غلبوا على

⁽¹¹³⁾ في المخطوط المؤمن

⁽¹¹⁴⁾ في المخطوط عن

أُمته خير أمة

والأهل والآل أولي الخلق
أهل الهدى والوفا والعلم
وفاضت أنوارهم للناس
أهل اجتهد لأخذ الحكم
وأمة الخير، خير الناس في
يرمي بأمواج انوار الى
ومن مخافة قهر أو رجا كرم
ليلاً نهاراً يؤدي النور للأمم
من منيع للهدى من معدن
لكل فرد نصيب خط بالقلم
آثارهم شهدت بالعلم والعلم
يلي لهم من أولي الأفكار

وتلك أُمته لكن صحابته
وجاء من بعدهم التابعون
من أولياء أولي الأنوار
ومن أئمة أهل العلم والأدب
لأنهم أمة الهادي وفرقته
وانه بحر فيض النور للابد
من الحضور ومن أنس
إن الرسول سراج لامع ابد
وصحبه استمروا في اقتباس
والناس ليس⁽¹¹⁵⁾ سواء في
والحظ الأوفى نراه كان
والاجتهاد بقى للتابعين ومن
<274>

وتابعي التابعين أهل منقبة
أبو حنيفة شيخ التابعين يلي
فالشافعي يليه أحمد وعلا
وفقهم ربهم لجمع مذهبهم
وبعدهم علماء من أولي
في رتبة دون من عاشوا
من تابعي من مضي في
عاشوا وكانوا أشقاء بلا كدر
وهكذا قد توالى أمة الرشد
فخذ لك النهج أيا ما تشاء،
ولا تكن سامعاً أقوال منتهج
إن الخلاف في الاستنباط
<275>

أئمة سادة خلت عن السقم
من بعده مالك بالعلم
كخادم السنة المرصوصة
على أصول لهم مقبولة
لدين الإسلام كانوا أخدم
سعوا وكل له نهج على
وأختيار لمن شاؤا بلا نقم
داموا على نشرهم من
أمة خير آلورى في العرب
يأرب زدني من العلم ومن
لهواً وسوءاً مع الأعلام
ووسعة للبرايا من أولي

فإنه قد أتى طبق الأصول
وكل ذلك من فضل الرسول
والحمد لله حمداً دائماً ابداً
ولاية تبعث من نور إيمانهم
مع الحضور لرب العالمين
آياتها واضحات عند أهل
وأهل علم علا في النهر آيته
والله اشهدهم مع الملائكة
وحصر خشيته في العالمين
ومنهم الفقه للاحكام قاطبة
والاجتهاد جهاد في طريق
فإن أصابوا لهم أجران دون
<276>

راعوا من اللغة والشرع
أفضال موله في الجود
ثم الصلاة على المختار في
مع التقى ودوام العهد
مراتب قد خصت بميزة
فاقرأ وقل يا إلهي هب من
هل يستوي حجة كفت
شهادة الوحدة لا سائر
وراثه الأنبياء لهم بلا نقم
ومنهم النشر والتبليغ للأمم
مداره كدماء الصدر في
أو اخطأوا فلهم أجر على

اجماعهم حجة في الدين
وَطَوَّعَ افرادهم آداب مذهبنا
نص الكتاب ونص سنة ثبتت
اليوم اكملت فيه حجة لمعت
وما سواها تكون بدعة وهوى
وكل ذلك من فضل الإله
صلى عليه الإله دائماً أبداً
وسره أن دين الله للأبد
والدين مع اجتهادٍ ثم مشورة
وكان ذلك في عهد الرسول
والناس كانوا على نورين في
من صبحه⁽¹¹⁶⁾ زمرة نالت
<277>

ورفضه الكفر او من بدعة
حجتها فاسألوا من دون ما
أمر أولي الأمر حسب
للعالمين كأنوار على علم
ومن مشى بالهوى مشى
محمد سيد للعرب والعجم
كذا على الآل والأصحاب،
مستوجب اجتهادا جاء
صافٍ عن الخطأ الآتي من
عهد الصحابة والاتباع
نور لروح ونور العلم
من كل باب بقدر جاء في

قوة الادراك والإيمان
حق الحضور بربط القلب
ما ناسب العبد حسب الحال
في العلم بالنص والتبليغ
قد أدتا واجب الانسان في
بل بالوفاق والاستمرار في
وفي مصابرة في الحكم

وزمرة نال بالعلم الغزير
أي منهم العارف الراعي
والفكر والذكر والجهد الكثير
ومنهم العالم الراعي لرغبته
فجاء سلسلتان من ذوي
بدون أي عداء بين ذاك وذا
وجاء دور التابعين في

وهذه فوائد للامة المعاصرة

الأولى ان للرسول صلى الله عليه وسلم مقاماً وجاهاً عظيماً
عند الله تعالى أفدتها بالنداء الآتي:

يا خير كل الأنام العرب
نشأ على ثقة الإيمان
إني أنا الرحمة المهداة
أي احترامك عند الله ذي

يا صاحب الجاه جاه ولا
بعثت مرحمة للعالمين لمن
تفسير آية بعث قد أتيت به
الجاه وجه وعز،

<278>

(عسى) بنسبة رَمَى⁽¹¹⁷⁾ مثل
فَالله يبعثكم يوم القيام على
أنت الذي حينما قد كنت
أنت الرسول بحق شاهدا
أنت البشير لأهل الخير في
بشرح صدر ورفع الذكر،
نَجاة أهل الكتاب باتباعك إذ

تفيد تحقيق ما يأتي من
مقام محمودكم بالعز
ما عذب الله قوما كان ذا
خير ورشد بقوا في منهج
أنت النذير لأهل الكفر
وبالْعطا والرضا منكم على
أنت الذي قد ختمت البعث

الثانية: أنه يصح التوسل بالرسول إلى الله

إن الوسيلة قرب الواصلين
أنت الذي كنت في موج من
إن الوسيلة معناها على
وتلك في الآية قرب العباد
<279>

بأي أمر سليم جاء بالقيم
وصاحب القرب أهل القدر
القرب من أي أمر كان في
قد من بالخلق والإحسان

وذاك شيء له الأسباب دون
من مثل الإيمان بالله
كذلك حب الرسول صاحب
كذلك رجاء الدعاء أو شفاعته
وربط ذلك بالجاء العظيم له
كأن تقول بحق المصطفى
كما دعا جمع اصحاب الرقيم
قال الرسول بحقي والذين
ونحن نرجو من الله الكريم
نرجو النجاة من الهلكات اذ
بحقه وبحق الأنبياء ومن
وكل ذلك اسباب لمقربة
<280>

من كل شيء سليم جاء في
والعمل الصالح والجود
أو الصلاة عليه من أولي
يوم الأسى والجفا والحادث
جاء جلا ظاهراً لعقل مفتهم
أهل الهدى والندى في الحل
أعمالهم عندما ساؤا من
دعا لفاطمة بالعفو والكرم
عفوا ومغفرة عن موجب
نرجو النجاة من الأمراض
أطاع ربه بالإخلاص والعزم
من ربنا منبع الإحسان

ومن نهى دون نهى جاء عنه
كذلك نرجو لنا التوفيق
وصحة القلب مع صون
أنت الشفيع بنص سنة ثبتت
من الذنوب ومما قد عصيت
أرشدت الأعمى إلى أن
دعوت ربك غفرانا لأم علي
ما دام أنت الرسول عين
نرجو شفاعتكم يوم القيامة
يا صاحب الجاه يا مولى
من كان صاحبكم بنور
ونحن نحنو إليكم في الغياب
<281>

مشى مشية العشواء في
حتى نقوم بخير خدمة الأمم
ومنحة الحس في اوقات
أقول يا سيدي أشفع علي
من كل ذنب كبير أو من
بحقك المرتجي من وافر
بحقكم وحقوق الرسل في
وإنك الرحمة المهداة للأمم
يحتاج كل الأنام الدفع للألم
شفيع يوم الجزا لكافة الأمم
نال العلا والحلا بالقدر
لنا مجال سوى التوجيه

الثالثة: السعي في زيارته صلى الله عليه وسلم -

دياره؟؟؟ زيارة الروضة
لِبَقْعَةٍ أَنْتَ فِيهَا صَاحِبٌ
مَنْ ضَعْفٌ أَوْ قُوَّةٌ لِلْعِزِّ
وَالْجَارُ بِالْجَنْبِ أَهْلُ الْجُودِ
عَدَهُ الْأَخْبَارُ مِنْ مُسْتَحْسِنِ
يُؤَيِّدُ الْبَعْضَ بَعْضًا فِي هَدْيِ
لِلزَّائِرِينَ رِجَالُ الْقَدْرِ وَالْقِيَمِ
طُوبَى لِمَنْ زَارَكَمُ بِالْقَلْبِ
حَتَّى يَنَالَ الصِّفَا مِنْ رَوْضَةِ
عَلَى رِيَاضِ جَنَّاتِ الْخُلْدِ

الرابعة: الجهد في الصلوات على الرسول

يَا أَخَوَاتِي نِسَاءَ الْقَدْرِ

إِنَّ الزِّيَارَةَ عَنْ حُبٍّ وَعَنْ
إِنَّ الزِّيَارَةَ مَعَ حُبٍّ وَمِیْمَنَةٍ
لَهَا جِزَاءٌ وَفَاقٌ مَعَ ارَادَتِنَا
فَإِنْ مِنْ زَارِكُمْ قَدْ صَارَ مِنْ
وَأَنْتَ رَغْبَتُنَا عَلَى الزِّيَارَةِ فِي
فَقَدْ أَتَى نَحْوَ عِشْرِينَ حَدِيثًا
إِذْ كُلُّهَا كَانَ يَهْدِينَا إِلَى مَنْحٍ
مِنْ زَارِكُمْ وَجِبَتْ لَهُ
طُوبَى لِمَنْ زَارَ حَبَا رَوْضَةِ
أَوْصَلَنِي رَبِّي مَقَامًا، قَدْ عَلَا

يَا إِخْوَتِي يَا رِجَالُ الْفَضْلِ

<282>

من عاقه عائق عن روضة
وهذه سهلة بالصلوات له
أفاد ذلك بعض العارفين به
فالصلوات صفاء القلب عن
وأجرها زاد عن حسابان
دليلنا أمر رب العالمين بها
وأمره مطلق خال عن العدد
ورغب المصطفى بها⁽¹¹⁸⁾ بلا
وعند ذكر الرسول
وبعد كل اذان جاء أمر بها
وكلها مطلق خال عن العدد
نعم اذا ورد النهي عن
<283>

بشخصه فليزر بالقلب
مع السلام بحب القلب
مجرب خالص عن كدرة
فيه كذاك نجاة القلب عن
وأمرها راجع لله ذي الكرم
مع السلام بترغيب لمغتنم
والسر الجهر يكفي ذا
لا سيما الجمعيات منبع
أجر مزيد عليها فادر وافتهم
من الرسول مع الدعاء في
والسر والجهر علو الصوت
في بعض الأحوال نقبله

لاسيما اجمع الناس عليها
وفي الفتاوى لأهل مصر
وما تلوت عليكم حق شرعته

عهد الصلاح بإصلاح لمزدهم
كسنة قد علت قدرا لدى
صلى عليك بقدر القطر من

الفائدة الخامسة

اجتهدوا أيها الإخوان عن
تجويده واجب وحفظه سنة
من كان حافظه فالله
تعلموا لهجة تفيدكم رجّة
أحسن بلهجة منشأوي فإن
كذلك لهجة عبد الباسط فلها
وعندنا الحافظ الخليل إن له
ان القلوب لها ادواء غفلتها
<284>

في فهم تنزيله ذا منبع
وفهم أحكامه بحر من
عن شر دنيا من الأسباب
من رحمة الرب ذي
نورا منيرا يزيد القلب في
بسط للأرواح في الإلقاء
يدا علينا بصوت رافع الغمم
دواؤها نور قرآن لمغتنم

لُدفع كل بلاء جاء بالنقم
فيها دواء لقلب حار في
"فيها الصفا والوفا بواجب
"لمنهج الدين يا طوبى

تلاوة المرء للقرآن كافية
مع الصلاة على المختار
دلائل الخير صلاة⁽¹¹⁹⁾ على
"صالحنا أيها الإخوان عودتنا

الفائدة السادسة

فإنه فرضنا طوبى لملتزم
صرف ونحو وفقه فرض
علم الحديث وتفسير
آداب بحث لأهل العقل
في عمل العامل ونظر
"محمد خاتم الرسل أولي
"كفاية فرضها عين لمحترم

ولازموا منهج التعليم للسلف
علم القراءة والتجويد
عقيدة، سيرة، بلاغة، وجبت
أصول فقه ودين منطق ثقة
وحكمة مخزن الخير الكثير
فإنها فرضت لفهم دين النبي
في درجات ثلاث دون
<285>

علوم دين لنا قد اسست
كتاب ربي أتى به نبي الهدى
مبيناً ما أراد الله منه وقد
فلم يكن حاجة لذكر مصطلح
بل لم يكونوا على استعداد
وجاء تأسيس علم النحو من
وجاء تدوين سنة بأمر عمر
وجاء علم أصول الدين عن
ودون الفقهاء مذهباً خصهم
وجاءنا بأصول فقهه
نعمان فالمالك: والشافعي
أتباعهم نشروا فقه المذاهب
<286>

للعلم بالدين حق العلم
وبلغ الكل من حرف ومن
بينه المصطفى للصحب
من خاص أو عام أو سواء
فإنه الفن والتدقيق للعالم
خوف اغتلاط لخلط العرب
ولد عبد العزيز الأموي
كذا التصوف فادر الأمر
حسب الكتاب وحسب
رسالة ارتضاها الدين
وأحمد بن بلال صاحب
أنحاء عالمنا بالجود والكرم

وجاء علم العروض والقوافي
وظهر المنطق المقرون
وظهر الصرف من أولي
ودونوا، علم انحاء القراءات
والأشعري السدي
ورزق أهل العلوم مطلقاً
أو طالباً أو إماماً أو خطيباً لنا
اذ عالم الدين محتاج لهم
من الغنائم أو فيء لنا حاصل
وليس من وقف خاص
ليسوا على حاجة إلى تبرع
نعم إذا جاءه التوفيق
<287>

خليل الخالص عن كل ما
في عهد مأمون هارون ابي
قد فصلوا النحو مثال
مضت لهم مائتان هجرة
جاءا بنصرة دين الحق
مدرساً مفتياً في الدين
سهم المصالح خمس
وعيشهم لازم من واجب
قسمة لله والرسول فاغتنم
وقف لعام فيستولي على
يمن من صاعه كالكيس من
بلقمة دون عيش السوء

وحسبنا لقمة تقيم صلبا لنا ان لنا أسوة في السلف

الفائدة السابعة

يا إخوتي لازموا التقوى	من صادقين أولي فضل
فإن مجلسهم نور لخاطركم	وانسهم جالب للفيض
العلم في المدرسة، والعقل	والأنس بالصالح من أفضل
ولا تكونوا مع الغفال في	ولا تموتوا مع الجهال من
إن الرفيق من التوفيق اذ	نعم الرفيق إذا قد كان ذا
لم يلق حظا سوى من	نعم الأمين لنا في الحل
وزورة المصطفى حياة	طوبى لمن زاره مشيا على
يا سيدي سندي يا قوة الكبد	أعني بالمدد والجود والكرم
ردا على من طغى في نشر	ولعبا بكتاب الله بالنقم
بظاهر النص من كتاب أو	وحكم الإجماع اذ مضى
بحيث لم يبق للمنصف من	في دينه من هوى لصاحبي
<288>	

وجاء علم البلاغة التي وجبت
بحيث يبدو بها الإعجاز في
وقد أتى زمرة مختارة
مثل البخاري ومسلم⁽¹²⁰⁾
وفسر العالم الممتاز تنزيله
توسع الناس في التأليف
جزاهم الله عنا حسب
إذ كلها واجب مجرب قاطع
وليس في دين الإسلام
فالأمة واحدة وربنا واحد
محمد الأرض محمود لدى
تكفى لنا آية الحجرات
<289>

لفهم أسرار نص الدين
وأذعن العقل للأسرار
بجمع ما صح من سنته
أحسن بهم قادة في خدمة
بمورد النص والأحكام
حسب حاجة أهل القطر من
بكل ما يستحقون من الكرم
والمنكر المانع في الجهل
ولا تعصب إلا من ذوي النقم
رسولنا واحد ذو الجود
وشافع الكل يوم الهول
والامتياز على التقوى

فاعتصموا بكتاب الله حجتنا
والتزموا منهج السلف أن
خذوا وصيتنا وهي نصيحتنا
والحمد لله حمداً دائماً أبداً
ثم الصلاة على الهادي وأمته
والنهي عن منكر بالسيف
وأجعل بقانا على التقوى
<290>

وسنة السيد المختار في
من ربهم ميزة في الحكم
وخدمة للرفاق من أولي
حمداً يوافي جميع الغيظ
من أمة الأمر بالمعروف
أو باللسان أو القلب
مع الكرامة والحسن

آله الكرام رضي الله عنهم

آل الشخص لغة: نسله ورهطه الأقربون وعرفا⁽¹²¹⁾: من نسل الجد الثالث. فيعم بهذا المعنى أولاد هاشم، ومطلب، ونوفل، وعبد شمس فإنهم أولاد عبد المناف، ولكنه صلى الله عليه وسلم خص آل بني هاشم وعبد المطلب عند تحريم الصدقات عليهم، وجعل حصتهم من الغنائم حيث قسم سهم ذوي القربى من خمس الخمس بينهم تاركاً غيرهم من بني عمهم نوفل. وعبد شمس مع سؤالهم له، رواه البخاري، وقال صلى الله عليه وسلم: ((إن هذه الصدقات إنما هي أوساخ الناس، وإنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد))، رواه مسلم. وقال: لا أحل لكم أهل البيت من هذه الصدقات شيئاً. ولا غسالة الأيدي، إن لكم في خمس الخمس ما يكفيكم أو يغنيكم، رواه الطبراني في معجمه الكبير، كما صرح به الجلال في شرح جمع الجوامع.

ويستفاد من الحديث الثاني أنه كما تحرم الصدقات على آل، تحرم على أهل بيته أيضاً، بما يشملهم صلى الله عليه وسلم وبين الآل، وأهل البيت عموم وخصوص ومادة⁽¹²²⁾ اجتماعهما سيدنا علي وفاطمة الزهراء وابناهما الحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين.

ومادة افتراق الآل غيرهم من مؤمني هاشم ومطلب، ومادة افتراق أهل البيت أمهات المؤمنين، وللكل الشرف بسبب العلاقة به صلى الله عليه وسلم على اختلاف درجاتهم. وللآل معنى ثانٍ أعم من الأول وهو: كل أهل التقوى من أمته صلى الله عليه وسلم.

ومعنى ثالث أعم منهما وهو: جميع أهل الإجابة والإيمان به صلى الله عليه وسلم. ثم أهل البيت كانوا عدداً محددين، وأما الآل

<291>

⁽¹²¹⁾ في المخطوط الأقربون عرفا

⁽¹²²⁾ في المخطوط وخصوص مادة

فيمتدون، إلى آخر الدنيا، ولكل منهم شرف واحترام بانتسابهم إليه صلى الله عليه وسلم وإن كان للصالحين مزيد ومرتبة عالية بحسب احتسابهم واتباعهم له صلى الله عليه وسلم وبالخاصة للأولياء الكرام، والأقطاب من أولاد الحسنين الممتد سلسلتهم الذهبية إلى يوم القيامة. فعلى كل مؤمن ومؤمنة بالله ورسوله احترامهم وتشريفهم من حيث والانتساب، فإن الذهب ذهب والحديد حديد، ولا منافاة بين ما قلنا وما تقرر في شريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في وجوب العمل بالآداب والأركان، وورود المعاتبات الدينية على من خالفها منهم، فإن الشريعة الإسلامية ومراعاتها هامة.

وقد قال تعالى خطاباً له صلى الله عليه وسلم: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ * وَخُفِضَ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرِيءٍ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

ثم ذكر المحققون من علماء الإسلام الأشراف⁽¹²³⁾ الانتساب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعم جميع أولاد بناته صلى الله عليه وسلم لكن لم يبق لهن ذرية بقضاء الله، ولو كانوا باقين لكان لذرية فاطمة الزهراء امتياز عنهم لاختصاصها بفضائل عديدة ومزايا مهمة من اختصاصها بصحبة الرسول صلى الله عليه وسلم ومزيد اعتناؤه بها، وزواجها من علي بن أبي طالب حبيبته وخاصته صلى الله عليه وسلم ولدوام اشتغالها بالطاعات رضي الله عنها وعنهن آمين.

وقد تقرر عندكم مما ذكرنا أن أمة الحبيب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خير أمة أخرجت للناس، وإن الصحابة الكرام، وأهل بيته الطاهرات وآله الموجودين في صحبته أسبق طبقة من الأمة في الخيرية، يليهم التابعون الذين رأوا أصحابه صلى الله عليه وسلم ويليهم تابعو التابعين الشاملين للأئمة المجتهدين وسائر أصحاب الفضل منهم، كما نص على ذلك صلى الله عليه وسلم بما روي عنه ((خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)) أو كما قال.

<292>

فيجب على كافة أهل الإسلام احترام أهل القرون الثلاثة، ومن خالف ذلك خرج من عقيدة الجمهور وما له من نور. وكيف لا وقد حاز أمثال الحسن البصري، وأويس القرني، وأبو أنس الخولاني أعلى مراتب الشرف في الأمة حتى وقع الكلام في أن الثلاثة أيهم خير من الآخرين، ومن سائر الأمة.

كما أنه يجب عليه اعتقاد أن الأئمة الأربعة المجتهدين أبي حنيفة نعمان. بن ثابت الكوفي، ومالك بن أنس، والشافعي⁽¹²⁴⁾ محمد بن إدريس وأحمد بن حنبل الشيباني من أكابر الأئمة المجتهدين، ويجب تقليد مذهب واحد منهم.

سائر الأمة وخصوصاً الأولياء والعلماء

والكل داخل في دائرة الإسلام ومن أصحاب النصيب في الخيرية بحسب مستواه من الأعمال الصالحة والإخلاص فيها وفي الاعتقاد لاسيما الأولياء الكاملون والعلماء العاملون، ومن سعى في خدمة الدين وأهله بحسب مستواه. ومما يجب أن يعلم على نصوص القرآن الكريم أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعثه الله رحمة للعالمين وجعله مظهراً لأنوار رحمته وتجلياته، وأنه جاء على جناحين بهما يطير في ملكوت المقامات العالية.

الجناح الأول: حضوره مع الله تعالى، وإخلاصه له، وعدم غفلته منه. طرفة عين كما قال تعالى خطاباً له: ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾، ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾.

الجناح الثاني: التبليغ للقرآن الكريم وللعقائد والأحكام حتى استقرت الشريعة الإسلامية، فليس الرسول رسول الاختصاص بالغيب بدون العلاقة مع الناس، ولا رسول العلاقة بالناس مع الغفلة عنه تعالى، وهذا أمر ظاهر جلي من ملاحظة قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، ومن

<293>

ملاحظة أن العبادة لا يمكن بدون العلم وقال تعالى: هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

وبدون الاخلاص والخشوع، والإخلاص في الخشوع كي لا يشوبه، هوى النفس وبالترغيب في تزكية النفس عن الرذائل، وتحليتها بالفضائل، وقال تعالى: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَكَاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا، ولا شبهة في أن ذلك يحتاج إلى مجاهدة وسعي في التزكية والتحلية، فقد قال تعالى: وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ، ومن أهم أسباب الوصول الى الغاية القصوى المصاحبة مع المحبة للصادقين. فقال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ، فإن في صحبتهم محاورة واستفادة من كلماتهم وتنورا من أنوار قلوبهم، وذلك معلوم لكل منصف، ولا سيما مجاورة سيد الصادقين، وهو الرسول الأكرم الذي لقبه ربه بالسراج المنير وقال: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (45) وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا فليس ما أفاده الرسول جانباً واحداً بل أفاد جانبين:

الأول: النور والحضور مع الله.

الثاني: العمل والإخلاص وتطبيق الأحكام بحق لنفسه ولمن أمكنه تطبيقه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: ((ما رجع أبو بكر عليكم بكثرة صلاته وصيامه وإنما رجع بشيء وقر في صدره)) . ومعلوم أن ذلك هو النور، والاطمئنان فأمة الحبيب صلى الله عليه وسلم كلهم في خير، ومن اقتبس من نور صدره فقد عاش سعيداً في عمره، ومن أخذ من تبليغاته للأحكام فقد فاز بحظه في الإسلام فلا يياس أحد منهم، من أخذ جانباً من الرحمة، ومن اقتبس من النورين فله نور على نور، ولا يخفى أن الصحابة كلهم فازوا بالنورين حسب مستواهم وإن من ممتازيهم في ذلك الخلفاء الراشدون فاقتبسوا من النورين وأفادوا بهما الأمة الإسلامية، ألا ترون أبا بكر، وما أفاده سلمان الفارسي، وما أفاده سلمان قاسم بن محمد، وما أفاده قاسم ابن بنته جعفر الصادق رضي الله عنهم. وكذلك انظروا إلى ما

أفاده علي كرم الله وجهه لأولاده الحسنين ولخواص اتباعه وبالاخير للحسن البصري وإفادة الحسن لتلاميذه فجاءت هذه السلاسل ممتدة في العالم، وكلهم من رسول الله مقتبس، غرfa من البحر، أو رشفاً من الديم وقدامهم الأولياء من أهل تلك السلاسل الذهبية بالأذكار حسب مناسبة طبائعهم وازمنتهم وأمكنتهم، فأفادوا وأجادوا وكل ذلك خير ولاحد للذكر والأوراد، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (41) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾، ومن عاندهم فقد عاند كتاب رب العالمين، فقد جاء فيه ما يفيد أن الولاية والمحبة لله تعالى على درجات أربع:

الأولى: تحصل من أصل الإيمان بالله وبرسوله، وإن كان ميثوباً بنوع من المخالفات، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، لأن الإيمان أساس الأمان، وعماد الرشاد.

الثانية: التقوي وهي الاتقاء والابتعاد عن الكفر حتى يصير الإنسان مسلماً، والابتعاد عن الكبائر حتى يصير عادلاً، والابتعاد عن الدنيا حتى يصير واصلاً إلى درجة الإنسان، السليم، والدليل عليها قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلِيَاءُؤُهُ إِلَّا الْمُتَفُؤُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.

الثالثة: الاستقامة والدوام. فإن الاستقامة خير كرامة، والدليل عليها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (30) تَخُنْ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (31) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾

الرابعة: الحضور ومراقبة الله في كل وقت بقدر المستطاع وهذه من درجات الرسل الكرام، وأهل الكمال والتكميل من الأولياء رضي الله عنهم أجمعين، ومنهم الحائزون للدرجتين وهم الأئمة المجتهدون في الدين،

والعلماء العاملون الربانيون الذين أخلصوا دينهم لله واستنبطوا الأحكام من الكتاب والسنة بحسب توفيق الله تعالى لهم، ودونوا مذاهبهم الموافقة للغة الكتاب والسنة ولعرف الشرع فيهما، ومارسوا ودرسوا وكتبوا، وأفادوا، وأجادوا فأغنوا الأمة الإسلامية من بابي الاعتقاد والأعمال.

ومنهم أئمة الاعتقاد الإمامان أبو الحسن الأشعري، وأبو منصور الماتريدي، وأصحاب الصحاح من المحدثين الذين سعوا في رعاية السنة النبوية حق الرعاية فجزاهم الله عن المؤمنين والمؤمنات خيرا- وتبعهم سلاسل نورية قدسية من الأولياء من الحسن البصري الى سيد الطائفتين جنيد البغدادي ومن بعده الى سيدنا الشيخ عبد القادر الكيلاني وأقرانه من الأولياء، ومن بعدهم الى سيدنا محمد الأويسى البخاري المعروف بشاه نقشبند، والإمام الرباني، ومن بعدهم الى عصورنا من السادة المتبعين للسنة السنية، ومن العلماء المخلصين المجاهدين في تربية الطالبين بكل اخلاص وايمان وأمان فرضي الله عنهم أجمعين

وهنا وصايا مهمة

الأولى: مما يجب علمه واعتقاده أن للأنبياء والرسل الكرام ولسائر العباد الصالحين درجات عند الله تعالى سواء كانت من المواهب الربانية الصرفة أو من الجزاء على درجات جهودهم في سبيل الله تعالى قال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾، وقال تعالى في شأن الرسل: ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ﴾ الى غير ذلك من الأدلة الواضحة الدالة على اعتبار الدرجات بين العباد ولا سيما قوله تعالى في شأن الرسل: ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُضْطَفِّينَ الْأَخْيَارِ﴾، وآخر سورة الصفات. كما لاشك في أن الرسول سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين

وله درجات عالية واختصاصات جليلة من الله تعالى منها عموم دعوته الى كافة الناس، ومنها اختصاصه بمعجزة القرآن، ومنها امتياز به بالخلق العظيم، ومنها حفظ الذكر الذي أنزل عليه ومنها اختصاصه بالسماح عن عقاب المجرمين وعذابهم مادام الرسول حياً باقياً فيهم، ومنها اختصاصه بالشفاعة الكبرى. وفي كل ذلك جاه له صلى الله عليه وسلم أي وجه شرف فإن الجاه مقلوب الوجه، كما تقرر في علم الصرف إن للانسان جاها بأعمال نفسه من الصالحات.

الوصية الثانية: جواز التوسل بجاه الرسول صلى الله عليه وسلم

وذلك واضح عن جلاء عند كل عالم له بصيرة في الأمور، فبعد ثبوت ذلك الجاه هل يجوز الدعاء والالتجاء إلى الله بها؟
الجواب: نعم.

فقد ورد ولاشك أن أصحاب الرقيم دعوا الله سبحانه وتعالى وطلبوا كشف الضر ورفع البلاء، وفتح باب الغار عليهم بما قدموه من الاعمال الحسنة. كما ورد أن الرسول صلى الله عليه وسلم دعا لفاطمة بنت أسد (أم علي بن أبي طالب رضي الله عنه) بقوله المروي: اللهم بحقي وحق النبيين قبلي إلا غفرت لفاطمة أُمي، يعني أمه في التربية والحضانة والخدمة المبذولة منها له صلى الله عليه وسلم.

وورد أن الرسول علم الضرير أن يدعو ربه سبحانه وتعالى بحق الرسول محمد صلى الله عليه وسلم لكشف العمى عنه، وقد دعا واستجاب الله دعاءه. كما ورد أنه صلى الله عليه وسلم أرشد الناس الى أن ينادوا عباد الله الصالحين بالمأمورين بمعونة المضطرين إذا تاهوا في الطريق المهجورة والصحاري، وبين لهم أن لله تعالى عباداً لتلك الأمور الهامة، ولا عجب في ذلك فإن خواص البشر أفضل من خواص الملائكة في عقيدة المسلمين، والملائكة مأمورون في الدارين للأعمال المقررة عليهم كما هو معلوم.

إن الله تعالى أمر بابتغاء الوسيلة إلى الله والوسيلة مصدر بمعنى القرب، والقرب شيء ممكن له أسباب عند الله تعالى. ومن الأسباب الإيمان بالله والرسول والأعمال الصالحة والعقائد الحسنة، وحب الرسول، والصلاة عليه، ونصرة دينه الكريم، وتعزيزه، فثبت أنه يجوز للمسلم أن يقول: يارب ارحمني ببركة إيماني أو أعمالي الحسنة أو محبة الرسول صلى الله عليه وسلم أو ببركة الرسول صلى الله عليه وسلم أو آله، أو صحبه، أو الناس الصالحين الآخرين، ولا فرق بين التوسل بدعاء الأموات والأحياء لأن المنشأ هو الروح والروح خالدة أبداً، ومن فرق بينهما فقد ابتعد عن الصواب. وذلك لأن الحاصل من الأحياء والأموات الدعاء واللجوء الى الشفاعة⁽¹²⁵⁾ ومن عارض ذلك باستنكار الباري تعالى شفاعة الأصنام فقد ضل ضلالاً بعيداً لأن الأصنام اعتبروا شركاء لله معبودين، وهي جمادات وعباد الله الصالحون لهم شفاعات بنصوص الآيات الكريمة.

الوصية الثالثة: الترغيب في زيارة الرسول صلى الله عليه وسلم

لا شك أن الرسول هو المبعوث رحمة للعالمين، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين وأنه بلغ كتاب الله حق التبليغ، وله على الأمة حقوق لا تحصى، فإنه كان سبباً لإخراج العباد من ظلمات الجهل الى العلم، ومن الكفر الى الإيمان، ومن الفوضى الى النظام، ومن البسطة والغباوة الى الدقة وفهم الحقائق والأسرار والاستعداد لتلقي الأنوار. فحقوقه أكثر من حقوق الوالدين بمراتب لا تعد ولا تحصى.

وقد قال صلى الله عليه وسلم: ((من لم يشكر الناس لم يشكر الله))، فثبت بذلك أن شكر الرسول واجب، ومن شكره محبته ونصرة دينه وإعرازه، وخدمة أمته والتعاون معهم، ومما يعد من هذا الباب زيارته صلى الله عليه وسلم وأخذ النور، والانشراح من نسمات روضته الشريفة،

<298>

ونغمات روحه اللطيفة، وقرب الأشباح مع الأرواح منه صلى الله عليه وسلم وقد وردت في الموضوع أحاديث شريفة يؤيد بعضها البعض، وعليه فزيارته صلى الله عليه وسلم من مهمات المسلمين أينما كانوا. وقد جربت منافع الزيارة الشريفة، فكم من مريض القلب شوفي بها؟ وكم من مبتلى عوفي منها؟ وكم من ضعيف الإيمان تقوي بزيارته صلى الله عليه وسلم رزقنا الله تعالى بفضل زيارته مرات.

الوصية الرابعة: الترغيب في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم

لاشك أن الصلاة⁽¹²⁶⁾ عليه صلى الله عليه وسلم مما أمر الله تعالى به بدون حصر وتقييد، كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم رغبنا في الصلاة⁽¹²⁷⁾ عليه في روايات، وتلك الأوامر والروايات أحكامها أحكام المطلقات عن الكمية والكيفية، سراً وجرهاً، ليلاً ونهاراً، خلوة وجلوة إلا في مواضع معينة نهى عن تلاوة القرآن والأذكار والصلاة فيها كوجود النائم، والمريض، والمشغول بمهمة تمنعه العبادات الجهرية، فعلى ذلك فالصلوات عليه صلى الله عليه وسلم صلة بين الرسول وأمتة صلة متينة قوية واطلبوا دوام هذه الصلة. ولا تسمعوا كلام اللغة ودعوى أنها بدعة. لأنهم لم يفهموا أن البدعة أمر خارج من الكتاب، والسنة، والاجماع واجتهاد المجتهدين. ولا سند عندهم إلا تبعية الفسقة المحرومين عن بركة الصلاة⁽¹²⁸⁾ عليه صلى الله عليه وسلم والدليل على ذلك أنهم ليس لهم اتباع للسنن الثابتة؛ كتلاوة القرآن وفعل الجماعات والرواتب وصلاة التهجد، وغيرها من الطاعات. فكلام أولئك حشو لا قيمة له.

ومما يجب أن يعلم أن سلسلة الصالحين ليست منحصرة في عدد محدود بل كانت كثيرة وافرة بحسب الهامات الله تعالى لهم فقد قال: **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**، والطرق الى الله كثيرة

<299>

⁽¹²⁶⁾ في المخطوط الصلوات

⁽¹²⁷⁾ في المخطوط الصلوات

⁽¹²⁸⁾ في المخطوط الصلوات

بعدد أنفاس الخلائق، ومن نسب أولئك الصالحين وأتباعهم الى البدع والأهواء فقد ضل ضللاً بعيداً. فإن الكتاب والسنة مملوءتان بمدح أهل التقوى والصلاح والإرشاد، وكيف يكون العاملون بالأصول خارجين من أهلها؟ وأبعد من ذلك الاستدلال بأن تلك الأمور لم تكن في عهد الرسول والخلفاء الراشدين، فإن ذلك ناشئ من عدم فهم معنى السنة والبدعة حسب الشرع، فإن السنة هي العمل بالكتاب والسنة على وفاق دلالاتهما الأربع وبالإجماع والاجتهاد، وما عدا ذلك يسمى بدعة شرعية، وضلالاً. وإلا فدين الإسلام دين خالد وتحتاج الأمة في كل عصر الى معالجة أمور واجبة من أمور العلم والتعليم والإرشاد والصحة والاقتصاد، والدفاع عن حوزة الإسلام في ما هو مستطاع، وإلا لزم أن يكون وجود محارِب المساجد، والمنائر، والمدارس، ودور القضاء، والافتاء والترتيبات العسكرية... وأمثالها ضلالاً وفساداً، والعياذ بالله من هذه العقيدة الفاسدة.

والضابط في الموضوع النهي في النصوص فكل ما نهى عنه الرسول فهو حرام، أو مكروه، وغيره إما: واجب، أو مندوب، أو مباح، ولا أقل من ذلك، والرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن المحدثات بصيغة اسم المفعول من باب الإفعال وهي المفتعلات الخارجة عن الدين، وعن⁽¹²⁹⁾ الحادثات المندرجة في باب الاجتهاد والاستنباط. وقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾. هذا ولم تنزل الأمة الإسلامية من الصحابة ومن بعدهم عليها الى يوم القيامة⁽¹³⁰⁾. أما الصحابة فقد أخذوا الكتاب من الرسول وبين لهم مراده تعالى منه عموماً وخصوصاً، وحقيقة ومجازاً، بحيث افهموا حقيقته المرادة. ولم يكن وضع الصحابة الحاضرين مناسباً لوضع القواعد والمصطلحات الفنية لبعدهم عنها ولاشتغالهم بأهم منها كالجهاد والإرشاد، بل اكتفوا بما تلقوه من الرسول. صلى الله عليه وسلم وكان فيه كفاية لهم. ألا ترى أن الصحابة بعد عهد

<300>

⁽¹²⁹⁾ في المخطوط لا عن

⁽¹³⁰⁾ في المخطوط الدين

الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا في أشد الحاجات الى المشاورة لتحصيل العلم ببعض المشاكل الواردة، ولما جاء دور التابعين، ودور اختلاط الناس بعضهم ببعض، وظهرت المشاكل في الأمور.. احتاجوا إلى الاجتهاد والسعي في تقرير الأصول والفروع.. وذكر الخاص والعام، والمطلق والمقيد والحقيقة والمجاز وغيرهما، فحقق المحققون من العلماء معاني الكتاب والسنة بحيث اكتفوا بها ووجه اختلافاتهم الاختلاف في المعاني اللغوية والعرفية وعدم وصول بعض البيانات النبوية اليهم لموت أصحابها واعتماد بعض منهم على رواية⁽¹³¹⁾ بعض الناس لثبوت قاده فيه عنده. والاختلاف في وجوه التخصيص، والتقييد وزمان ورود التنزيل، والناسخ والمنسوخ، وغير ذلك مما ذكر⁽¹³²⁾ في أسباب اختلاف المجتهدين وإلا فمتى ظهر النص القاطع لم يكن اختلافا قطعياً، كما أنه لم يكن بينهم حزازات وسوء تعبير لأي واحد منهم بالنسبة الى الآخر⁽¹³³⁾، وإن كنت في ريب من ذلك فطالع كتب المجتهدين الاجتهاد المطلق هل ترى في كتاب واحد مخاصمة الآخرين ورميهم بشيء من سوء؟ معاذ الله!

ثم كان تدوينهم حسب ما وصل إليه أفكارهم من فهم الكتاب والسنة حسب اللغة العربية والعرف الخاص والعام، والحقائق والمجازات، والمشتركات اللفظية والمعنوية، ومعاني الحروف وغيرها. كما كان اختلافهم في السنة النبوية من جهة الاختلاف في التواتر، والآحاد، والصحيح، والحسن والضعيف، وما له إسناد قوي أو لا، وعلى كل حال فأمرهم كانت مبنية على الاخلاص والخدمة للإسلام والدين والكتاب والسنة وحفظهما ورعايتهما. ألا ترون أن الخلفاء الراشدين وعلى رأسهم الصديق جمعوا القرآن في الصحايف الجلدية خوفاً من ضياع بعض الآيات من موت الحفاظ أو ضياع قطعة مما كتب عليه بعض آيات، وجمع عثمان له كان من خوف اختلافهم في القراءات حتى أمر بجمعه على لغة قريش أفصح اللغات لتوحيد الأمة، وأمر بكتابة باقي القراءات على الهامش لصيانتها.

<301>

⁽¹³¹⁾ في المخطوط برواية

⁽¹³²⁾ في المخطوط ذكره

⁽¹³³⁾ في المخطوط الآخرين

وهذا العمل مما اشترى به الجنة مرة ثالثة؟ وألا ترون أن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه لما خاف من الغلط في قراءة القرآن الكريم من اختلاط العجم بالعرب، والعرب العرباء بالمستعربة أسس علم النحو لبيان العامل والمعمول والعمل، وضبط الشكل حسب النزول؟ والقدماء لما مارسوا قواعد النحو على تأسيسه نظروا للحاجة إلى علم الصرف لمعرفة مصادر الكلمات ومشتقاتها مجردها ومزيدها، حتى يعلم الفرق بين فرح وفرح بالتخفيف والتشديد، وكرم وأكرم من المجرد والمزيد، والأفعال الماضية والمضارعة، والأمر والنهي، والمؤكد وغير المؤكد، وأسماء الفاعل والمفعول، والصفة المشبهة وأفعال التفضيل والتعجب، وأسماء الزمان والمكان، وأسامي المصادر حتى يكون الناظر على بصيرة في فهم الكتاب والسنة.

وأمر عمر بن عبد العزيز بتدوين الأحاديث الشريفة حتى لا تضيع بينات الرسول وإرشاداته القيمة، ثم رتبوها على أبواب العبادات والمعاملات، والأحوال الشخصية والجنايات، والدعاوى والبيانات وما تفرع منها.

وألف الإمام الشافعي رسالته في أصول الفقه لبيان ما حواه الكتاب والسنة من العام والخاص، والمطلق والمقيد والحقائق والمجازات وغيرها مما يطول ذكره ويحتاج إليه المسلمون أشد احتياج.

ألا ترون أن الله ألهم جمعاً من العلماء تأسيس علم البلاغة لمعرفة أسرار القرآن الكريم، وأسباب إعجازه لبلغاء العالم؟ فإن بمعرفة ذلك يتبين معجزته وتظهر عظمة الكتاب والسنة السنية على صاحبها الصلاة والسلام، ثم ألفوا أصول الدين لكسب العقائد الإسلامية ورد أهل البدع والأهواء والعند للإسلام ونصرة الحق أينما كان، وبذلك شيدت أركان الإسلام. ثم ألفوا وشرحوا وفصلوا علم المنطق لمعرفة التعاريف وطرقها، والأدلة القاطعة ومقدماتها وترتيبها، ورعايته لإنتاج النتائج القطعية، وإلا لم تبق ثقة بالعلم والعلماء، وعدم الفرق بين الحق والمبطل، ولذلك قال حجة الإسلام الغزالي: من لا يعرف المنطق لا ثقة بعلمه.

ثم ألفوا علم البحث والمناظرة حتى إذا أرادوا إظهار الحق في باب من الأبواب وصلوا إليه، ويعرف العالم من الناقل ومن المدعي وما هو وضية؟؟؟ وظيفة المقابل في مقابلتهما، وكيف تدور الأسئلة والأجوبة.

ثم أخذ علماء الإسلام في تأليف التفاسير للقرآن الكريم، والشروح للأحاديث الشريفة، كما أخذوا في تأليف الكتب من أي علم لمناسبة الزمان وأهله حتى يطمئن المسلمون من أصول دينهم الشريف.

وبما ذكرنا من هذا النموذج تبصرتم في فهم أسباب الاجتهاد وتوسيع دائرة العلوم وتأليفهم فيها، كما أنكم وصلتكم إلى أن الإسلام في أجمع حاجة وأشدّها لتعلم سائر العلوم التي تحتاج إليها أمة الإسلام من علوم الطب والاقتصاد، والدفاع، والهندسة، وسائر الرياضيات، وتأسيس مدارس لكل ذلك كما يحتاجون لبناء المدارس الإسلامية من كل باب. والضابط أن كل ما تحتاج إليه الأمة فتعلمه مفروض إما فرض عين أو فرض كفاية، وأن الإسلام لم يتوقف زماناً من الأمر بالعلم والتعليم ومباني التقدم الحضاري الشريف بحيث يعود بالمنافع إلى الأمة كلها وذلك هو أدب الإسلام والمسلمين.

ومما يجب علمه أنه لا يمكن الوصول إلى معرفة الكتاب والسنة لا بالعلوم التي ذكرناها، وإن ترتيبها واجب على درجات:

الأولى: الابتدائيات المحتوية على ست سنوات لمعرفة القرآن الكريم وتجويده وحفظه كله إن أمكن، أو آيات الأحكام، والأخلاق، والوعظ العام، ثم معرفة العقيدة الإسلامية باختصار على ما يجب، ومعرفة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسيرتهم، وسيرة السلف والأئمة المجتهدين، وأنهم على هدى من ربهم، وأنهم قادة الإسلام والمسلمين، ثم معرفة أحكام العبادة، ودروس مضبوطة محفوظة فيها ثم معرفة مجمل من تاريخ الإسلام والسلف الصالحين.

ثم معرفة الرسائل الصرفية وأهمها تصريف الزنجاني مع شرحه للشيخ إبراهيم الشهراني، أو كتاب اعلال الصرف، أو كتاب الصرف الواضح الذي ألفته للمبتدئين⁽¹³⁴⁾، وهذا الكتاب كترجمة لشرح تصريف الزنجاني.

ثم كتاب العوامل المؤلف على ما قرره عبد القاهر، ورسالة مفتاح الآداب الذي ألفته لهم، والأجرومية، والقطر، وشرحه، وشذور الذهب لابن هشام على أرواحهم رضوان الملك العلام، وأعتقد أن كتاب شرح الأنموذج للزمخشري أحسن كتاب في درس الابتدائيين.

ثم كتاب الاظهار للبركوي وشرح تصريف الزنجاني المعروف بتصرف الملاعلي لكن بوجه دقيق عند أستاذ فاهم لطريق التعليم، ثم كتاب خلاصة البيان في علمي الوضع والبيان الذي ألفته لهم، ثم كتاب شرح مولانا نور الدين عبد الرحمن الجامي فإنه لم يسبق بمثله ضبطا وصحة وإفادة رحمة الله عليه. ثم كتاب السيوطي شرح ألفية ابن مالك، وإن أمكن فكتاب الفريدة لجلال الدين السيوطي رحمة الله عليه، وعليهم أجمعين.

ثم بعد الابتدائيات المذكورة يدخل الطالب في الدرجة الثانية لعلم المنطق، وآداب البحث وأعتقد أن أول كتاب يدرس في المنطق رسالة المفتاح لي، ثم رسالة الورقات، وبعدهما يقرأ كتاب المقالات في المقولات، ثم رسالة العزيزة، ثم رسالة الوجيهة، وهي تأليف لي⁽¹³⁵⁾، وألفتها بوجه مرتب مضبوط مجرد عن الأشياء الصعبة، ثم كتاب تهذيب المنطق مع حاشية عبد الله اليزدي، ثم كتاب البرهان في المنطق وهذا أنفع كتاب في المنطق وأفيد، ثم يشتغلون برسالة الآداب للكلينوي، وبذلك يتعاملون في المنطق وآداب البحث على الوجه المرضي المعتاد.

الدرجة الثالثة: معرفة البلاغة في ضمن التلخيص، ومختصر المطول، ودرس المطول بطول⁽¹³⁶⁾ شرح فوائده، فهو كتاب مستوعب لعلم البلاغة، وتفسير الآيات الحكيمة الدقيقة، وكشف الأسرار مقتضيات الأصول، وفهم لدقائق

<304>

⁽¹³⁴⁾ في المخطوط للابتدائيين.

⁽¹³⁵⁾ في المخطوط من تأليفاتي

⁽¹³⁶⁾ في المخطوط يطول

العربية بحيث يصل الإنسان بمعرفته ومعرفة حواشيه من السيد والسعد، وعبد الحكيم إلى ذروة العلوم العربية وعلى معرفة أمثال تلك الكتب ترقى من ترقى، ووصل الى الغاية القصوى من الدقائق والأسرار.

وفي ثاني هذه الدرجة دراسة شرح العقائد للسعد التفتازاني نور الله روحه مع ملاحظة حواشي الخيالي وتعليقات عبدالحكيم، فإنها أزال حجب الغفلة والجهالة عن القلوب، ووصلت الى ما يمكن الوصول إليه عادة من فهم دقائق العقائد.

وفي ثالث درجاته: دراسة أصول الفقه من كتاب جمع الجوامع. أو المستصفي لحجة الإسلام أو مختصر المنتهى، ودراسة كتاب تقريب المرام في شرح تهذيب الكلام، وإن ساعدكم التوفيق فباشروا بالسعي في درس نظم الفضيلة، لمولانا عبد الرحيم المولوي مع شرحي عليه بعنوان الوسيلة فإنه شرح أخذته من تحقيق عبد الحكيم السبالكوتي علي الخيالي، وشرح المواقف، وهو كتاب نافع جداً، وإذا درسته استأنست به. والله الموفق.

وفي أثناء كل تلك الدرجات عليكم بدرس الفقه الشريف مما عليه مذهبكم مذهب الإمام الشافعي المطلبى مع ملاحظة سائر المذاهب رضي الله عن أصحابها اجمعين وعليكم بدرس اصول الحديث الشريف كألفية العراقي وشرحها للقاضي زكريا الأنصاري، ودرس كتاب من كتب التفاسير كالمدارك، وأنوار التنزيل للبيضاوي رحمهما الله تعالى.

وإذا ساعدكم التوفيق فادرسوا الرياضيات من أمثال تشرح الأفلاك وحواشيه، وشرح ترشيح الإدراك للعلامة الملا حسين البشدرى رحمه الله ورسالة الحساب للعاملى مع شرح الجواد، ورسالة في الهندسة، وعليكم بمعرفة جغرافيا العالم، ولاسيما جغرافيا الوطن الإسلامى وتاريخ الإسلام من الأول إلى عصرنا، ولاسيما تأريخ العلماء كأمثال ابن خلكان وكتاب علماؤنا في خدمة العلم والدين.

وإياكم أن تسمعوا كلام الجهال المتسترين بكسوة العلماء المتعللين بأنواع العلل المروقة صورة والمغلوطة حقيقة، فإن علماء الدين ورثة الأنبياء والمرسلين وشئونهم أعلى من ملاحظة حطام الدنيا الدنية فإنها فانية والآخرة خير وأبقى، واعلموا أن رزقكم من سهم المصالح من خمس الفيء، وخمس خمس الغنائم، وإن كنتم في ضيق المعيشة فتذكروا قوله صلى الله عليه وسلم حيث يحمل الأحجار لبناء مسجده الشريف:

((اللهم إن العيش عيش فارحم الأنصار والمهاجرة))

لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة. وعليكم بمراقبة الله تعالى، وشمول علمه بأنفسنا، وأعمالنا، وأحوالنا وقدرته علينا، وبلاستعداد لقبول تجليات رحمته، فإن لله تجليات على عباده ولا تكونوا من الغافلين. وعليكم بدوام الذكر وأهمه الاشتغال بالعلم إفادة واستفادة **أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**، وعليكم باجتنب أهل الغفلة إلا بمقدار الضرورة فإن الضرورات يبحن المحظورات، وعليكم بالتقوى وصحبة الصادقين، قال تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**. هذا ونختتم سطورنا وننور صدورنا بقوله تعالى: **رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ**.

فرغت بحمد الله تعالى عن كتابة هذا الشرح ضحوة يوم الثلاثاء الثلاثين من شوال سنة ألف وأربعمائة وثلاث عشرة هجرية. المصادفة يوم الحادي والعشرين من الشهر الرابع من سنة ألف وتسعمائة وثلاث وتسعين ميلاديا. صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين بإحسان إلى يوم الدين، وأنا المؤلف الخادم للدين عبد الكريم محمد المدرس في مدرسة حضرة الشيخ عبد القادر الكيلاني ببغداد. 306<

هذاكَ تنبيه لأصحاب الشرف
اليوم أكملت لكم دليل
إذ ديننا إما اعتقاد أو عمل
أو حكم الاجتهاد من أهل
واستشارة مع التعاون
وكل ذا يوجد في القرآن
يأمر بالإطاعة لله
و بإطاعة أولي الأمر بما
هذه الأربعة تكفيها
وما عداها ليس من دين
بعد انتقال السيد المّعلي
قد الهم الفاروق بالتوفيق
تتابع الناس عليه جهرا
ثم أتوا بالبيعة لحضرته
لازمه العلي في حرب
وكتب الصديق في حياته
وبعد استشهاده كما ترى
بعد اختيارهم على عثمان
انتقل الامر الى العلي
وتم امره على شرافة
سوى زمان قل للمولى
وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.
<307>

من فرقة السلف أو من
إن الكتاب للورى كفيل
أو ابتعاد النفس عن سوء
من فرد أو جماعة أولي مدد
واعتماد جل عن تباين
فالدين قد اكمل للإحسان
وبإطاعة رسول الله
يشمل الاجتهاد عند العلماء
وعن بلاء جهلنا يشفيها
طوبى لمن بما حمل قد
الى لقاء ذاته تعالى⁽¹³⁷⁾
بالبيعة للصادق الصديق
تخلف العلي لغم الزهرا
ولازمو مدته في محنته
من اهل ردةٍ وسوء للادب
خلافة الفاروق من ثباته
فوض امره الى جمع يرى
شهيد بيته على القرآن
بدون أي فارق جلي
وبعد ذاك تمت الخلافة
به انتهت خلافة يال الحسن

⁽¹³⁷⁾ هذا البيت والذي بعده قام حضرة الشيخ رحمه الله باضافته
للكتاب بعد طباعته، وثبتت هنا بالاعتماد على تسجيل صوتي
بصوت حضرة الشيخ رحمه الله تعالى ورزقه الفردوس الأعلى.

فهرس الكتاب

الم فحة	الموضوع
4	المقدمة.
6	اختيار الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.
9	والدا محمد صلى الله عليه وسلم.
12	الاحتفال بمولد الرسول.
14	اباء الرسول.
16	بشائر مولد الرسول.
18	شربه للبان الام وحليها.
19	ما حصل لابي لهب ببركة مولد الرسول.
20	شق صدره الشريف.
22	السعد الاول - بداياته.
25	السعد الثاني - زواجه.
27	السعد الثالث - تحنثه.
32	السعد الرابع - مبعثه.
36	أوائل من آمنوا به.
38	اوائل الوحي.
38	الهجرة الى الحبشة.
41	الحصار.
44	خوارق رسول الله.
45	انشقاق القمر.
48	السعد الخامس - الاسراء والمعراج.
56	اللقاء بالقبائل ودعوته.
57	بيعة العقبة.
60	الهجرة الى المدينة.
64	الوصول الى المدينة.
69	السعد السابع.
69	بعد الوصول الى المدينة.
71	المؤاخاة بين المهاجرين والانصار.
72	بناء المسجد.
73	الاذان.
84	الكتاب والسنة.

87	كلام الله.
88	بعض أوصاف القرآن الكريم.
93	المحكم والمتشابه
95	القراءات السبعة.
98	الاصحاب الكرام.
108	تضحيات الاصحاب.
109	غزوة ودان.
110	غزوة بواط ، غزوة العشير ، غزوة بدر الاولى.
111	غزوة بدر الكبرى.
114	غزوة قرقرة الكدر.
115	غزوة بني قينقاع.
115	غزوة السوق.
116	غزوة غطفان.
117	غزوة بحران.
117	سرية زيد بن حارثة.
118	غزوة أحد.
122	غزوة حمراء الاسد.
124	سرية عاصم بن ثابت.
125	غزوة بني النضير.
126	غزوة ذات الرقاع.
127	غزوة المريسيع.
128	غزوة الخندق.
130	غزوة بني قريظة.
131	سرية محمد بن مسلمة.
132	غزوة الغابة.
133	سرية زيد بن حارثة.
134	سرية عبد الرحمن بن عوف.
135	سرية عبد الله بن رواحة.
136	سرية عمرو بن أمية الضمري.
137	أمر الحديبية.
139	غزوة خيبر.
145	غزوة وادي القرى.
146	سرية غالب بن عبد الله الليثي.

147	عمرة القضاء.
148	سرية ابن ابي العوجاء السلمي.
149	سرية مؤتة.
151	سرية عمرو بن العاص.
151	سرية أبو عبيدة بن الجراح.
152	فتح مكة المكرمة.
159	سرية خالد بن الوليد.
160	غزوة حنين.
163	سرية ابي عامر الاشعري.
164	غزوة الطائف.
167	سرية قطبة بن عامر ، سرية علي بن ابي طالب.
168	قصة كعب بن زهير مع النبي.
169	غزوة تبوك.
173	حجة ابي بكر الصديق.
174	حجة الوداع.
186	سرية اسامة ببن زيد.
187	من حجة الوداع الى رجوعه منها الى وفاته.
193	بحث معجزاته صلى الله عليه وسلم.
201	الاصحاب الكرام.
202	من فضله الفضل لنوع امته.
210	آله الكرام.
213	مرض ووفاة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.
218	دفن رسول الله.
219	بيان صورة جسده الشريف.
226	ضحكه صلى الله عليه وسلم وبكائه.
227	يده الشريفة.
229	شعره الشريف.
232	مشيه الشريف.
233	عرقه الشريف.
234	لباسه صلى الله عليه وسلم.
236	احب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم.
237	صفة ازاره صلى الله عليه وسلم.
238	خاتمه صلى الله عليه وسلم.

240	خفه ونعله صلى الله عليه وسلم.
241	فراشه صلى الله عليه وسلم.
243	معجزاته صلى الله عليه وسلم.
244	انشقاق القمر.
245	طاعات الجمار وتكليمها له صلى الله عليه وسلم.
246	كلامه للجبل وكلام الجبل له.
247	حنين الجذع شوقا اليه.
249	كلمه للحيوانات.
250	نع الماء الطهور من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم.
252	تكثر الطعام القليل.
254	احياء الموتى له صلى الله عليه وسلم.
255	ابراؤه ذوي العاهات باذن الله.
257	سيد المرسلين.
258	خير امته صلى الله عليه وسلم.
259	نموذج من مناقب الاصحاب.
261	خلافة ابي بكر.
262	خلافة عمر وعثمان وعلي.
264	الكف عن ذكر اختلاف الصحابة.
265	زوجاته واهل بيته الطاهرات.
266	ملك اليمين وسبب وجودها في الاسلام.
273	امته خير امة.
274	فوائد - الفائدة الاولى ان للرسول مقاما وجاها عظيما.
278	الفائدة الثانية انه يصح التوسل بالرسول الى الله.
279	الفائدة الثالثة السعي في زيارته.
281	الفائدة الرابعة الجهد في الصلوات على الرسول.
281	الفائدة الخامسة.
284	الفائدة السادسة.
285	الفائدة السابعة.
288	آله الكرام.
291	سائر الامة وخصوصا الاولياء والعلماء.
293	درجات الولاية.
295	وهنا وصايا مهمة.

296	الوصية الاولى.
297	الوصية الثانية جواز التوسل بجاه الرسول صلى الله عليه وسلم.
298	الوصية الثالثة الترغيب في زيارة الرسول صلى الله عليه وسلم.
299	الوصية الرابعة الترغيب في الصلاة عليه.
299	سلسلة الصالحين.
300	شيء عن البدعة.
303	ما يحتاج لمعرفته لمعرفة الكتاب والسنة.